على الشاشة الصغيرة

برامج التلفزيون الاسرائيلي
الجمعة ٨/١٨

• القناة الأولى:

٠٦ ٠٣ - الأخبار بالعربية.
٠٦ ٤٥ - «صباح الخير اسرائيل».
٠٨ ٠٠ - في غرفة حاتي.
٠٨ ٠١ - المرء في البحامات.
٠٨ ٣٥ - البقع.
٠٨ ٤٠ - نغاط بالألوان.
٠٨ ٥٠ - سارع سمسم.
٠٩ ١٥ - جزيرة الدببة.
٠٩ ٢٥ - في غرفة حاتي.
٠٩ ٣٥ - في البحر مع دافي.
١٠ ٠٠ - طوم وفرسان المنطقة.
١٠ ٢٥ - المهر الفضي.
١٠ ٤٥ - في غرفة حاتي.
١١ ٠٠ - عالم اريك.
١١ ٢٥ - المخفي.
١١ ٥٠ - انيجما.
١٢ ١٥ - رسامي المحمية الطبيعية.
١٢ ٤٠ - القس الصغير.
١٣ ٠٠ - في غرفة حاتي.
١٣ ١٠ - الجليد.
١٣ ٣٠ - خطيرة خيول البوني.
١٣ ٤٠ - الدب في البيت الأزرق.
١٤ ٥٥ - جبل السحر.
١٤ ٣٠ - الأوصياء.
١٤ ٥٠ - في غرفة حاتي.
١٥ ٠٠ - كلاندر سكوب.
١٥ ٣٠ - برنامج دبي.
١٦ ٠٠ - محقق خاص.
١٦ ٣٠ - الأخبار بالانجليزية.
١٦ ٤٠ - على الشاشة الصغيرة.
١٦ ٥٠ - فيلم عربي.
١٩ ٠٠ - الاخبار بالعربية.
١٩ ٣٠ - المدير.
٢٠ ٠٠ - البرنامج الاخباري «مفكرة الاسبوع».
٢١ ٠٠ - طبرنا برنامج ترفيهي.
٢٢ ١٥ - الفيلم السينمائي «الثور الهائج» بطولة روبرت دينرو.
٠٠ ٠٠ - موجز الأخبار.

• القناة الثانية:

٠٥ ٥٥ - على طرف الرف.
٠٦ ٠٠ - برامج للأطفال.
٠٦ ٢٣ - كاسبر.
٠٦ ٣٥ - قصص اطفال.
٠٦ ٤٣ - فهرة للعاد (برنامج اخباري ترفيهي).
٠٩ ٠٠ - التاسعة في تلعاد.
١٠ ٠٠ - أطعمة.
١٠ ٣٠ - بنات الجمل الذهبي.
١١ ٠٠ - أفلام كانت.
١١ ٣٠ - المسلسل الوثائقي - مكان آخر.
١٢ ٠٠ - مسارات.
١٢ ٣٠ - من خلال عيوننا.
١٣ ٠٠ - مسلسل «بادج».
١٣ ٢٢ - رسوم متحركة.
١٣ ٣٠ - درويش يستضيف.
١٤ ٠٠ - الأسبوع، برنامج اخباري بالعربية.
١٤ ٣٠ - شوكو تلعاد.
١٤ ٥٥ - أصدقاء بارني.
١٥ ٢٥ - مغارة السحر.
١٦ ٠٠ - الحصان والشجعان.
١٦ ٣٠ - كل أولادي.
١٧ ٠٠ - موجز أخبار.
١٧ ٠٥ - سيت سلام.
١٧ ٣٠ - دومينو.
١٨ ٠٠ - أطعمة.
١٨ ٣٠ - رياضة في الهواء.
١٨ ٥٩ - «الجميلة والوحش» مسرحية غنائية - القسم الثاني.
٢٠ ٠٠ - ستوديو الجمعة - برنامج اخباري.
٢١ ٠٠ - السحرة الكبار في العالم.
٢١ ٣٠ - «ارمغرون»، فيلم سينمائي امريكي.
٢٣ ٤٥ - «الجاسوس مات من الضحك»، فيلم سينمائي امريكي.
٠٢ ١٥ - مهرجان العزف على البيانو.
٠٣ ٣٢ - مهرجان موسيقى البلوز.
٠٤ ١٠ - دورة ثانية.

حل اللغز الماضي

أفقيًا:
١ - سيلي الملاط - ماس.
٢ - الجداري.
٣ - فاوه - مدى - الأهرد.
٤ - هوس - فردينير.
٥ - الجندول.
٦ - جهر - كفا - مدريد.
٧ - رمسيس - حنرش.
٨ - جسم - هضاب - صفين.
٩ - بت - جوردن - الحربة.
١٠ - سيون - هنات.
١١ - بضان - ود - محاسن.
١٢ - نينا - ريدا.
١٣ - الشن - رجاف - راسوم.
١٤ - بيبس - آت.
١٥ - غزو - وثبة - لاغوس.

عموديًا:
١ - شوقه - جرجي زيدان.
٢ - أول همسة.
٣ - لاوس - رسم - سانشير.
٣٤ - بلم - جونبنو.
٥ - أ ح - الكانون.
٦ - لده - جفت - وارسو.
٧ - مادونا - هدهد.
٨ - لوي - حضنت - راتب.
٩ - اي - فولنا - ألف.
١٠ - آرل - ربات.
١١ - حلو - مش - مارتل.
١٢ - اربد - صحيح.
١٣ - الهي - روفر - السيخ.
١٤ - رشدي - بأس.
١٥ - نادر - درنة - ناموس.

فيلم الجمعة العربي
«زمان يا حب»



* الشابة عبير، تخبر عمها الذي يسكن في لبنان، بأنها ستصل اليه في زيارة لمدة أسبوعين.. وعم عبير، رجل غني، لكن الزمن غدر به وتدهورت أوضاعه المادية، وكان يخفي هذا الأمر عن عائلته في مصر.. وبحضور ابنة أخيه، يحاول ايضًا إخفاء هذا الأمر بمساعدة بعض الأصدقاء.
انتج الفيلم عام ١٩٧٣، وهو من اخراج عاطف سالم، بطولة: فريد الأطرش، زيبيدة ثروت، ليلى طاهر، مديحة كامل ويوسف وهبي.

نتائج سحب اليانصيب «هبايس»
ليوم ٨/١٧/ ٢٠٠٠ (سحب ٣٨/ ٢٠٠٠)

فاز بمبلغ ٥٠٠ ٠٠٠ ١ ش.ج. الرقم ٣١٩٥٢٢
فاز بسيارة، الرقم ٤٢٠٤٥٧
فازت بمبلغ ٠٠٠ ١ ش.ج الأرقام
٠٥٣٧٢٦ ٠٥٥٢٣٥ ٠٤١٦٨٤ ٠٣٦٧٤٥ ٠٣٣٥٨ ٠١٩٩٥ ٠١٩٢١٦
٠١٣٠١١ ٠٧٦٠٥٧ ٠٥٠٠٥٣ ٠٤٢٩٧٧ ٠٢٨٣٢ ٠٧٧٤٢٨ ٠٨٨٥٠٣
٠٢٨٩٤٧ ٠٣٣٧١ ٠٢٦٣٨٠ ٠١٧٨٤٢ ٠٥٨٣٦ ٠٣٤٧٥٨ ٠٧٨٢٥١
٠١٥٩١٢ ٠٢٦٣٥٠ ٠٦٣٣٦٩
فازت بمبلغ ٥٠ ش.ج البطاقات المنتهية ارقامها بـ
٠٢١ ٠٦٦٧ ٠٩٢٧ ٠٢٦٢ ٠٤٠٣ ٠٨٨١ ٠٨٨٥ ٠٣٢٦ ٠١٣٩ ٠٤٨١
٠٢٢ ٠١٠٥ ٠٩٥١ ٠٨٥٦ ٠٨٨٩ ٠٧٧٨ ٠٧٥٨
فازت بمبلغ ٢٥ ش.ج البطاقات المنتهية ارقامها بـ ٠٢١ ٠٧٩.
وفازت بمبلغ ١١ ش.ج البطاقات المنتهية ارقامها بـ ١ ٠٦.

حظك اليوم .. ولو صدقوا



** الحمل (٣/٢١ - ٤/٢٠):
العب لعبة الانتظار، أصلح اخطاء الماضي. احذر....



** الثور: (٤/٢١ - ٥/٢١):
الشك أساس اكتشافك الأشياء!



** الجوزاء: (٥/٢١ - ٦/٢١):
عليك تخطي الخوف والشك والغيرة.



** السرطان: (٦/٢٢ - ٧/٢٢):
القمر ينير لك درب الدخول.



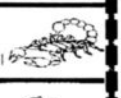
** الأسد: (٧/٢٣ - ٨/٢٣):
شخص من الجنس الآخر سيبدي إطراءات لها معنى.



** العذراء: (٨/٢٤ - ٩/٢٢):
ستقرأ وتكتب وتتعلم عن طريق تعليم الآخرين.



** الميزان: (٩/٢٣ - ١٠/٢٢):
ستتغلب على عين الحسود وستفهم عقم الغيرة.



** العقرب: (١٠/٢٣ - ١١/٢٢):
القمر سينير لك درب العلاقات العائلية.



** القوس: (١١/٢٣ - ١٢/٢٢):
هدية لك من شخص طالما تجاهلته.



** الجدي: (١٢/٢٣ - ١/٢٠):
من المهم تحديد الشروط والتطلع خلف الستائر.



** الدلو: (١/٢١ - ٢/١٩):
ركز على الشراكة، العلاقات العامة.



** الحوت: (٢/٢٠ - ٣/٢٠):
مشروع تجاري مربح هذا الأسبوع.

الراصد الجوي

* تتوقع دائرة الأرصاد الجوية، ان يكون الجو، اليوم الجمعة، غائمًا جزئيًا ودرجات الحرارة في معدلها السنوي، ويستمر هذا حتى يوم الاحد.

درجات الحرارة القصوى المتوقعة اليوم:

* القدس وضواحيها - ٣٠ * تل أبيب وضواحيها - ٣١ * حيفا وضواحيها - ٣٢* إيلات - ٤٠ * جبال الجليل - ٣٩ * المروج الشمالية - ٣٤ * جبال المركز والجنوب - ٣١ * السهل الداخلي ٣٣ * السهل الساحلي - ٣١ * النقب الشمالي - ٣٤ * بحيرة طبريا وجوارها - ٣٨* منطقة البحر الميت والعربة - ٤٠.

في البحر الأبيض المتوسط تهب رياح جنوبية غربية معتدلة والمياه هائجة.

ويراوح ارتفاع الأمواج بين (٨٠) سم و(١٢٠) سم وتكون درجة حرارة المياه (٣٠) درجة مئوية.

وفي بحيرة طبريا تكون المياه هادئة في الشاطئ الغربي ومائجة في الشرقي

وفي خليج إيلات تكون المياه هادئة.

أسعار العملات الأجنبية
(بنك اسرائيل ٢٠٠٠/٨/١٦)

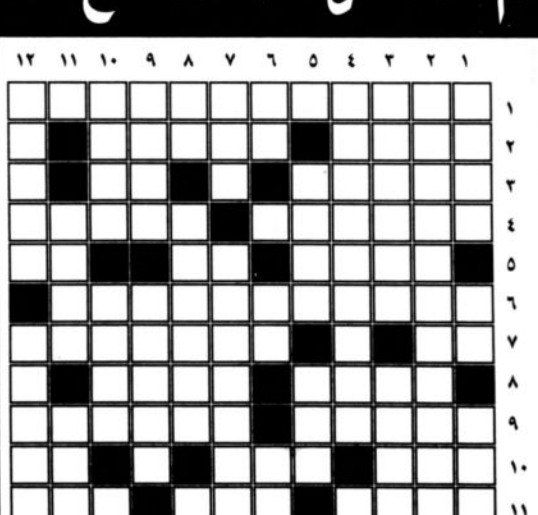
* دولار أمريكي	٤,٠٤٦٠ ش.ج
* «اليورو»	٣,٦٧١٧ ش.ج
* مارك الماني	١,٨٧٧٤ ش.ج
* جنيه استرليني	٦,٠٦٤٨ ش.ج
* فرنك فرنسي	٠,٥٥٩٨ ش.ج
* (١٠٠) ين ياباني	٣,٧٢٧٠ ش.ج
* دينار اردني	٥,٦٩٠٦ ش.ج
* «أسود»	٤,٠٠٤ - ٤,٠٠٦ ش.ج

ك ل م ا ت م ت ق ا ط ع ة

• إعداد: رامي وريان أحمد ريان - طمرة •

أفقيًا:
١ - كتاب من تأليف الفيلسوف «ابن رشد» برد فيه على كتاب «تهافت الفلاسفة» للغزالي.
٢ - شبه جزيرة في بريطانيا - عاصمة عربية لقبت «دار العلوم».
٣ - شديدة البياض - قل.
٤ - ارتفع (أو علا) - يبس - تحذر وتنبه.
٥ - اشرح بتوسع - للسؤال - تكلم.
٦ - طبيب وفيلسوف ولد في دمشق وتوفي في القاهرة.
٧ - جذب - حرف جر - اعادا وكررا.
٨ - من أنواع الخط العربي (غير معرفة) - مجون.
٩ - تصنيف - الاسم العربي لنهر كيشون (بالقرب من حيفا).
١٠ - علم مؤنث بمعنى تطلع - استنشق - حن.
١١ - يصول و.... - وحدة قياس للمسافة - علم مؤنث.
١٢ - ملابس - جبلي - مدينة في شمال البلاد.

عموديًا:
١ - نفس الاسم لخليج وبحيرة وعاصمة ودولة عربية على البحر المتوسط - بيت بعض الطيور - تأني وانتظار.
٢ - شاعرة وروائية فلسطينية من مواليد يافا.
٣ - النقي - تلوا.
٤ - خوف - يوسف الـ .... (اديب مصري) - جوهر.
٥ - رحلن وتركن - ذم.
٦ - والد - والده - من مصادر الطاقة (غير معرفة).
٧ - مرن - نهر بالقرب من عكا.
٨ - تنظر (مجزومة) - فاكهة صيفية - أوقف الحركة - خاصتي.



٩ - قرية عربية مهدمة بالقرب من شفاعمرو - بواسطتها نوقف السيارة.
١٠ - عكس انفصل - بمعنى النظر - ضغط.
١١ - يُتلف - نفس الاسم لمدينة اسبانية ومدينة في ابو ظبي.
١٢ - ترجعه - عباس محمود.... (اديب مصري).



الشبيبة الشيوعية - منطقة الناصرة

ندعو بهذا اعضاء لجنة المنطقة واعضاء اللجنة المركزية في منطقة الناصرة وسكرتيري الفروع للمشاركة في اجتماع لجنة المنطقة الهام وذلك اليوم الجمعة الموافق ٢٠٠٠/٨/١٨ الساعة الرابعة بعد الظهر في بيت الصداقة في الناصرة.

نقاط البحث:

١) تلخيص الفترة السابقة: مخيمات الاطفال وغيرها.
٢) برنامج عمل للفترة القادمة.
٣) الوضع التنظيمي.
٤) متفرقات.

ملاحظة: في حالة تعذر المشاركة، يرجى إبلاغ سكرتير المنطقة.

الرجاء التقيد بالموعد

سكرتارية المنطقة

إتحاد الشبيبة الشيوعية الإسرائيلي

• برنامج سياسي - سياحي في غزة •

ندعو الرفاق والاصدقاء للمشاركة في البرنامج السياسي والسياحي الذي تنظمه الشبيبة الشيوعية في مدينة غزة بتاريخ ٨/٢٥ وحتى ٨/٢٦ ويشمل:

* زيارة مؤسسات وطنية ولقاءات مع قيادات فلسطينية.
* زيارة مواقع أثرية وتاريخية واستجمامًا.
* زيارة مخيمات اللاجئين.
* برنامجًا ثقيفيًا ومتفرقات.

ملاحظة: * يشترط لاعتبارات خارجة عن ارادتنا ان يكون جيل المشاركين ١٦ عامًا فما فوق وان يحملوا بطاقة هوية سليمة.

الموعد الأخير للتسجيل: الأحد ٢٠٠٠/٨/٢٠

لمزيد من التفاصيل يرجى الاتصال مع المسؤولين في الفروع أو مع الرفاق:

ابراهيم أبو يونس: ٠٥٤٨٣٠١٠٧
إيهاب دواهدة: ٠٥٤٩٤٦٩٧٦
شرف حسان: ٠٥٤٧٨٥٩٢٦

الجبهة الدمقراطية للسلام والمساواة

اعضاء السكرتارية القطرية للجبهة ولجنة المراقبة مدعوون الى حضور الاجتماع الذي سيعقد يوم الاحد ٢٠٠٠/٨/٢٠ في تمام الساعة الرابعة بعد الظهر في مقر الجبهة القطرية في حيفا.

نقاط البحث:

- الوضع السياسي العام.
- متفرقات.

باحترام
محمد بركة
سكرتير الجبهة

إتحاد الشبيبة الشيوعية - فرع الرينة

اعلان

الى أهلنا في الرينة والمنطقة الكرام

مع اقتراب الموسم الدراسي الجديد ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ يسر الشبيبة الشيوعية ان تهنئ جمهور الطلاب والطالبات الأعزاء، وتتمنى لهم جميعًا سنة دراسية حافلة بالنجاحات والانجازات. اما بعد: تعلن الشبيبة الشيوعية عن نيتها البدء بحملة لتبادل الكتب المدرسية، وسيتم ذلك في نادي الشبيبة الشيوعية في الرينة بجانب الشارع الرئيسي (تحت بيت السيد حسام رواشدة) يوميًا من الساعة السادسة مساء، وحتى الساعة الثامنة مساء. وبهذا السياق نأمل مشاركتكم بهذا العمل التطوعي دعمًا منا ومنكم لأهلنا امام الوضع الاقتصادي والسياسي المتدهور. وبهذا نقوي علاقاتنا الأخوية في هذه القرية كي نستطيع الانطلاق نحو غد افضل ومستقبل واعد لنا ولكم جميعًا.

للاستفسار الرجاء الاتصال بأحد الأرقام التالية:
٠٥٣٢١٨٥٣١ (حسن خطبا).
٠٦/٦٥٦٦٢٩٩ - (ايهاب + ناظم خطبا).
الحملة مستمرة من ٢٠٠٠/٨/٢٠ لغاية ٢٠٠٠/٩/١٥

انا باقون على العهد.

مع فائق الاحترام - الشبيبة الشيوعية

جديد... هام جداً... جديد... هام جداً!!



دورة نقل ١٥ راكباً (خصوصي أو عمومي)

دون الحاجة لرخصة باص أو تاكسي أو תעודת יושר أو מכון רפואי

تعلن الكلية القطرية للمواصلات - سخنين وبفروعها عن بدء التسجيل والتعليم للدورة المذكورة أعلاه وبشكل مكثف لمدة ٣ أسابيع فقط

شروط القبول:

كل سائق يملك رخصة سياقة درجة ٢ (خصوصي) لفترة خمس سنوات على الأقل أو كل سائق يملك رخصة سياقة درجة (٣) شحن لفترة سنتين على الأقل.



انتبه!

القانون ساري المفعول للتعليم حتى تاريخ ٢٠٠١/٣/٣١

انتهزوا الفرصة وتوجهوا لأحد مكاتبنا لبدء التعليم فوراً.

الكلية القطرية للتأهيل المهني والتكنولوجي
מכללה ארצית

الكلية القطرية - سخنين ٠٦/٦٧٤١٧٨٩
الكلية القطرية - شفاعمرو ٠٤/٩٨٦١٨٨٢
الكلية القطرية - الناصرة ٠٦/٦٥٦١٩٨٩
الكلية القطرية - أبو سنان ٠٤/٩٩٦٨٩٧٠
الكلية القطرية - باقة الغربية ٠٦/٦٢٨٤٧٧٩
الكلية القطرية - النقب ٠٧/٩٩١٠٥٢٣
الكلية القطرية - القدس ٠٢/٦٢٨٧٣٦٨

ملحق الاتحاد
الجمعة ١٨ آب ٢٠٠٠
الملف الثقافي ص١٣-٢٠

اتفاقية وادي عربة

ذيول مؤامرة التوطين..

النائب الفلسطيني جمال الشاتي يتحدث لـ «الاتحاد» عن قضية اللاجئين

الملف الثقافي

الناقد الماركسي محمد دكروب:

الفكر وحده لا يستطيع أن يؤسس مجتمعا متقدما

عندما يستعمل المستوطنون «الجنس» سلاحاً!



الشبان الفلسطينيون كانوا يسيرون على الرصيف الآخر في مدينة الخليل بعيدا عن مجموعة المستوطنات.. وفجأة احاط بهم الجنود. فقد زعمت احدى المستوطنات ان الشبان تحرشوا بها جنسيا.. وفي قصة اخرى وجهت تهمة التحرش الجنسي الى الطفل اسامة ابن الـ(١٠) سنوات وشقيقه لؤي (١٢ عاما)..



«الترانسفير» الصهيوني/الملف المفتوح (الحلقة الخامسة)

نبوءة الشرتوك التي تحققت...!

• في ١٩٤٤ تنبأ موشيه شاريت (اصبح فيما بعد وزيرا للخارجية ورئيسا للحكومة) بأن النتيجة النهائية لاقامة «الدولة اليهودية» قد تكون «ترانسفير ضد العرب»! • لابان الصهيوني وطبعة جديدة لمفهوم قديم من «الترانسفير».. وهذه المرة ضد المواطنين العرب في البلاد •

من محطات الاسبوع

د. احمد سعد

مع مساعي التحضير لقمة جديدة:

مطارق الحقوق الشرعية - لابُدّ مما لابُدّ منه!

* تكثر في الآونة الاخيرة التصريحات التفاؤلية، الاسرائيلية والفلسطينية والامريكية، عن احتمال عقد مؤتمر قمة جديد لإبرام اتفاقية تسوية اسرائيلية - فلسطينية. والحديث يدور عن عقد قمة قريبة في شهر ايلول المقبل او في شهر تشرين أول القادم!

وما يغزو مخيلة وتفكير كل إنسان يستمع الى هذه التصريحات التفاؤلية السؤال الملحاح: هل حدث تغيّر جذري في المواقف، خاصة من القضايا الجوهرية، يؤدي فعلاً الى النجاح في ما فشلت فيه قمة كامب ديفيد الثلاثية، والى توقيع اتفاقية التسوية الدائمة؟! او بمعنى آخر هل أصبحت حكومة اسرائيل على استعداد للاقرار والاعتراف بثوابت الحقوق الوطنية الشرعية الفلسطينية، غير منقوصة وخاصة فيما يتعلق بالقدس وحق العودة وحدود السيادة الفلسطينية، ام ان الرهان الاساسي يتمحور حول الزام القيادة الفلسطينية وتحت مكابس الضغط، على تنازلات سياسية تنتقص من بعض الثوابت الاساسية للحقوق الشرعية؟

ان العديد من المؤشرات والدلائل التي بدأت تبرز وتتبلور على ساحة مسار تطور الاحداث منذ فشل قمة كامب ديفيد في التوصل الى اتفاقية الحل الدائم تؤكد حقيقة امرين اساسيين: الاول، ان المراهنة الاساسية استعداداً وتحضيراً للقمة المرتقبة تتمحور حول الضغط لابتزاز تنازلات من الطرف الفلسطيني. والثاني، انه من المستبعد في الظروف الراهنة، خاصة على ضوء التعنت الاسرائيلي وتنكره لاستحقاقات الحقوق الشرعية الفلسطينية، وازمة براك السياسية والائتلافية، التوصل الى اتفاقية للحل الدائم تنهي حالة الصراع الاسرائيلي - الفلسطيني. ولهذا يجري شد الحبال وممارسة الضغط الامريكي - الاسرائيلي وتنسيق الخطى مع بعض الانظمة العربية والمجموعة الاوروبية باتجاه التوصل الى اتفاق مرحلي جديد حول القضايا المتفق عليها بين الطرفين، وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ اسرائيل لبنود الاتفاقات السابقة مثل تنفيذ النبضة الثالثة من الانسحاب وما تبقى من النبضة الثانية واطلاق سراح اسرى الحرية الفلسطينية. وان يتضمن الاتفاق الجديد موافقة اسرائيل على اقامة الدولة الفلسطينية «المستقلة» وتسوية قضية المياه وبعض المعابر مقابل موافقة الفلسطينيين على تأجيل البت والتسوية النهائية لقضايا القدس واللاجئين والاستيطان والحدود، والاتفاق من خلال التفاوض في القمة على جدول زمني محدد، وبضمانات دولية للبت في القضايا الجوهرية المؤجلة!!

ان اي مراقب او متابع لتطور الاحداث، خاصة للتحركات الدبنامية المكثفة، الفلسطينية والاسرائيلية، للتأثير على موقف الرأي العام الدولي وتجنيده الى جانب موقفه، يلاحظ المؤشرات التالية:

* اولاً: ان قضية اقامة دولة فلسطينية مستقلة اصبحت حقيقة واقعية يعترف بحق قيامها المجتمع الدولي ومختلف بلدان القارات الخمس. وهذا ما لمسه الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات والقيادة الفلسطينية في تجوالهم المارثوني العالمي. حتى اسرائيل تعترف بحق اقامة الدولة الفلسطينية. لا نقاش حول هذا الموضوع، ولكن ما تدور حوله التساؤلات والتحفظات هو في اية ظروف وشروط وموعد يتم قيامها.

فتحت الضغط الامريكي - الاسرائيلي يسود الرأي اوروبيا وعالميًا على عدم اعلان قيام الدولة من طرف واحد، بل من خلال اتفاق مع اسرائيل.

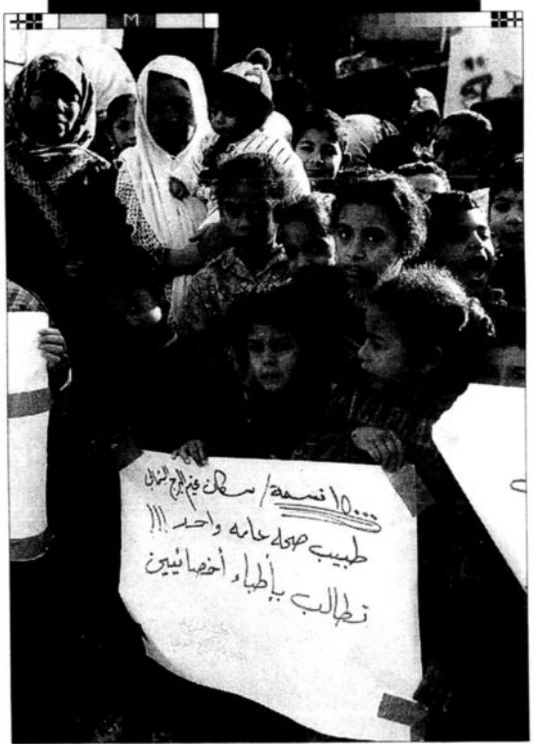
* ثانيًا: ضعف الموقف العربي المماثل لامريكا ورضوخه للضغوطات الامريكية منع عقد مؤتمر قمة عربية تتحمل الانظمة العربية من خلاله مسؤولية مساندة الموقف الفلسطيني المتمسك بثوابت حقوقه الوطنية وخاصة فيما يتعلق بقيام الدولة والسيادة السياسية الفلسطينية في القدس العربية عاصمة الدولة العتيدة، وحق اللاجئين في العودة.

* ثالثًا: الموقف الامريكي البلطجي العربيد في انحيازه التام الى جانب الموقف الاسرائيلي ونشاطه وتحركاته دوليًا وعربيًا تأييداً للموقف الاسرائيلي ولتجنيد مكابس ضغط دولية وعربية لابتزاز تنازلات سياسية من الفلسطينيين.

* رابعًا: الموقف الحكيم للقيادة الفلسطينية في عدم «بلع طعم» الاعلان عن الدولة في ١٣ ايلول القادم، وعقد المجلس المركزي قريبًا لاقرار تأجيل الموعد وذلك بهدف تفويت الفرصة على التآمر الامريكي - الاسرائيلي الذي كان سيستغل هذا الاعلان لتبرير المخطط الاسرائيلي لاقراغ الدولة الناشئة من مضمونها وشرعنة ضم غالبية المناطق الفلسطينية والقدس وضواحيها الى اسرائيل.

خلال الاسبوع القادم من المنتظر ان يصل مبعوث الادارة الامريكية، دنيس روس الى المنطقة، وقد تلحق به وزيرة الخارجية، مادلين اولبرايت، لمواصلة الضغط على القيادة الفلسطينية بهدف اخذ موافقتهم على ابرام اتفاقية مرحلية جديدة، كما ذكرنا، تساعد حزب كلينتون ومرشحه الدمقراطي في الانتخابات الامريكية، وتنقذ براك من ازمته السياسية - الائتلافية.

وما نود تأكيده انه على الساحة الوطنية الفلسطينية، على مختلف الصعد الرسمية السلطوية والجماهيرية القاعدية تمترست في جبهة الموقف خطوط حمراء لا يستطيع اي فلسطيني كان ان يتخطاها، خطوط تحتضن ثوابت الحقوق الشرعية الفلسطينية المسندة بمرجعية قرارات الشرعية الدولية وخاصة (٢٤٢) و(٣٣٨) و(١٩٤) كأساس لا يمكن تخطيه في اية تسوية للحل الدائم. فمطارق الحقوق الشرعية تؤكد انه لا بد مما لا بد منه في اية تسوية او اتفاق ضمان انسحاب اسرائيل الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس العربية الشرقية وضمان حق اللاجئين في العودة وفقًا لقرارات الشرعية الدولية. فهذا هو المحك الاساسي لنجاح او فشل اية مفاوضات وفي اي اطار سيكون.



● الأنظمة العربية.. ماذا بشأن اللاجئين؟! ●

الهروب من ارض «السمن والعسل»

* «توصلنا الى نتيجة اننا لا نستطيع مواصلة العيش هنا. هذه ليست الدولة التي من اجلها صلينا، هذا ليس الحلم الصهيوني الذي تشدّدُ آباؤنا»، هذا ما اكدته الدكتور ميخال اورن في مقابلة مع مراسل صحيفة «معاريب» امير غيلات (انظر ١٥/٨/٢٠٠٠).

وما اكدته د. اورن، المحاضرة في قسم دراسات اسرائيل في جامعة حيفا، يعكس احد افرازات تناقضات المجتمع الاسرائيلي وما تبرزه من مظاهر جديدة على ساحة التطور والصراع والمتغيرات الحاصلة.

فحصيلة التطور خلال السنوات الاخيرة، وفي ظل اقتصاد السوق والخصخصة والاندماج السريع في اطار العولمة، قد افرز العديد من الحركات والتنظيمات الاحتجاجية في الشارع اليهودي مثل منظمات مقاومة البطالة والفقر والضائقة ومنظمات الخضر وحماية البيئة وضد العنف والتمييز وغيرها لمواجهة اتساع هوة التقاطب الاجتماعي وعمليات تلويث البيئة، لمواجهة مظاهر العنف والتمييز العنصري والطوائفي والتمييز ضد المرأة. جميع هذه المظاهر بدأت تتبلور على الساحة السياسية كحركات احتجاجية على الغبن والتمييز في ظل تطور الرأسمالية في اسرائيل ومن اجل كبح جماح الغبن والتمييز داخل المجتمع.

الظاهرة الاحتجاجية الجديدة التي تمثلها د. اورن وزملاؤها تتعدى النهج المألوف في التعبير عن الموقف الاحتجاجي الساخط على حقيقة الاوضاع الاجتماعية - السياسية السائدة وآفاق تطورها داخل البلاد. الاحتجاج يأخذ شكل العمل المنظم للهروب من الواقع المأساوي والتفتيش عن السعادة وهداة البال في بلاد الله الواسعة بعيداً عن جهنم «ارض السمن والعسل» التي وعدت بها الصهيونية «شعب الله المختار»!

ومضمون الظاهرة الجديدة ان مجموعة من الاكاديميين اليهود تنظم صفوفها لاقامة مستوطنة في بلاد اخرى، تمارس فيها حياتها الاجتماعية والثقافية، كما ترتئيها.

والدافع للهرب، كما يؤكد بعض رموز هذا «التنظيم» هو تصاعد مظاهر العنف، المسلك التربوي السيء، وسيطرة شاس! وانهم يفتشون عن مكان ملائم في العالم!!

صحيح ان المجتمع الاسرائيلي في ظل السياسة المنتهجة، الحروب والاحتلال والغطرسة العسكرية والبلطجية العدوانية والاستعلاء القومي الشوفيني قد افرز في ظل القهر الطبقي - الاجتماعي الرأسمالي، الكثير من مظاهر العفن، من العنف الى العنصرية الى الاكراه الديني... ولكن مع كل ذلك، فالبنسبة لنا، ومن منطلق رفضنا لهذه المظاهر، فإن المهمة الاساسية مواجهة هذا الواقع وليس الهروب من ساحته.

مهمتنا الاساسية، الاستراتيجية بعيدة المدى بناء مجتمع العدالة الاجتماعية والمساواة والدمقراطية والاشتراكية لاجتثاث جذور مختلف مظاهر وافرازات ومآسي نظام استغلال الانسان لاخيه الانسان. وهذا يتطلب الكفاح الدؤوب ويأوسع وحدة صف يهودية عربية ضد مختلف المظاهر السلبية التي تنتهجها السياسة المنهجية الممارسة ونظامها الاستغلالي - التمييزي.

الله يرحم والدتي كانت تقول دائمًا، «اللي مش مقبور له جد في الارض شو بربطو بالوطن»!! ونحن، من مقبور له الف الف جد «فمن هالمراح ما في رواح».

عندما يستعمل المستوطنون «الجنس» سلاحًا!

• الشبان الفلسطينيون كانوا يسيرون على الرصيف الآخر في مدينة الخليل بعيداً عن مجموعة المستوطنات.. وفجأة احاط بهم الجنود، فقد زعمت احدى المستوطنات ان الشبان تحرشوا بها جنسيًا.. وفي قصة اخرى وجهت تهمة التحرش الجنسي الى الطفل اسامة ابن الـ(١٠) سنوات وشقيقه لؤي (١٢ عامًا).. وفوق ذلك اقتحم الجنود بيتهما، ضربوا الوالد واهانوا الاعمام • المصادر الشرطية تملك روايات متناقضة. البعض يشير الى ظاهرة واسعة من التحرش الجنسي، وهناك من يؤكد: بعض الشرطيين متواطئون مع المستوطنين او يخافون منهم •

تحقيق: كوثر سلام/ الخليل

* اعمال الارهاب التي يقوم بها المستوطنون في الخليل ضد المواطنين كل اسبوع هي خطوة واحدة على طريق اشعال الاوضاع.

الظاهرة الخطيرة جدا هي استغلال النساء والمراهقات من المستوطنات في مواجهة الشبان الفلسطينيين في قلب المدينة المحتلة ودفعهن الى تقديم شكاوى ضدهم بتهمة التحرش الجنسي وفي المجتمعات الاسلامية المحافظة والارثوذكسية المتدينة قد تقود مثل هذه الادعاءات الى صدامات دموية خطيرة.

ففي كل اسبوع تدعي مجموعة من المستوطنات تعرضهن لمعاكسات في الشارع العام تنتهي باعمال ارهاب وعنف يشنها مجموعة المستوطنين ضد المواطنين في سوق البلدة القديمة، وشارع السهلة والطريق المؤدي لمستوطنة «كريات اربع» تكون محصلتها اصابة عدد من المواطنين واعتقال آخرين..

المواطنون في قلب المدينة يرفضون بشدة مثل هذه الادعاءات على اعتبار انها تجاوز للاخلاق التي تحظر عليهم المساس بعفاف النساء وغيرهن ويرون في بث هذه الشائعات ما يخلق الفوضى ويهدف الى استنزاف مزيد من الدماء في سياق ردات فعل المستوطنين على المفاوضات الجارية بين الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي..

يقول المواطنون ان خارطة براك للحل النهائي التي عرضت في قمة كامب ديفيد تقضي باخضاع مدينة الخليل كاملة للسيادة الفلسطينية بما

◄◄◄

◄◄◄

في ذلك مستوطنة «كريات اربع» والمستوطنات وسط المدينة وعلى مشارفها، مما ولد ردات فعل عدائية للمستوطنين تبلورت على شاكلة اعمال عنف يقوم بها المستوطنون بمن فيهم النساء في سياق التصدي لمفاوضات السلام..

معطيات في الشرطة

ثمة معطيات في وحدة شرطة الخليل تشير الى فتح (٧١) ملفا ضد المواطنين تقدمت بها مجموعة من المستوطنات ضد الشبان في هذا الاطار. وهناك مقولات تشير الى سوء استخدام افراد الشرطة للصلاحيات القانونية الموكلة اليهم في التحقيق بمثل هذه الادعاءات والعمل على تجيير القوانين في مساندة هؤلاء المستوطنات.

وتدعي المصادر ذاتها ان مجموعة المستوطنات يحددن الشرطي الذي يرغبن في ان يحقق معهن، وذلك عبر اتصال هاتفي مسبق يجري بين الطرفين، واتفاقيات مبرمة ما بين الاهل وهؤلاء الشرطيين.

المستوطنون يتصلون بالمحقق ويقولون سنأتي لتقديم شكوى شريطة ان لا يحقق معنا فلان او علان! هم يغلقون الهاتف بعد تحديد الغرض، هكذا تسير الامور في وحدة شرطة الخليل - خلافا للقانون كما تفيد حتى بعض المصادر الشرطية.

مدير وحدة الشرطة الكولونيل آفي اردتي ينفي فتح ٧١ ملفا في قضايا التحرش الجنسي بالمستوطنات مشيرا الى تقديم مجموعة من الشكاوى في هذا الخصوص لم تتجاوز ١٢ شكوى ويفسر توارد انباء شرطية من وحدته التي يعمل فيها على هذه الشاكلة المبالغ بها، بانه ربما يكون افتراءات قد جاءت بسبب خلافات شخصية بين افراد الشرطة داخليا - الا انها لا تمت للحقيقة بشيء.

يقول «افي» انه ليس باستطاعة المستوطنين اختيار المحققين مشيرا الى ان المستوطنين بواصلون تذمرهم وتقديم الشكاوى ضد المحققين - الامر الذي يدل على قانونية عمل المحققين.

مستوطنات في الطريق:

يوم الخميس ٢٠ تموز الماضي انطلق مجموعة من الاصدقاء وعددهم خمسة لشراء ادوات قديمة من سوق «الجمعة» الواقع في قلب الخليل المحتل.

الشبان اشتروا طاولة قديمة ومكيفا كهربائيا في منتصف ليلة الخميس حيث تبدأ الساعات الاولى في فرز بضاعة سوق «الجمعة» وعادوا بمجموعهم ليسيروا في شارع الشهداء..

كانت الساعة الثانية عشرة ليلاً عندما اجتازوا نقطة التدقيق العسكرية في هويتهم في موقع المقبرة الاسلامية. حملوا بضاعتهم وساروا امتارا معدودة وشاهدوا اربع مستوطنات في محطة باص (١٦٠) مقابل معسكر الجيش في شارع الشهداء..

وحين اقترب الشبان من موقع المحطة وهم يسيرون على الرصيف الآخر المقابل لها انطلقت احدى المستوطنات باتجاه الموقع العسكري المقام امام محطة الجعبري للوقود على مقربة من مستوطنة بيت هداسا. الجنود اوقفوا الشبان وسألوهم: لماذا تحرشتم بالمستوطنات، وماذا قلتم لهن. انهن يدعين تحرشكم بهن مهددين بالاختطاف والاغتصاب؟!

يقول الشاب «س» الذي التقيناه في موقع عمله: «شرحنا للجنود موقفنا وطلبنا منه استفسار الجنود قبالة المحطة التي توقفت فيها الفتيات. نحن لم نتحدث معهن وكنا نسير على رصيف المعسكر بعيدا عنهن».

ويضيف بان المستوطنات قاطعن الشبان بقولهن امام الجنود: «ما الذي يأتي بكم الى شارعنا؟ لماذا تسيرون في الليل؟! وانطلقت باتجاه مجموعة من المستوطنين تحرضهم ضدنا».

المستوطنون اشهروا سكينا في وجه الشبان ولحقوا بهم الى موقع «بيت رومانو» بعد ان غير الاصدقاء طريقهم بعيدا عن المستوطنين. جنود الاحتلال استدعوا دورية الشرطة بحجة حماية الشبان الا ان افراد الدورية نقلوا المجموعة والادوات القديمة والمستوطنات الى مقر وحدة التحقيق.

معطيات التحقيق

المستوطنات الاربع ادخلن سوية الى غرفة واحدة في تحقيق مشترك من قبل محقق واحد..

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل بدأ التحقيق مع الرفاق الخمسة، كل واحد منهم على حدة.. لقد حقق شرطيان مرتين مع كل شاب..

ويقول «س» ان المحقق الاول (اصلع متوسط القامة وبدين) كان فظا في التحقيق. قرأ عليه الاتهامات وهو يصرخ في وجهه مطالبا اياه بالاعتراف بتهمة التهديد باختطاف المستوطنات ومحاولة الاغتصاب ثم طلب منه التوقيع على اقواله..

اما المحقق الثاني فقد قرأ التهم للمرة الثانية وكتب تحقيقا آخر، وكان اكثر مرونة فقد ابدى اقتناعه باقوالي - يضيف «س».

هكذا سارت امور التحقيق مع الشبان الخمسة الذين تبين ان اثنين منهم يحملان الهوية الزرقاء المقدسية.

اختلاف المحققين

يقول «س» ان مشادة كلامية وقعت بصوت مرتفع بين المحققين عندما اراد المحقق الافراج فقط عن الشابين اللذين يحملان الهوية المقدسية والابقاء على الشبان الثلاثة الآخرين في الاعتقال (٩٦) ساعة على ذمة التحقيق.

ويضيف: انقضت ١٢٠ ساعة دون الافراج عنا - ثم بلغنا بعدها اننا محتجزون ٩٦ ساعة اخرى من قبل الشرطي يعقوب كوهين الذي افاد بان محكمة ستنعقد بخصوصنا (يوم الخميس ٢٧ تموز).

يوم انعقاد المحكمة بوجود ثلاثة قضاة ومترجم وعاملة كومبيوتر والمتهمين الثلاثة ومحاميين قرر القاضي تأجيل انعقاد المحاكمة حتى السادس من ايلول القادم مقابل الافراج عن المتهمين بكفالة مالية قيمتها ألفا شيكل.

يقول «س» بأنه يعمل يوميا حتى منتصف الليل وان شقيقه استدان مبلغ الافراج عنه من اجل المشاركة في حفل زفافه. ثم بلع ريقه وقد تصبب عرقه.

كان يتحدث الينا بشكل هادئ وصوت منخفض مؤكدا براءته من التهمة التي يستحي بسببها من ذكر اسمه في الرواية. قال انه لا يهتم بمثل هذه الامور وانه لو كان يعرف ان جولته في البلدة القديمة لشراء ادوات ستنتهي به الى السجن الى تهم لا اخلاقية لأحجم عن القيام بها. انه يشعر بالالم وهناك احساس بالنقمة يخالج صدره. فهل يكون السلام على هذه الشاكلة يقول «س»؟.

القضايا الامنية والجنائية

في سياق القانون العسكري المعمول به في الضفة الغربية والمناطق المحتلة، ان افراد الجيش فقط هم المخولون باعتقال المواطنين لأسباب امنية اما افراد الشرطة المدنية فتنحصر مهمتهم في التحقيق فقط.

وفي سياق بروتوكول اعادة الانتشار في الخليل فان المواطنين الخاضعين للسيطرة الامنية الاسرائيلية منطقة «هـ» يحولون الى الشرطة الفلسطينية للتحقيق في قضاياهم الجنائية والمدنية.

اما القضايا الجنائية المتعلقة بينهم والطرف الآخر من المستوطنين فانها تقع ضمن صلاحيات الشرطة الاسرائيلية في التحقيق فيها..

يقول مدير وحدة الشرطة الكولونيل آفي اردتي: اننا نحيل للشرطة الفلسطينية مجمل القضايا الجنائية المتعلقة بالفلسطينيين، اما القضايا المرتبطة بالمستوطنين وان كانت مدنية وجنائية فانها من صلاحيات الشرطة الاسرائيلية وبخصوصها تنعقد محاكمات عسكرية في «ادوراه» اي معسكر المجنونة - او محكمة «بيت ايل» وذلك لسريان القانون العسكري على المواطنين.

ويفسر آردتي الافراج عن الشابين المقدسيين - بعدم جواز سجنهما في مقر الشرطة قانونيا اذ انهما يحملان وثيقة اثبات شخصية اسرائيلية. وهما يخضعان للقانون المدني وليس العسكري.

ويضيف: نحن ما زلنا نحقق في هذه القضية التي استمعنا فيها الى شهود العيان من افراد الجيش الاسرائيلي. اننا نتحقق في كل الاتجاهات معللاً دفع الشبان للكفالة المالية كضمانة لحضورهم المحكمة. وكذلك يدفع المستوطنون كفالات الافراج عنهم في حال تورطهم بقضايا امنية او جنائية ايضا.

استنزاف دموي

يوم السبت الخامس من شهر آب الحالي اقتحم المستوطنون سوق القزازين في البلدة القديمة ترافقهم تعزيزات عسكرية وشرطية مدعين بأن معاكسات لا اخلاقية قد تعرضت لها المستوطنات.

الطفلان لؤي عبد المعطي المحتسب (١٢ سنة) واسامة المحتسب (عشر سنوات) هما المتهمان بالتحرشات الجنسية بالمستوطنات في هذه القضية!

الامر يثير الغرابة والتساؤل حول مصداقية الراوية ويؤكد التشكيك بها. يقول الطفل لؤي بصوت بريء انه كان يبيع وشقيقه العلكة والبسكوت على بسطة صغيرة امام منزلهما في السوق عندما توقف امامهما مجموعة من المستوطنين الذين يتحدثون بالعبرية وقلبوا محتويات البسطات وداسوها باقدامهم...

يقول الطفلان انهما حاولا الافلات من المستوطنين والدخول لمنزلهما. وتقول الجدة: دخل لؤي واسامة يبكيان ويرتجفان من الخوف وعلامات الاصفرار على وجهيهما، عندما كنا نجلس وافراد الاسرة جلسة حزن على فقيدتنا رحمها الله..

والد الطفل افاق من نومه مذعورا واعتقد انه في كابوس عندما سمع طفليه يبكيان في حين كان شقيقاه في ساحة المنزل وقد امسك بهما افراد من جيش الاحتلال..

يقول الوالد: استفسرت من الجنود عن الامر الا انهم دفعوا بي الى داخل المنزل الذي كانت ساحته تمتلئ بالجنود والمستوطنين..

لقد اعتقل افراد الشرطة وجنود ما يسمى «حرس الحدود» كلاً من زياد المحتسب وعمره ١٧ سنة وعبد المعطي المحتسب وعمره ١٦ سنة وخرجوا من المنزل ينكلون بهما في السوق القديمة وحين اصطدم جواد المحتسب في السوق بشقيقيه معتقلين استفسر لدى الجنود عن السبب فانهالوا عليه بالضرب ووضعوا القيود في يديه واقتادوه الى شارع السهلة حيث وضعوه في دورية عسكرية لجنود ما يسمى «حرس الحدود».

يقول «جواد» انه طلب من احد جنود «حرس الحدود» ان يجعل القيود في يديه اكثر اتساعا بعد ان تصلبت يداه عندها اجابه جندي من نفس الوحدة مهددا بقوله «حالاً سأعدك واريك كيف تتزعزع علي في منزلك».

ويضيف «جواد» أن الجندي استل سكينا وجرح يده المربوطة متعمدا بدلاً من تخفيف ربطة القيود وجرى باتجاه السوق. لقد بللت الدماء ملابسي وسالت على الارض، وشعرت بذلك مناديا ضابطا من نفس الوحدة يرى ماذا فعل رفيقه معي. فأجابني حالاً سنأخذك للشرطة وتقدم شكواك هناك..

يقول «جواد» ان الشرطة رفضت استقباله جريحا كما رفضت استقبال المواطن محمد يوسف نعمان الشرياتي الذي سالت الدماء من بطنه بعد ان طعنه جندي من وحدة «حرس الحدود» في بطنه بفوهة البندقية...

الشرطة ابقت على كل المعتقلين الاربعة: نائل زيتون، عبد المعطي المحتسب، زياد المحتسب ونافذ القاعود، ونقلتهم الى سجن «ادوراه» اي معسكر المجنونة.

هكذا جاءت نتيجة اتهام المستوطنات لطفلين بالتحرش بهن في السوق التجاري الخاص بالمواطنين والذي يعتبر دخوله من قبل المستوطنين امرا غير قانوني اصلاً مما يشكك بمصداقية الادعاء اذ يبقى السؤال مطروحا حول اسباب دخول المستوطنات للسوق.

متحدث عسكري افاد بأن اعتقال الشبان الاربعة جاء على خلفية رشقهم قوات الجيش والشرطة والمستوطنين بالحجارة اثناء الحادث، وان محكمة عسكرية لهم ستنعقد في «ادوراه» يوم الاحد القادم.

اما مدير الشرطة اردتي فيقول انهم لم يعتقلوا الاطفال لعدم قانونية ذلك الا انهم شخصوا الشبان في الحادث وهم يقومون بالاعتداء على الجنود والشرطة، ولذا تم اعتقالهم.

شهود العيان يؤكدون ان ادعاء الشرطة والجيش والمستوطنين كاذب، اذ لم يكن هناك تحرش بالمستوطنين الذين هاجموا السوق تحميهم تعزيزات عسكرية وشرطية استخدمت العنف ضد المواطنين.

تقول زوجة المواطن نافذ القاعود انها شاهدت الجنود يضربون زوجها في معدته حتى وقع على الارض، وعندها داس جندي بطنه وتوقف ثان على ذراعيه فيما صوب ثالث البندقية الى رأسه.

الطفل رامي وعمره عامان لا يعرف النطق الا انه قلد بحركاته كيفية اقتحام الجنود لمنزلهم واعتقال والده وعمه وهذا امر خطير ينعكس عن نفسية الطفل وحياته الطبيعية مستقبلاً.

يقول «جواد» المصاب انه ما زال يؤمن بالسلام الا ان ممارسات الاحتلال وما خلفته من اثر في نفوس المواطنين لا يمكن اغفالها او تجاهلها حتى ولو وقعت اتفاقية السلام للوضع النهائي في القريب العاجل....

ويضيف: عشرات السنين من الاضطهاد والالم والمعاناة لا يمكن ان يمحوها حبر على ورق فهذه نفسيات المواطنين ومشاعرهم ومن الصعب تجاهلها الا انني مع السلام.

اما شقيق زياد الاكبر فيقول انه لا سلام مع المستوطنين مشيرا الى ما سمعه مؤخرا في التلفزيون من الزعيم الروحي عوفاديا



• الضغط في تصاعد.. لماذا يقررون الانفجار؟ •



● حلف القامعين: الجنود مع المستوطنين ●

بوسيف من ان «الله اخطأ عندما خلق العرب» وهذا من وجهة نظره امر خطير يدل على نفسية المجتمع اليهودي المتدين، الذي يسير على خطى عوفاديا يوسيف صاحب المقاعد البرلمانية الـ(١٧) في الكنيست!!

فنجان قهوة في الشرطة

احد ايام السبت ادعت مستوطنة من كريات اربع ان فلسطينيًا تحرش بها جنسيًا في طريقها للصلاة وفي اعقاب الادعاء هاجم المئات من المستوطنين منازل المواطنين من موقع كريات اربع وامتدادًا الى الحرم الابراهيمي وشارع السهلة وسط المدينة. وحطموا مجموعة من سيارات المواطنين واصابوا (٢٧) مواطنًا بينهم سبعة صحفيين وحطموا محتويات المحلات التجارية خلف كنيس «افراهام افينو» فيما شاركهم في الاعتداء على المواطنين وضربهم قوات الجيش الاحتلالي.

الشرطة في حينه لم تعتقل المعتدين من المستوطنين رغم ان الاعتداءات وقعت تحت بصرها..

بعد ايام من وقوع الحادث تجول افراد الشرطة الاسرائيلية في الشارع العام والتقوا المواطن ايمن ابو داهود. الشرطي «نعيم» دعا الشاب لشرب فنجان من القهوة في مقر الشرطة. وعندما رفض الشاب لانشغاله بتأمين شراء «الخبز» لاخوته المرضى اصر الشرطي على اصطحاب الشاب، حيث القي في غرفة ثم امروه بتشخيص صورة معلقة على الحائط. فأجابهم انه لا يعرف الشخص، الذي بدا على شاكلة مجرم. فقالوا له: هذا انت، ألا تعرف!!

الى مقر الشرطة وصلت والدة الشاب تحمل وثيقة اثبات هويته، قالوا لها «اليس هذا هو ايمن في هذه الصورة؟». فقالت: «لا هذه صورة مجرم محترف وليس ايمن»!!

يقول «ايمن» ان الشرطة الصقت الصورة خلف اوراق ونقلته معها الى مركز التحقيق..

المحقق شلومو افراتي كان سيئًا في التحقيق - يقول ايمن. لقد قرأ التهمة عليه وهي الهجوم على مستوطنة والتحرش بها وتقبيلها في يوم ١٥ تموز الماضي.

قال ايمن: لم اكن في المدينة في ذلك الحين وهذا افتراء فانا اعمل في مدينة القدس ولا اعود لبيتي يوميًا..

صرخ شلومو بالشاب قائلاً: عليك الاعتراف يا ابن كذا وكذا موجهًا شتيمة لا اخلاقية لامه واصفًا اياه زيادة على ذلك بأنه ابن كلب ومحاولاً رفع يده!!

يقول ايمن انه اجاب الشرطي بقوله «الله يعدمك ولادك اذا بدك تضربني لانني بريء من هذه التهمة».

المحقق هدد الشاب بالسجن في حالة اصراره على موقفه برفض التهمة!! ثم قرر ادخاله السجن ٩٦ ساعة على ذمة التحقيق تم تجديدها الى ٩٦ ساعة اخرى بعد انقضائها...

تقول عائلة ايمن ان الشرطة اتصلت بهم بهدف دفع (٢٠٠٠) شيكل مقابل الافراج عن ابنهم الا انهم اجابوا الشرطة بانهم لا يملكون آلة طبع للنقود، فهم فقراء وقد اعتادت الشرطة اعتقال ابنهم دون اسباب واجبارهم على دفع كفالة مالية..

ايمن هو المعيل لأخوة ثلاثة يعانون من اعاقة عقلية ولزوجة ابيه ووالده المريض بالغضروف والذي لا يقوى على العمل، وهو يعمل أجيرًا في مخمر في القدس ويضطر الى المبيت في موقع العمل في منطقة الرام. والاسرة تعتمد على دخل ايمن اليومي وهو (٨٠) شيكلا واحيانًا يزيد او يقل عن ذلك وفقًا للعمل في ذلك اليوم. عائلة ايمن قضت ليلتها دون عشاء لأنه لم يعد اليهم بالخبز الذي ذهب لشرائه اثناء اعتقاله.

محامي ايمن هو متطوع قدم الخدمة اليه بناء على توصية جريدة «الحياة الجديدة» ويقول انه توجه الى مقر الشرطة وتداول مع المحقق كوهين في امكانية الافراج عنه.

ويقول توفيق جحشن، محامي ايمن: رفضت مطلب الشرطي مصرًا على احضار المستوطنة المشتكية لتشخيص الشاب الموقوف حيث امتثل المحقق لذلك وقاموا باحضار المستوطنة بعد ان عرضوا امامها على طاولة مجموعة من الصور بينها صورة ايمن للتعرف على الشخص المعتدي عليها.

عملية التشخيص استمرت نصف ساعة - يقول المحامي، الا ان المستوطنة اكدت ان احدًا من الصور المعروضة عليها لم تره من قبل ولم يعتد احد عليها من بينهم.

يقول المحامي ان المحقق طالب المستوطنة بالتحقق من الصور ثانية ومن صورة ايمن بالذات إلا انها نفت التهمة عنه.

وهكذا افرج عن الشاب.. ثمانية ايام في السجن. امر غير معقول. يقول والده: ان احدًا لا يشعر بمشاعر الفقراء وظلمهم. لا احد يعرف معنى الظلم. فقط من عاشه. هكذا يموت الفقراء ولا يحس بهم احدًا!!

قال ايمن بعد الافراج عنه ان مشاعر الخوف كانت تراوده في السجن فهو على علاقة سيئة بالمستوطنين الذين يصعدون يوميًا الى سطح منزله المقام عليه موقع عسكري، يشتمون العائلة ويرشقونها بالنفايات والحجارة. مائة كيلو من نفايات مستوطنة «افراهام افينو» رشقت باتجاه منزلهم، مما يضطره احيانًا لرد شتيمة المستوطنين المعتدين على عائلته بالمثل.

هكذا راودته الوساوس في السجن. ربما اراد المستوطنون التخلص منه فهم يواصلون التقاط صوره وسبق ان هاجموا بسطة الموز التي يبيعها احيانًا في المدينة وقد ادخلوه السجن ظلمًا، وسبق ان دفع غرامات مالية في الشرطة استدانها من صاحب العمل وسددها بعد الافراج عنه.

قال ايمن ان مشاعر سيئة سيطرت على تفكيره كان يصحو منها وهو يرش جسمه بالماء البارد ثم يعود للنوم. فما اكثر الظلم في هذه الدنيا. ولدت مظلومًا وعشت مظلومًا في حياتي. فهل اعيش بقية العمر على هذه الشاكلة؟ - يتساءل ايمن.

المواطنون يشعرون بالاحباط في قلب الخليل المحتل ولا يرون اية امكانية للتعايش مع المستوطنين، والمستقبل امامهم غامض حتى لو منح الاسرائيليون السلطة الفلسطينية حق السيطرة على المدينة والمستوطنات فهم لا يعرفون ما يخبئه لهم القدر في علاقاتهم مع هؤلاء المتطرفين الذين يجب اخراجهم من المدينة كما يؤكدون.

ازدهار جابر هي والدة احد المتهمين بقضايا التحرش بالمستوطنات. تقول ان اسرتها اعتادت ان تعيش ظلم الاحتلال وهمجيته. فقد اعتقل زوجها ١٤ عامًا في السجون، واقتحم منزلها سبع مرات وحتى عام ١٩٩٨ كانت تخلع ملابسها وتتعرى كلما ارادت زيارة زوجها في السجن. اما مستوطنة «كريات اربع» فقد اقيمت على انقاض منزل عائلتها وهي تواقة لافراغ المستوطنة من المستوطنين. تقول ازدهار: على الاحتلال ان يندحر من الأرض الفلسطينية حتى حدود ١٩٦٧. إلا انها تؤمن بأن حيفا ويافا واللد والرملة جميعها ارض فلسطينية مغتصبة ولا شرعية للبهود فيها، الا ان خروج المستوطنين من الخليل غنيمة بالنسبة اليها اذا تحقق ذلك شريطة ألا يرافق ذلك تنازل عن القدس فهي عربية اسلامية وعاصمة ابدية للدولة الفلسطينية.

تقول ازدهار انها تنتظر الغد بفارغ الصبر وسترى ما ستؤول اليه المفاوضات التي تسمع عنها كل يوم ولا تدري شيئًا عن حقيقة ما يدور فيها.

ازدهار ام قوية قالت عندما تلقت نبأ اعتقال ابنها بأنه ناب عن والده في السجن، إلا أنها عندما سمعت التهمة قالت أنها ليست من اخلاق ابنها النبيلة التي تربى عليها. إلا إنها اعتادت ظلم الاحتلال الذي ما زال يحرم زوجها من دخول المنطقة الخاضعة لسيطرته في مدينة الخليل.

التحقيق في مختلف الاتجاهات

مدير شرطة الخليل الكولونيل آفي آردتي لا ينكر خطورة الادعاءات بالتحرشات التي تقدمت بها مجموعة من المستوطنين وان الشرطة تحقق بجدية للوصول الى مصداقيتها او عدمها حيث اجتمع بالمستوطنين مؤخرًا لقناعته بخطورة جرّ النساء الى مواجهات مع الشبان من هذا القبيل. يقول آردتي: اننا نحقق في كل الاتجاهات حتى لا تكون النتائج أكثر خطورة على الوضع في المدينة. وهو يؤمن بأن مثل هذه الشكاوى في مجتمع كمدينة الخليل يقود الى مزيد من العنف.

افراد الجيش يتعاملون بعنف مع المواطنين ويزيدون عنف المستوطنين واعتداءاتهم على المواطنين، فهم لا يعرفون سوى لغة الضرب والهجوم والاعتقال في مجمل الاحداث في المدينة. وعندما يمتزج الجنود بالمستوطنين في الاحداث يتحول موقع الحدث الى مسرح للجرعة الهستيرية العسكرية والاستيطانية. لا فرق بين المستوطن والجندي فيما يتصرفون ويفعلون.

«الترانسفير» الصهيوني/الملف المفتوح (الحلقة الخامسة)

نبوءة الشرتوك التي تحققت...!



• في ١٩٤٤ تنبأ موشيه شاريت (اصبح فيما بعد وزيرا للخارجية ورئيسا للحكومة) بأن النتيجة النهائية لإقامة «الدولة اليهودية» قد تكون «ترانسفير ضد العرب»! • لابان الصهيوني وطبعة جديدة لمفهوم قديم من «الترانسفير».. وهذه المرة ضد المواطنين العرب في البلاد •

أنطوان شلحت وهشام نفاع

١

«ترانسفير» أحدث طبعة:

لابان من نسل كينغ!

• مليونير صهيوني امريكي ينشر اعلانات في الصحف الاسرائيلية تدعو المواطنين العرب الى اعلان الولاء المطلق لاسرائيل كدولة يهودية.. والا فليرحلوا! •

• هذه الدعوة الموتورة تعيد انتاج صياغات وردت في «وثيقة كينغ» سيئة الصيت وتنسجم مع ما يدعو اليه حزب رسمي ممثل في الكنيست منذ عدة دورات، ما يعني ان تفكير «الترانسفير» ذا الجذور العميقة في الصهيونية، فكرا وممارسة، لا يزال حيا يرزق! •

* قبل اسبوع اطل علينا، داعيًا لاقتلاعنا من وطننا الذي لا وطن لنا سواه، احد الصهاينة الاغنياء. وهو من فرط صهيونيته يعيش في امريكا «ام - ارض - المبعاد». ولكن الاميال الكثيرة، التي تفصل خالقة بعدًا جغرافيًا جديًا، لم تمنع القرابة الايديولوجية، الجدية ايضا.

اسمه روبرت لابان. وهو الرئيس السابق لحركة تسمى Jewish Federation Of The North Shore" وهو معرّف حسب الاعلان الذي نشره في «معاريف» (٢٠٠٠/٨/١١)، بأنه «رجل اعمال» ومن «اهل الخير» اذ انه «معطاء».

ومما جاء في اعلانه، الذي امتد على صفحة كاملة، وبأحرف بارزة:

١) «حسب تسلسل الاحداث منذ اتفاقية اوسلو، فاسرائيل يسكنها مليون عربي. والاستطلاع الاخير بيّن ان ٧٠٪ منهم يعرفون انفسهم كفلسطينيين، وليس كعرب او كعرب اسرائيل. وما يكمن في صدورهم يطلقه اعضاء الكنيست العرب الذين يطالبون دولة اسرائيل بأن تصبح دولة كل مواطنيها، في قصد الى نهاية اسرائيل كدولة يهودية».

٢) «رغم الزعم حيالهم بشأن انعدام المساواة والاستغلال، فإن مستوى حياتهم في اسرائيل اعلى من اشقائهم سكان الدول العربية الـ(٢٢). بالاضافة الى ذلك فان معدل اعمار عرب اسرائيل، ونسبة وفيات اطفالهم ومستوى التعليم في المدارس مساوية للمعدل العام في الدولة. والاساس الوحيد لانعدام الحب نابع من تاريخ الكراهية للشعب اليهودي».

٣) «الآن، اضافة للتهديد من اعداء اسرائيل المحيطين بها من الخارج، فإن اسرائيل مجبرة على التعاطي مع اعدائها الداخليين، الذين سيزدادون قوة مع اقامة دولة فلسطينية».

٤) «ماذا يتوجب على اسرائيل ان تفعل؟ اولاً يجب ان تقر انها دولة يهودية رغم مخاطر الرفض من قبل مؤيديها. عليها ان ترفض بشكل قاطع موقف اعضاء الكنيست الداعين الى جعل الدولة لكل مواطنيها مع علم جديد يتضمن رموزاً عربية ايضا».

٥) «مع ظهور الدولة الفلسطينية يتوجب على عرب اسرائيل الاختيار ما بين الاخلاص لاسرائيل او للكيان الفلسطيني، او لأي منهما. من يختر الاخلاص للدولة الفلسطينية يجري تشجيعه على المغادرة. ومن يغادر يتلقى تعويضًا منصفًا عن املاكه. ومن لا يعبر عن الاخلاص لدولة اسرائيل، ويختار مع ذلك البقاء في الدولة، يجازى عبر تقليص الحقوق، التي هي من نصيب المواطنين الاسرائيليين المخلصين، بما في ذلك حق الاقتراع».

٦) «المعطاء» لابان يختتم بأن «اسرائيل يجب ان تختار الحياة»!

ربما لا يمكن تجاهل التداعيات التي يتركها الاسم لابان، عندما يشكل توقيعا على ما سلف. فأول من يطرأ في البال هو الفاشي الفرنسي جان ماري لابان، سيء الصيت، المعروف بعدائه لكل ما هو غير ابيض، والذي طالما شوهد في كرنفالات التحريض على المهاجرين العرب والافارقة الى الدولة الفرنسية.

ولكن في نظرة معمقة اكثر، تطفو في الذاكرة مفاهيم شبه تقليدية في المؤسسة / العقلية التي ينطق لابان هذا باسمها. فنزعة تلقين الفلسطينيين الباقين في وطنهم بالقبضة الحديدية، وجعلهم يفهمون «من هو صاحب البيت»، ليست جديدة. لطالما تكررت في المقولات الرسمية، ولا تزال «تشرق بظلاميتها» في حوارات الرأي العام في اسرائيل.

فكم من مرة كان الرد الامثل على وقاحة احد العرب بالدعوة «اذا لم يعجبك هذا فاذهب الى غزة» او الى رام الله او الى بير زيت (هذه الدعوة الاخيرة هي الرائجة في الجامعات، في الباحات الاكاديمية الدمقراطية..).

للتنويه، لن نشير هنا الى موروث الآباء الصهاينة للابناء، فيما يتعلق بعقلية الترانسفير والاقتلاع والطرد. فذلك امر مفهوم. ولكن، المحاولة هي تقصّي ما علق في الذهنية العامة وفي التوجه شبه التلقائي الذي يقفز الى عربات الترحيل (سائقًا) كلما صعّب عليه احدنا الادعاء، او تجرأ على ملامسة الرواية التي نسجت مرة بالحراب، ولا تزال تتفرفط باستمرار، لان الحراب ايضا سيعلوها الصدأ مرة!

هناك صعوبة منهجية، في هذا الاطار، لاثبات تسرب مفاهيم الآباء المؤسسين الى شرائح الرأي العام الراهن. هناك حاجة لفحص العملية التي مرتها تلك المفاهيم. ورغم ذلك، من المنطقي جدًا الادعاء، من قبلنا بأن الاسراع في كل مرة، و«الاقتراح علينا» بالمغادرة، ناتج عن ذهنية تشرعن هذا الفعل المقترح، ولا ترى فيه غضاضة اخلاقية. بمعنى، ان ما سبق وتأسس بالنص والفعل عند اقامة الدولة وعشيتها وغداتها، علق في الذهنية الاسرائيلية المتوسطة، بوصفه جزءًا من الموروث.. وعن الموروث هناك شرعية للدفاع. وتزداد الشرعية تأصلا عندما يتكرر فعل التنكر ويكاد يتحول الى فعل كبت نفساني لفعلة دموية تطهيرية!

فهذا المليونير الامريكي لم يكتشف امريكا ببرنامجه المتواضع، ولكن العنصري. لقد سبقه الى هذا - والحق يقال - مبدعون كبار! كانوا في قلب المؤسسة ومن واضعي سياساتها وبرامجها. احدهم هو بسرائيل كينغ (هل تذكرونه؟) صاحب الوثيقة المشهورة، التي شاهر فيها بمكنون المؤسسة تجاه الفلسطينيين في اسرائيل، ليشهّر بالتالي، ذاتيًا، بسياسة لم تظهر نفسها بعد، مما يشبه ما تعرض اليه اولئك الذين تزعم تمثيلهم.

هذه الوثيقة اثارت في حينه (في السبعينيات) عاصفة، لكنها لم تعصف حتى النهاية بما تنضح به من نزعة قمعية واقتلاعية. فلا يزال في البرلمان الاسرائيلي حزب شرعي (حسب القانون!) ينقش على رايته شعار الترانسفير للعرب كتسوية سياسية. وزعيم هذا الحزب رحبعام زئيفي انسان ذكي، فهو يعرف كيف يدافع عن طرحه هذا. ويقول عادة: ماذا تريدون مني، ان فكرة الترانسفير تبناها كل القادة الاوائل ابتداء من بن غوريون (نوافقه هذا الرأي)..

الوثيقة جاءت كرد مؤسساتي على اقوى الانجازات الشعبية للجماهير الفلسطينية: يوم الارض (١٩٧٦). فقد زعزع هذا التحرك كل التوقعات التي علقها القامعون على نتائج قمعهم. ليكتشفوا ان هؤلاء «العربوشيم» قادرون على الرفض. فالقدرة على الرفض تتحول الى انجاز في ظروف اقلية سكانية خرجت لتوها من حوالي ربع قرن عاشت فيه تحت الحكم العسكري. ولكن هذه القدرة نفسها تصبح خرقة حمراء في وجه الثور المؤسساتي الهائج! وهكذا ولدت هذه الوثيقة/الادانة.

لا مجال هنا لاستعراض كافة مركباتها، رغم انها تنسج ما يشبه الخارطة التي تتيح قراءة «ضمير المؤسسة» كما وصفتها هيئة تحرير «الجديد» في افتتاحيتها في حينه (١٩٧٦/١١/١٠). وهذا الضمير ليس مستترًا الا بقدر ما لم يقله. لأنه عبر ما فعله كان ضميرًا فاعلاً لفعلات خطيرة. ومما جاء فيها:

«تزايد العرب الطبيعي في اسرائيل هو بنسبة (٩٠٥٪) سنويًا، بينما تزايد اليهود الطبيعي هو (١٠٥٪) سنويًا.

وتشتد هذه القضية بشكل خاص في اللواء الشمالي حيث الجمهور

العربي كبير جدا. فقد بلغ تعداد العرب في منتصف ١٩٧٥ (٢٥٠) ألف نسمة بينما بلغ تعداد اليهود في اللواء (٢٧٩) ألفا. اما البحث في ذلك حسب الاقضية فيثبت ان العرب في الجليل الغربي (٤٨٪) من مجموع الاهلين. وبينما ازداد عدد السكان اليهود (٧٥٩) نسمة في اللواء الشمالي تزايد العرب ٣٥ ـ ٩ نسمة».

بالاضافة: «بحسب وتيرة التزايد هذه سيصبح العرب في ١٩٧٨ يشكلون اكثر من ٥١٪ من سكان اللواء».

«اما حس القوميين المتطرفين - وهذا تقديري عن الاهلين العرب - فهو ان تكاثرهم في الجليل يحمل في طياته خطرا على سيطرتنا ذاتها في المنطقة، ويفتح الطرق امام قوات عسكرية من الشمال لتدخل اسرائيل. وهي مرتبطة بتصعيد المسيرة القومية المتطرفة بين عرب اسرائيل واستعدادهم للمساعدة في ذلك» (البند أ).

هذه الفقرة تعكس الحالة الهستيرية ازاء عدد العرب وعدهم دوما بشكل يشبه العادات القسرية. هذه الحالة تنعكس في عدة مفاهيم واصطلاحات: مرة «الخطر الديغرافي»، مرة «القنبلة الديموغرافية»، واحيانا تقرأ الحالة عبر دوائها المقترح، مثل «التهويد»، «وقف التوسع العربي» و«قطع الطريق على التواصل بين وادي عارة والضفة». وهذا مجرد نقطة في مستنقع آسن.

الوثيقة تتسلسل من «القضية الدمغرافية ومظاهر التطرف القومي العربي»، الى «الزعامة العربية وبرامجها» و«الاقتصاد والعمل» و«التعليم» و«تطبيق القانون» وحتى البند المسمى «بعد ٣٠ آذار، الاقتراح رقم ٢٠» وفي طياتها هناك الفقرات التي تعيد انتاج المفهوم القديم بالادوات المستحدثة. ولنقرأ فيما يتعلق بالطلاب، والتحذير من تطرفهم:

«تسهيل السفر الى الخارج لاغراض التعليم والتصعيب عند الرجوع وعند تسجيلهم للعمل - هذه السياسة من شأنها ان تشجعهم على الهجرة» (البند د).

اذن فالاستعداد الاساسي للتهجير لا ينفك يكشف عن نفسه بشتى الانعكاسات. اذا كان التهجير الاول تم بقوة السلاح، عبر محو قرى بكاملها وافتعال حالات الذعر والخوف احيانا، واقتراف المجازر في احيان اخرى، فان الاساليب تغيرت في حين لم تختلف الاستعدادية الاساسية.

فقد جرى تطوير نزعات يجيّر من خلالها التخطيط الاقتصادي والدمغرافي لتحقيق هدف محاصرة عدد العرب، والحد من تكاثرهم.. (ما هي حدود مفهوم التطهير العرقي؟ - سؤال هام). وبعدها تتكرر الافكار عبر مبادرات مختلفة المصادر، ولا يتوقف خروجها بكل صلف في المحادثات الصغيرة/ اليومية.. وتتواصل الفضيحة البرلمانية، بوجود حزب يمتطي الترانسفير طرحا، دون ان يخدش هذا حتى الحياء الاسرائيلي..

ومما يستحق تأملا هو هذه السهولة غير المحتملة في اشهار سلاح «اذا لم يعجبك فاذهب» كلما دق المنطق بالرواية المختلقة. ففي العمق تختبئ نزعة اطلاقية: اما نحن واما انتم. اما روايتي انا او لا شيء. اما ان تقتنع او ان تختفي - واذا قلنا ان هذه الاطلاقية شبه الاصولية تتبلور باستمرار في ظل الادعاءات بالدمقراطية، فعندها يبدو حجم الطامة!

وربما ان احدى الحاجات هي نقص متعدد المجالات، للعلاقة بين ما تم فعله عام (١٩٤٨) وبين ما لا يزال يتكرر في التعابير السياسية و«الثقافية» غير آبه بحقيقة: انه يواصل كشف نفسه وفضحها!

٢

بن غوريون و«الترانسفير»: المزيد من كشف المستور!

• «ترحيل السكان العرب هو الذي يجعل خطة الاستيطان الشامل ممكنة.. والقوة اليهودية في البلاد، الأخذة في التعاظم، ستزيد ايضا في امكاناتنا لتنفيذ الترحيل على نطاق واسع» (بن غوريون -١٩٣٧/٨/٧) •

• «انني اؤيد الترانسفير القسري ولا أرى فيه أي شيء غير خلقي» (بن غوريون ١٩٣٨/٦/١٢) •

• ح. فايتسمان: «ترحيل نصف مليون عربي يتيح امكانية استيعاب مليوني يهودي مكانهم!» •

• موشيه شاريت «تنبأ» في ١٩٤٤: ما الذي سيحدث عندما تقوم الدولة اليهودية؟ من الجائز جدا ان تكون النتيجة ترانسفير ضد العرب! - النبوءة تحققت في ١٩٤٨.. •

* أوردنا، فيما سبق، جملة من الاقتباسات التي تؤكد من غير ادنى لبس ان آباء الصهيونية ناصروا فكرة «الترانسفير» باعتبارها واحدة من ادوات تحقيق مشروعهم الاستعماري الاحلالي في فلسطين، الارض والشعب.

واي حديث عن «الترانسفير» لا بد ان يقود الى دافيد بن غوريون، الذي كان على ما يبدو من اكثر قادة الحركة الصهيونية وفيما بعد دولة اسرائيل هجسا به. كذلك لا بد ان يقود، وان بقدر اقل، الى حاييم فايتسمان.

هذان المذكوران «ضبطا»، اكثر من غيرهما بين قادة الصهيونية، متلبسين باطلاق سيل من المواقف والرؤى في تأييد «الترانسفير» ضد الفلسطينيين. ومثل هذه المواقف والرؤى يتم اماطة اللثام عنها، باستمرار، كنتيجة لعملية الحفر البطيئة الجارية منذ عدة سنوات في الارشيفات الرسمية وشبه الرسمية الخارجة من ظلال السرية. ويقوم بهذه العملية، في اسرائيل حصرا، مجموعة من المؤرخين اليهود الشبان الذين التصق بهم توصيف «المؤرخين الجدد».

وسبق ان تعرضنا، في حلقة سابقة من هذا الملف المفتوح، الى حصيلة الحفر الذي قام به احد هؤلاء المؤرخين وهو بيني موريس، استاذ التاريخ في جامعة بئر السبع والذي خضع موقفه من مسألة «الترانسفير» الى تعديل واضح منذ ان اصدر كتابه الهام «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين».

يعترف موريس بأن هذا التعديل جاء لكي يتجاوز عدم اعطاء الاهمية الكافية، في الكتاب المذكور، لـ«النزعة» «الترانسفير» لدى الصهاينة لتفسير ما حدث فعلاً في فلسطين سنة ١٩٤٨.


ישראל חייבת לבחור בחיים
מאת: חברט י. לאפין

ويؤكد موريس في هذا الصدد («مجلة الدراسات الفلسطينية»، عدد ٣٤، ربيع ١٩٩٨) انه قبل سنة ١٩٤٨ سادت بين القيادة الصهيونية المتنفذة ما يسميه «حالة ذهنية» قبلت «الترانسفير» حلاً مشروعا للصراع على فلسطين. وما ان بدأ هذا «الترانسفير» طوعا، حسبما يقول، في اواخر سنة ١٩٤٧ ومطلع سنة ١٩٤٨ (المقصود حين فر العرب، بصورة اساسية، خوفا من القذائف والرصاص) حتى كانت القيادة الصهيونية بتوجيه من بن غوريون مستعدة للمضي قدما بالعملية ومستعينة بعمليات طرد احيانا. فتحول الزحف الاولي الخفيف للاجئين الى مدّ من الطوفان خلال الفترة بين نيسان - تموز ١٩٤٨، الامر الذي ادى الى تفاقم مشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

هذه «الحالة الذهنية» يرجع موريس بداياتها الى تموز ١٩٣٧ بالارتباط مع توصيات «لجنة بيل» الملكية البريطانية الداعية الى تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية، والتي تحدثت ايضا عن عملية «تبادل سكاني»، طوعية او قسرية.

اما مرجعيتها فتكمن في حقيقة ان فكرة «الترانسفير» كانت ذات جذور ضاربة في العمق لدى الحركة الصهيونية منذ سنوات تأسيسها الاولى، وذلك ما تمثل عليه تصريحات ومواقف في يوميات ثيودور هرتسل وفي مؤلفات وخطابات غيره من القادة الصهيونيين امثال يسرائيل زنغويل ومناحيم اوسيشكين وارثور روبين. (الاعتماد الرئيسي هنا هو على دراسة موريس التي حملت عنوان «ملاحظات حول الهستوريوغرافية الصهيونية وفكرة الترانسفير في السنوات ١٩٣٧ - ١٩٤٤» والتي ظهرت ضمن كتاب «بين الرؤيا المراجعة»، تحرير يحبعام فايتس، اصدار: مركز زلمان شزار - القدس ١٩٩٧).

وقد ظلت هذه الحالة الذهنية هي المسيطرة حتى عندما تراوحت فكرة «الترانسفير» بين مد وجزر بالارتباط مع تأييدها او انحسار هذا التأييد، من جانب بريطانيا، والرأي العام الدولي. الامر المهم في هذا الخصوص هو ان بن غوريون، في مرحلة ما، اصبح غير ميال الى الحديث العلني عن الموضوع درءا لأي ضرر قد يلحق بالحركة الصهيونية ومخططاتها من جراء ذلك. ولهذا فقد حرص على ان تكون عملية التعمية على تصريحاته هو وغيره في هذا الشأن تعمية شاملة تماما. وبعد اقامة دولة اسرائيل تواصلت، بتوجيه من بن غوريون، الجهود الرامية الى اخفاء مواقف وتصريحات صدرت عن قادة الحركة الصهيونية قبل سنة ١٩٤٨.

وهذا الصمت المريب على مواقف تأييد الترانسفير اصبح، ايضا، جزءا من الممارسة الهستوريوغرافية الصهيونية الرسمية وشبه الرسمية، بحيث بتنا نصادف ابحاثا تاريخية تتناول احداث العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين من غير التطرق البتة الى تأييد قادة الحركة الصهيونية لفكرة «الترانسفير»!

من هذه الابحاث كتاب شبتاي طيفت «نشوء الترانسفير في التفكير الصهيوني» الصادر باللغة الانجليزية في ١٩٨٩، وكتاب انيتا شبيرا «سيف الحمامة» الصادر باللغة العبرية في ١٩٩٢.

ان مأخذ موريس الرئيسي على اصحاب هذه الابحاث انهم تواطأوا مع عمليات الشطب والحذف والتصحيف التي تعرضت لها الوثائق الخاصة بهذا الموضوع، مكتفين بما تبقى منها للاعتماد عليه في خلوصهم الى النتائج النهائية. ولذا فهو يقوم بقراءة مغايرة تتتبع المسكوت عنه.

من هذه الوثائق، المثيرة للاهتمام، رسالة وجهها بن غوريون الى ابنه عاموس في ١٩٣٧/١٠/٥ وكان موضوعها النقب. وقد كتب فيها (طبقا للنص الاصلي الوارد في «مكاتبات بن غوريون» المحفوظة ضمن ارشيف الجيش الاسرائيلي) انه اذا تم تسليم النقب فعلا الى العرب (بموجب ما تقرر في توصيات «لجنة بيل») فان الدولة اليهودية، في نهاية المطاف، ستحتل المنطقة بقوة السلاح «لأنه لا يمكن لنا تحمل ان تبقى مساحات شاسعة من الارض غير المأهولة خالية، بينما في مقدورها ان تستوعب عشرات الآلاف من اليهود»! واضاف: «واذا ما اضطررنا الى استخدام القوة فسنستخدمها من غير تردد، لكن فقط حين لا يبقى امامنا خيار آخر. اذا اضطررنا الى استخدام القوة فليس من اجل طرد العرب من النقب او من غور الاردن وانما من اجل تأمين الحق الذي نستأهله في الاستيطان هناك»!

ولقد شطب بن غوريون الاسطر التي تتحدث عن حق الدولة اليهودية العتيدة في احتلال النقب وغور الاردن، لصالح الاستيطان اليهودي، من صيغة الرسالة التي ظهرت في كتابه «رسائل الى فولا والى الاولاد» الصادر في سنة ١٩٦٨.

وفي ٧ آب ١٩٣٧ ابلغ بن غوريون المؤتمر الصهيوني العشرين، الذي عقد في زيوريخ (على خلفية نشر توصيات «لجنة بيل»)، ما يلي (بحسب النص الحرفي وليس الاختزالي الذي خضع للحذف، والمحفوظ في الارشيف الصهيوني المركزي تحت الترقيم ١٥٤٣-٨٥):

«ينبغي علينا ان ندقق بعناية ما اذا كانت مسألة الترحيل ممكنة، وما اذا كانت ضرورية، وما اذا كانت خلقية، وما اذا كانت مفيدة. نحن لا نريد ان نطرد احدا. ترحيل السكان سبق له ان حدث في الغور وفي الشارون وفي اماكن اخرى. وانتم تعرفون نشاط «الكيرن كاييمت ليسرائيل» في هذا المجال. اليوم يجب ان يتم تنفيذ الترحيل على نطاق مغاير تماما. في انحاء كثيرة من البلاد لن يكون الاستيطان اليهودي الجديد ممكنا الا اذا جرى ترحيل الفلاحين العرب. ولقد تعاملت اللجنة [بيل] مع هذه المسألة بجدية ومن المهم ان هذه الخطة [المقصود اقتراح اللجنة ترحيل ٢٢٥ الف عربي الى خارج الدولة اليهودية المنتظرة - المحرر] جاءت من قبلها وليس منا. ترحيل السكان هو الذي يجعل خطة الاستيطان الشامل ممكنة. ومن حسن حظنا انه لدى العرب [في فلسطين] مناطق واسعة وخالية [خارج فلسطين]. والقوة اليهودية في البلاد، الآخذة في التعاظم، ستزيد ايضا في امكاناتنا لتنفيذ الترحيل على نطاق واسع. ويجب عليكم ان تتذكروا ان هذه الطريقة تنطوي ايضا على فكرة انسانية وصهيونية مهمة، لنقل اجزاء من شعب ما [اي عرب فلسطين] الى بلادهم واستيطان اراض خالية [في الاقطار العربية]. واننا نؤمن بان هذه العملية ايضا تقربنا اكثر من الاتفاق مع العرب»!

اذا، بن غوريون يتحدث صراحة هنا عن امكانية ان تقوم «القوة اليهودية»، الآخذة في التعاظم، بتنفيذ «الترانسفير» ضد عرب البلاد عن طريق استعمال القوة.

بعد عام صرح بن غوريون في اجتماع اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (في ١٩٣٨/٦/١٢): «انني اؤيد الترانسفير القسري، ولا ارى فيه اي شيء غير خلقي».

وبعد حوالي ستة اعوام اعلن بن غوريون في اجتماع آخر للجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية (في ١٩٤٤/٥/٧): «ان ترحيل العرب اسهل من اي ترحيل آخر. فهناك دول عربية حول [فلسطين].. ومن الواضح انه اذا ارسل العرب [الى خارج فلسطين] فان ذلك سيحسن وضعهم، لا العكس».

بعد ذلك بأكثر من شهر اعلن بن غوريون في اجتماع اللجنة التنفيذية للوكالة الصهيونية (في ١٩٤٤/٦/٢٠): «انني لا ارفض الترحيل على اسس خلقية او سياسية».

لم يكن بن غوريون وحده الذي يؤيد «الترانسفير» في الهرمية الصهيونية. ففي الواقع، كما يؤكد موريس، سجلت اكثرية قادة الحركة في الثلاثينات والاربعينات تأييدها لهذه الفكرة (في منتديات مغلقة على الاقل).

وكان في «طليعة» هؤلاء، حاييم فايتسمان الذي ألقى خطابا سياسيا في المؤتمر الصهيوني العشرين المذكور في ١٩٣٧/٨/٤ يبدو انه تطرق

◄◄◄



• آثار فعلات الاقتلاعيين الاوائل.. هذا ما «توقعوه» •

خلاله باسهاب وايجابية الى فكرة «الترانسفير»، كما يبدو انه عرض «خطة عينية تفصيلية» بشأن التنفيذ.

لماذا نقول «يبدو»؟

لان المحضر الرسمي الذي نشرته الحركة الصهيونية خلا من اية اشارة الى ذلك. ويقيت بضع ايما ات في خطابات متحدثين آخرين في المؤتمر تعرضت الى ما قاله فايتسمان، على النحو التالي:

* موشيه غليكسون، محرر «هآرتس»: «... ثمة بيننا متحمسون يؤمنون بامكانية ترحيل مئات آلاف العرب من الدولة اليهودية بطرفة عين. حاييم فايتسمان، الذي يعد اكثر حذرا من كثيرين غيره، يؤيدون اقتراحه، قال هنا انه يمكن خلال ٢٠ سنة نقل مئة ألف عربي الى الدولة العربية. اي بمعدل ٥ آلاف نسمة للسنة الواحدة. وقد حكى لنا فايتسمان عن خطة انشاء صندوق لاستيطان كبير [خاص بالعرب الذين يتم ترحيلهم]».

* مناحيم اوسيشكين: «عندما سمعت اقوال الزعيم رقم واحد في حركتنا، د. فايتسمان، حول برنامج ترانسفير ٣٠٠ ألف عربي خارج الدولة اليهودية، قلت في قرارة نفسي: أ الى هذا الحد تغلغل هذا الوباء في صفوف الاشخاص العظماء!».

حتى ارثور روبين، المعدود على «المعتدلين» في القيادة الصهيونية وأحد مؤسسي حركة «بريت شالوم»، ايد «الترانسفير» كما يستدل موريس على ذلك من خطابه في المؤتمر ذاته، الذي ألقاه يوم ١٩٣٧/٨/٦.

كذلك طرحت فكرة «الترانسفير» على جدول اعمال اللقاء الذي عقد في لندن بتاريخ ١٩٤١/١/٣٠ بين حاييم فايتسمان والسفير السوفييتي في لندن، ايفان مايسكي. وقد اوجزه الاول بالعبارات التالية:

«.. قال فايتسمان انه اذا امكن ترحيل نصف مليون عربي فان ذلك سيتيح امكانية استيعاب مليوني يهودي مكانهم. وهذا طبعًا سيكون الدفعة الاولى، وما سيحدث فيما بعد امر متروك للتاريخ. فعلق مايسكي بأنه كان عليهم ايضا في روسيا ان يتعاملوا مع تبادل سكان. فقال فايتسمان ان المسافات التي عليهم ان يتعاملوا معها في فلسطين ستكون اقصر، فهم سيرحلون العرب الى العراق او شرق الاردن فقط. وسأل مايسكي: ألن تنشأ صعوبات نتيجة لترحيل سكان بلد جبلي الى السهول؟. فرد فايتسمان انه يمكن البدء بالعرب في غور الاردن. وفي اية حال فان الاوضاع في شرق الاردن لا تختلف كثيرا عنها في مناطق فلسطين الجبلية».

وردت، في ما سبق، اشارة من جانب بن غوريون الى ان «ترحيل العرب اسهل من اي ترحيل آخر». وكان ذلك في سياق اجتماع اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في ١٩٤٤/٥/٧.

ويتبين من محضر هذا الاجتماع (محفوظ في الارشيف الصهيوني المركزي تحت الترقيم S١٠٠/٤٢b) ان جميع اعضاء اللجنة التنفيذية تكلموا بروح مشابهة للروح التي تكلم فيها بن غوريون:

* يتسحاق غرينبويم (اصبح فيما بعد وزيرا للداخلية في حكومة اسرائيل سنة ١٩٤٨): «هناك مصلحة عربية في تأييد الترانسفير، وهي تكمن في زيادة سكان العراق بالمزيد من العرب. ووظيفة اليهود احيانًا هي ان يفتحوا اعين العرب على امور لا تزال بعيدة عن رؤيتهم..».

* الياهو دوبكين (مدير دائرة الهجرة في الوكالة اليهودية): «ستبقى في البلاد اقلية [عربية] كبيرة ويجب اخراجها. لا مكان لكوابحنا الداخلية».

* اليعزر كبلان (اصبح فيما بعد وزير المالية في حكومة اسرائيل سنة ١٩٤٨): «لدي فقط طلب واحد في مسألة الترانسفير هو الا نتناقش فيما بيننا، لأن من شأن ذلك ان يلحق بنا افدح الاضرار حيال الخارج».

* رأي كبلان حاز على تأييد دوف يوسف، المستشار القضائي للوكالة وفيما بعد وزير القضاء وموشيه حاييم شبيرا، من «هبوعيل همزراحي» وفيما بعد وزير الهجرة والصحة.

* فيرنر دافيد سانتور (من رؤساء الجامعة العبرية): «لا انظر الى الترانسفير باعتباره مسألة خلقية او غير خلقية.. انه امر ما كنت ارفض تفحص جوانبه».

بيد ان التصريح الاكثر اثارة في هذا الاجتماع صدر عن موشيه شارتوك (شاريت)، الذي اصبح فيما بعد وزيرا للخارجية ورئيسًا للحكومة، اذ قال وكان أول المتكلمين:

«يمكن ان يكون الترانسفير درة التاج، المرحلة الاخيرة في التطور السياسي، انما ليس نقطة الانطلاق بحال من الاحوال. من خلال حديثنا السابق لأوانه عن الموضوع نجند قوى هائلة ضده ونفشله سلفًا».

واضاف: «ماذا سيحدث عندما تقوم الدولة اليهودية؟ من الجائز جدا ان تكون النتيجة ترانسفير ضد العرب»! تلك كانت نبوءة شاريت في ١٩٤٤ والتي تحققت في ١٩٤٨- سنة اقامة «الدولة اليهودية» وسنة الذروة في اقتراف جريمة «الترانسفير» ضد الشعب العربي الفلسطيني، التي لا يزال ملفها مفتوحا.

محمد بكري

حايه

قد لا تكفي صفحة واحدة في «الاتحاد» لتعطي حايه، هذه الانسانة العظيمة حقها!

كان قد اطلق على الممرضين والممرضات، تسمية «ملائكة الرحمة».

وصدق المسمّون.

جاءت التسمية لتغاني هؤلاء الملائكة في خدمة المرضى المحتاجين، ولبياض قلوبهم وملابسهم.

وحايه من هؤلاء، ممرضة تعمل في صندوق المرضى - كوبات حوليم - في قرية البعنة ودير الاسد.

حايه تتكلم العربية الدارجة مثلنا تمامًا، فمفرداتها لا تختلف عن مفردات ام محمد وام الياس، فتراها في البعنة تضخم «هذا». فتخرج من فمها «هاظا» جبلية جدا، واما في دير الاسد، فتمد الالف واليا، وتنغمهما حتى تكادا تكونان بلا نهاية، وين رايحيح - وين رايح؟

تقضي جل وقتها في بيوتنا، تعالج اهلنا تزورهم وتقدم لهم ماهم بحاجة اليه على احسن وجه، تقرأ المكاتيب وتترجمها اذا لم يهتد اصحابها الى مفاتيح اللغة.

تأكل وتشرب على طاولاتنا، تفرح في افراحنا، تحزن في اتراحنا، تتدخل في حل المشاكل العائلية وتقدم النصائح، تعرف الناس بالاسماء، صغارا وكبارا.. وتكاد تعرف كل عاداتنا المكشوفة والسرية.

تتعرف على الافراد «عالاحة» لا تفضل مريضًا على مريض.. لا تعترف بالحسب والنسب.. المريض بالنسبة لها او صاحب المرض هو الحسب والنسب..

هي شيء يشبه الاسطورة..

بالامس.. جاءت ومعها حزمة من «الفرفحينة» اعطتها لامي، «حوسيهم، مليح للسكري»

هي الامل. هي ما يعيد بنا، ثقة مهزوزة، حتى عندما تراها تقول: بعد في الدنيا خير!

حملة

oome

والأربعين حاسوب



الجائزة الاولى

40

جهاز حاسوب

وعشرات آلاف الجوائز

كيف نربح؟

نشتري من مختلف مشروبات شويبس ٢لتر أو علب شويبس،نبحث عن رقم لجائزة تحت الغطاء او اللسان، ونفوز!

رقم 8 تربح حاسوبًا — رقم 4 تربح ساعة يد
رقم 2 تربح ميني كومباكت ديسك — رقم 5 تربح قنينة شويبس ٢لتر
رقم 3 تربح ديسك مان — رقم 6 تربح علبة شويبس

اذا لم تجد رقماً، ستجد حرفاً ...

إجمع الحروف وركّب كلمة "oome"(بالعبرية) ارسلها الى ص.ب ٢٦٧٦ الناصرة ١٦٠٠٠ مع الاسم الكامل، العنوان والهاتف،وشارك في السحب على الجوائز التالية:

أجهزة حاسوب ، أجهزة ميني كومباكت ديسك ، أجهزة ديسك مان وساعات يد.

اذا وجدت رقماً لإحدى الجوائز، إتصل على: **03-6366072** واذا ربحت قنينة او علبة شويبس استلمها في نقاط البيع. الصور للتوضيح فقط.

يمكن الإطلاع على انتظمة الحملة في مكاتب بفلورا شراكة محدودة للتسويق. الحملة سارية المفعول حتى ٢٠٠٠/٩/١ السحب يتم حسب شروط التصريح العام لإجراء سحوبات للدعايات التجارية باشراف (كوست فورر چباي-مراقبي الحسابات).

oome

مذاق عالمي



التعليم الخاص ضحية للتمييز العام!

• المعطيات في تقرير «شتيل» حول جهاز التعليم الخاص في المجتمع العربي تطرح اسئلة صعبة جدا. ففي بعض الحالات لا توجد حتى ابسط الآليات التربوية لتشخيص حالة الطفل واحتياجاته. و«الثمار» في خاتمة المطاف نقطفها جميعا. يقطفها مجتمع بأكمله •

تقرير: حسن مواسي

* اذا كانت اوضاع التعليم العربي قاتمة، فانها تصبح ذات قتامة خاصة فيما يتعلق بالتعليم الخاص.

مركزة مشروع التربية الخاصة في المجتمع العربي في جمعية «شتيل» رونق ناطور، اعدت مؤخرا تقريرا حول الاوضاع المأساوية في جهاز التعليم الخاص في الوسط العربي. تقول:

«الاوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي، في اسرائيل، سيئة ومنغلقة في غالبية النواحي، وعلى وجه الخصوص، في الامور والقضايا التي تخص الاطفال من جيل (يوم - ١٧ سنة)، والذين يشكلون ٣٥٪ من نسبة السكان في دولة اسرائيل.

وتضيف ناطور مؤكدة، ان واحدة من الفئات التي لا تزال تعاني من اهمال متعمد ومقصود، من قبل السلطات ذات الصلة بالموضوع، والمختصة في هذا المضمار، وبصورة خاصة ومتواصلة، هي فئة الاطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، الذين تصل نسبتهم الى ١٨٪ من الاطفال في مؤسسات التعليم الخاص بشكل عام...

التقرير الذي اعدته، يكشف عن مدى الاهمال المتواصل، في جهاز التعليم الخاص، من قبل وزارة المعارف، منذ سن القانون عام ١٩٨٨ وحتى يومنا هذا.

ناطور: حسب خلاصات التقرير، يمكننا حصر النواقص التي يعاني منها جهاز التعليم الخاص في ثلاثة مجالات اساسية:

١. مشاكل قانونية: القانون نفسه لا يعطي الحقوق الثقافية للاقلية العربية في الدولة، وهناك مشاكل في المواد التي اقرتها الوزارة ايضا. اذ يضطر الطلاب لدراسة هذه المواد بالعبرية. زد على ذلك الزيادة في نسبة الاطفال العرب في جهاز التربية والتعليم الخاص، على الرغم من عدم الحاجة الى ذلك، لو توفرت البدائل الاخرى الملائمة.

٢. مشاكل في التشخيص وتوفير الاطر الملائمة:

يمكن تقسيم هذا البند الى ٤ فروع وهي:

أ. نتيجة للنقص الحاد في الملاكات للاخصائيين النفسيين، هنالك مشاكل في عملية التشخيص. وعدم وجود الاطار الملائم لاحتياجات الاطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة.

ب. النقص في اجهزة التشخيص الملائمة للطفل العربي وتربيته وثقافته..

جـ. عدم وجود لجان تنسيق وفقا للقانون في كثير من الاحيان.

د. ونتيجة لما ذكر تكون التوصيات تبعا للاطار القائم وليس للاطار الملائم لاحتياجات الطفل.

٣. الاهمال والتمييز:

نظرا لتواصل سياسة الاهمال والتمييز في توزيع الميزانيات بين جهازي التعليم الخاص في المجتمعين اليهودي والعربي، نتج عن هذا التمييز وجود فجوة عميقة بين الجهازين، وبذهب ضحية هذا التمييز الحاصل الاطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة.

وبنا؛ على ما ذكر اعلاه - ترى ناطور - انه يمكننا الاستنتاج، ورؤية هذا التمييز ايضا في نقص وعدم توفير الملاكات اللازمة وساعات الدمج، وكذلك مشاكل المواصلات والسفريات، هذا بالاضافة الى نقص في المباني الملائمة، واكتظاظ في الصفوف، وعدم ملاءمة المنهاج التعليمي لاحتياجات الطالب العربي، وايضا النقص الحاد في طواقم المهنيين والاخصائيين في المجال العلاجي والقائمة طويلة..

لا شك ان الاوضاع المزرية والملحة في جهاز التعليم الخاص للاطفال العرب تشكل مؤشرا لمدى تحضر الدولة ودمقراطيتها، تقول ناطور بسخرية سوداء.. والسؤال الذي يسأل اين هي الدمقراطية، في دولة تدعى «الدمقراطية»؟ وهل الدمقراطية بهذه الصورة التي لا تحترم ابسط حقوق الانسان الاساسية؟ فلا يعقل ان تواصل السلطات المسؤولة التنصل من المسؤولية تجاه هذه الفئة من الاطفال المحرومين «اصلا»؟ ولا نفهم معنى ان تحمل كل مؤسسة المسؤولية لمؤسسة اخرى؟!

فهل تبادل التهم بين هذه المؤسسة وتلك، هو الحل لهذه المشكلة ذات الطابع الانساني من الدرجة الاولى؟!

ناطور: نحن في جمعية شتيل، وكأخصائية في الشؤون الاجتماعية، نطالب وزارة المعارف وليس «وزارة الاهمال»، بالقيام بوقف حملة تراشق التهم وتبادلها بينها وبين المؤسسات «الدمقراطية» الاخرى في الدولة كلما تعلق الامر بالعرب... عليها العمل وبسرعة لايجاد حل لمشكلة هؤلاء الطلاب واحترام حقوقهم، وذلك من خلال المباشرة فورا بسلسلة نشاطات وفعاليات عملية، عبر توزيع الميزانيات بصورة متساوية وعادلة.. بل تطبيق سياسة «التفضيل الايجابي» التي تتباهى الدولة بها. فلا يكفي التباهي بل يجب اثبات اعتماد تلك السياسة، عبر تنفيذها.



• مؤشر على تحضر الدولة.. •

النقب

نبهان مكاوي عامل اجتماعي وناشط في هذا المجال في البلدات العربية في النقب. وقد اعد ايضا تقريرا حول اوضاع التعليم الخاص في النقب العربي. ويقول: عندنا في النقب النسبة الكبرى من الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة. وذلك لأسباب اقتصادية - اجتماعية وغيرها..

ويتضح هنا ايضا، ان القانون في واد، والنقب في واد آخر، واكتشفنا من خلال التقرير، العيوب، ومدى اهمال الوزارات والمؤسسات الحكومية المختلفة، التي تتحمل المسؤولية عن هذا الاهمال وهذا الوضع السيء. ومن بين العيوب ان اكثر من ٤٥٪ من المعلمين في جهاز التربية والتعليم الخاص غير مؤهلين، هذا ناهيك عن النقص الكبير في الملاكات، والاخصائيين مثل المعالجة بالتدليك، التشغيل والنطق...

ويضيف مكاوي: هذا التقرير اولى حيث قمنا بعملية مسح وجمع كثير من المعطيات التي تقشعر لها الابدان حول جهاز التعليم الخاص والوضع في النقب اكثر قتامة من الوضع العربي العام ونحن في جمعية «شتيل» وبالتعاون مع الاهالي، نعمل جاهدين من اجل تغيير هذه الاوضاع، اذا ان هناك الكثير من الاطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يتواجدون في اطر تعلمية عادية، او داخل بيوتهم ولم يتمكنوا من الوصول الى مراحل التشخيص ولجان التنسيب، وقلما يمر الطفل المعاق بهذه المراحل، وهكذا يتم وضعه في اطار غير مناسب، ولا يليق بأي إطار تعليمي.

يتساءل مكاوي: لماذا لا نكافح من اجل وضع اطفالنا المعاقين من ذوي الاحتياجات الخاصة في اطر مناسبة؟

سلمان ناطور

حكايات الانسان العربي

الحلقة الثامنة

حكاية امرأة جزائرية: تطاولت على الأدب

في أحد الأيام اقتحم بيتها قوة من الشرطة وقال لها ضابط، لم يكن مؤدبا بشكل خاص، انه يقترح عليها مغادرة البلاد لأن حياتها مهددة بالخطر: «سيقتلونك»، قال لها الضابط، «ولن نتمكن من حمايتك، اذا بقيت هنا فأنت تتحملين المسؤولية».

لفت انتباهها وفضولها الصحيفة العربية التي تقلبت بين يدي في المقهى الباريسي على جادة سان جيرمان. كانت تتحدث الفرنسية مع زميلة لها وتتناول مثلي الاسبرسو والكرواسون، ثم قامت وتقدمت مني وطلبت أن أشعل سيجارتها وهي تخاطبني باللغة العربية، ولما عرفت أنني فلسطيني خاطبت زميلتها بالفرنسية ثم عرضت علي الانضمام اليهما، وقالت: «أنا أحلام، من الجزائر وصديقتي ايزابيل من باريس، أنا مقيمة عندها».

لا أتكلم الفرنسية، وحاولت هي تكلم العربية القريبة من الفصحى، وكانت تترجم كل ما يقال لصديقتها التي اهتمت بما يجري في فلسطين بقدر ما اهتممت أنا بما يجري في الجزائر.

«أنا هاربة من الجزائر»، قالت أحلام التي يزيد عمرها عن الأربعين، ثم تابعت: «حياتي هناك معرضة للخطر، سيقتلونني، حتما سيقتلونني».

التعرف على امرأة من الجزائر كان أحد أجمل أحلام طفولتي وشبابي. أنا ابن الجبل الذي فتح عينيه على صورة جميلة بوحيرد، الأسطورة العربية الجزائرية التي طبعت في وجداننا رمزا لمقاومة الاحتلال والنضال الوطني والحرية. كل امرأة جزائرية بالنسبة لجيلنا كانت جميلة بوحيرد، وعندما قالت لي أحلام انها من الجزائر، عدت الى ذلك الحلم أو عاد الي ليقول لي «ها هي أمامك، قل لها ما كنت تريد أن تقوله عندما كنت شابا وكتبت لها قصيدة»، ولكن أحلام خذلتني عندما قالت: سيقتلونني..

لماذا يريدون قتلها؟

«أقيم في بيت ايزابيل، منذ عامين، انه ملجأ وبيت دافيء، وايزابيل ترافقني الى كل مكان، انها حارسي الشخصي»

قالت وضحكت وترجمت أقوالها الى الفرنسية وضحكت صديقتها.

«سأعوض لها ما فقدته بسببنا خلال أكثر من مائة عام»

قالت صديقة أحلام وأضافت:

«ربما أننا نحن السبب في أنك ملاحقة ومهددة بالقتل»

وسارعت أحلام في الترجمة لترد على صديقتها بشيء من الاعتذار:

«لا، نحن السبب، نحن خلقنا قوى الظلام، انهم منا وليسوا منكم».

في الجزائر كتبوا عن أحلام أنها تطاولت على الأخلاق والأدب، انها تطالب بتحرير المرأة الجزائرية وأقامت حركة نسائية نظمت الاجتماعات والمظاهرات دفاعا عن حقوق المرأة، فكتب أحد الظلاميين انها تمس بأخلاق المجتمع، وفي أحد الأيام اقتحم بيتها قوة من الشرطة رثال لها ضابط، لم يكن مؤدبا بشكل خاص، انه يقترح عليها مغادرة البلاد لأن حياتها مهددة بالخطر: «سيقتلونك»، قال لها الضابط، «ولن نتمكن من حمايتك، اذا بقيت هنا فأنت تتحملين المسؤولية».

هربت من وطنها الذي دفع بدم مليون شهيد ليتحرر من الاستعمار الفرنسي، وها هي دولة الاستعمار تحميها من وطنها. حالة غريبة لا يستطيع أن يفهمها فلسطيني مثلي يعتبر نفسه غارقا حتى الرقبة في النضال ضد الاحتلال والاستعمار ويحلم بوطن حر ومستقل، امتدادا للحلم الذي طرزته له جميلة بوحيرد حين كان طفلا يتدرب على فك الحرف العربي.

«في السنوات العشر الأخيرة قدمنا ٢٠٠ ألف ضحية أخرى، لماذا ؟

سألت أحلام، وظل سؤالها في الفضاء الباريسي وحملته معي في الطائرة الاسرائيلية وما زال معي، آخذه الى كل مكان والى كل بقعة في وطننا الصغير وها أنا ألقي به هنا ليصل الى الوطن العربي الكبير، لعله يعيد أحلام الى وطنها سالمة وهناك تعيش بلا مطاردة ولا خوف.

هذه المرأة الجزائرية ليست أحلام مستغانمي، الكاتبة الجزائرية التي تتعرض هي أيضا لعملية قتل من نوع آخر، «لأنها تطاولت على الأدب»، كتبت رواية جميلة وتحدثت بصراحة ويصدق عنها وعن الجزائر وعنا أيضا، وعن أحلام اللاجئة في باريس، فجأة ها التهديد ليس من قوى ظلامية غيبية بل من زملائها من كتاب وصحفيين في الجزائر وتونس ومصر، وأنكروا عليها قدرتها على صياغة رواية جميلة، فقط لأنها امرأة، فقط لأنها مثقفة، فقط لأنها متحررة، فقط لأنها أفضل منهم.

اغتيال من نوع آخر تتعرض له أحلام مستغانمي، والذين ينكرون عليها قدرتها على الكتابة الراقية، كالذين ينكرون على أحلام الأخرى حقها في الدفاع عن حقوق المرأة، ويثير الغضب سكوت العديد من الكتاب العرب والمثقفين وتأتأة البعض.

حال المرأة المتحررة في الجزائر ليس أفضل من حالها في أي بقعة من العالم العربي، انها معرضة للاغتيال في كل مكان، لأنها تتقدم في الطريق لاسترداد حقوقها، تتقدم في الحياة اليومية والسياسية والثقافية، والذين يضعون العراقيل في طريقها هم أولئك الذين يعتبرون نساءهم جواري وخادمات ولا يصلحن الا لتلبية حاجات ذكورية غرائزية.

أحلام مستغانمي تخوض معركة الدفاع ليس فقط عن أدبها، بل عن وجودها، كامرأة أولا وكاتبة ثانيا، وأحلام اللاجئة في باريس تخوض معركة الدفاع، ليس فقط عن حياتها بل عن حرية جزائر المليون و ٢٠٠ ألف شهيد، وحرية المرأة العربية في كل مكان.

انقطعت أخبارها، لم يصلني منها شيء ورقم الهاتف الذي كنت أكالمها عبره لا يجيب، منذ شهور لا يجيب، لا أعرف ماذا حدث لأحلام، هل عادت الى وطنها أم قتلها أولئك الذين يطاردونها ؟

«التطاول على الأدب»، بمفهوميه الثقافي والأخلاقي، أصبح تهمة عربية تعرض صاحبها الى المطاردة والقتل الروحي والجسدي، فكيف سيرتقي العرب بالأدب ثقافيا وأخلاقيا ؟

مع هذا السؤال سنتوقف هنا عن سرد حكايات الانسان العربي، ليس لأن الحكايات انتهت بل لأنها لا تنتهي.

لا أعرف اذا تركت اي اثر، أو اذا غيرت شيئا، أو حركت أحدا من أجل خلاص هذا الانسان من حالته الميكية المضحكة، يبدو لي أن الكلام لا يقع الا على الكلام، وما نحن الا بدرجة «أضعف الايمان».



فنجان زوفا

محمد علي طه

ملعون ابو الديموقراطية

زعم زعيم عربي شاب، قبل اشهر قليلة، ان الديموقراطية لا تتلاءم مع الشعب العربي وتراثه وحضارته وتاريخه لأنّ الديموقراطية نتاج تطور اجتماعي وسياسي وتاريخي مرّت به الشعوب الغربية او الاوروبية.

وهكذا غسل الزعيم الشاب يديه من دم هذا القدس الذي اسمه الشعب العربي. ويرر الاضطهاد والظلم وكبت الحريات وابداع الناس في ظلمات السجون لسنوات طويلة، واجاز كمّ الافواه، وتجميد العقول، وغسل الادمغة، وتحويل اجهزة الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية الى ابواق تمجد الزعيم الاوحد وتسبح بحمد الرئيس الابدي.

الزعيم العربي الشاب قرر ان يرعى قطيعا لا ان يحكم شعبا حيا ذا تاريخ عريق وتراث اصيل وحضارة عريقة. والقطيع ينفذ اوامر الراعي بدون نقاش او احتجاج.. يأكل ويشرب ما تيسر له، ويحمد الخالق والحاكم على النعمة. ينام وينهض ولا يجرؤ ان يقص لأحد احلامه. ويسير في الدائرة المرسومة له، واذا تجرأ تيسر او عنّ ان يخرج عن المسيرة تفترسه الذئاب.

لم يدع ملك او امير او رئيس عربي في القرن العشرين انه ديموقراطي، فكلمة «ديموقراطية» من المحرمات والممنوعات ويعاقب القانون على استعمالها وحتى الحلم بها فهي مفسدة لأخلاق العامة والخاصة - كما يرون - وخطر ماحق للعروش والكراسي والنظام.

لم يزعم الرئيس جمال عبد الناصر، وهو اعظم زعيم عربي في القرن العشرين، انه يطمح الى نظام ديموقراطي بل كان يطمح الى نظام عربي قومي وطني ذي عدالة اجتماعية ومن اجل تحقيق ذلك وأد الحريات ودفن حقوق الانسان وصادر احلام الافراد والجماعات.

ولم تدخل كلمة الديموقراطية قاموس البعث العربي في سوريا والعراق ولم تتسلل الى اجندة الحكام القوميين في الجزائر وتونس وليبيا والسودان واليمن.

الانظمة العربية الجمهورية انظمة جمهورية بالاسم ملكية ديكتاتورية بالممارسة.. وتحولت الى انظمة جمهورية ملكية - اي «جملكية» وفق التعبير الهيكلي - في التوريث فقط وكأن معاوية بن ابي سفيان قد بُعث في الشام من جديد في توريث ابنه يزيد لا في بناء دولة قوية حديثة.

واما عن الانظمة الملكية والاماراتية والمشيخاتية فحدث ولا حرج.

كان الرئيس محمد انور السادات هو الرئيس العربي الوحيد الذي تحدث عن الديموقراطية وتفاخر في وضع اسسها في بلاده. وتباهى في تطبيقها في نظامه فزعم انه اطلق الحريات ورعى كرامة المواطن وسمح بتشكيل الاحزاب.

فأية حريات اطلق؟

واية كرامة رعاها؟

واية ديموقراطية كانت؟

ان ما حدث للكاتب والمفكر العربي المصري لطفي الخولي يكشف لنا عن الديموقراطية والحرية والكرامة التي ادعاها نظام السادات.

كان لطفي الخولي كاتبًا ومفكرًا ومناضلاً كبيرًا. له دراسات فكرية وسياسية هامة مثل «دراسات في الواقع المصري المعاصر» (١٩٦٤) و«حوار مع برتراند راسل وجان بول سارتر» (١٩٦٨) و«٥ يونيو الحقيقة والمستقبل» (١٩٦٨) و«حوار مع ابو مدين» (١٩٧٥) و«مدرسة السادات السياسية واليسار المصري» (١٩٨١). وله ثلاث مجموعات قصصية هي «رجال وحديد» (١٩٥٥) و«ياقوت مطحون» (١٩٦٦) و«المجانين لا يركبون القطار» (١٩٨٦) وله ثلاث مسرحيات هي «قهوة الملوك» (١٩٥٩) «والقضية» (١٩٦٣) و«الارانب» (١٩٦٤) وعمل في زمن الرئيس عبد الناصر رئيسًا لتحرير مجلة «الطليعة» واشتغل في زمن الرئيس مبارك في مؤسسة «الاهرام» كما كان رئيسًا لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا.

عرف لطفي الخولي السجون منذ اواخر الاربعينيات وغيب فيها في زمن الملك الفاروق والرئيسين عبد الناصر والسادات ١٢ مرة. لا اكثر ولا اقل!!

وفي السجون كتب مجموعاته القصصية ومسرحياته.

واذكر اني قلت له في لقائنا في مكتبه في جريدة الاهرام في يناير ١٩٨٩: اقترح ان تطلب من سيادة الرئيس مبارك ان يسجنك؟

فسأل بذهول: لماذا؟

اجبت: كي تكتب عملاً ادبيا جديدا!

في لقائي معه وفي مكتبه الواسع الانيق في جريدة «الاهرام» بالقاهرة وبحضور الشخصية الوطنية الجزائرية الاخضر الابراهيمي وعدد من الاصدقاء، روى لطفي الخولي قصته الشهيرة مع الرئيس السادات فقال «دعاني سيادة الرئيس مرتين الى القصر ودار بيننا نقاش سياسي وفكري ولم تتفق آراؤنا.. وبعد ايام رن جرس الهاتف في منزلي فرفعت السماعة واذ بمدير مكتب الرئيس يدعوني لمقابلة الرئيس للمرة الثالثة فاعتذرت مدعيا المرض لانني كنت موقنًا ألا اتفاق مع افكاره... وماهي الا دقائق واذا بجرس الهاتف يرن مجددا فرفعت السماعة واذا صوت سيادة الرئيس يجلجل: «يا ود يا لطفي. ريسك يطلبك وتزعم انك مريض!! البس هدومك دا الوقت. السواق بانتظارك ع الباب!».

ووصل لطفي الخولي الى قصر الرئيس فوجده بانتظاره. فاصطحبه الى جلسة هادئة في حديقة القصر على شاطئ النيل في ظل شجيرات مزهرة من الدفلى.

وبدأ النقاش..

وطال الحوار..

وغربت الشمس..

وصفق الرئيس بيديه فجاء الخادم مسرعا فطلب العشاء له ولضيفه.

يقول لطفي الخولي: وضعوا الطعام على التربيزة، وقد حل الظلام ولم يشعلوا النار. ودعاني الرئيس لتناول العشاء. فحدقت في الاطباق والصواني واعتقدت انها مملوءة بالكفتة والكباب. تناولت قطعة ووضعتها في فمي واذا هي «طعمية» اي فلافل. وانا لا استطيع ان اكل الطعمية، ففي معدتي حساسية لها منذ ايام السجن. حاولت ان امضغ اللقمة فلم استطع. غافلت الرئيس وتناولت اللقمة من فمي ورميتها على الارض، ثم تناولت لقمة اخرى من طبق آخر ظانًا انه كباب او كفتة ودسستها في فمي واذا هي طعمية مرة اخرى.

تظاهرت بالمضغ والاكل وغافلت الرئيس ثانية ورميت اللقمة على الارض.. فانفجر الرئيس ضاحكًا وقال: مالك يا لطفي. يا اشتراكي. يا بتاع العمال والفقراء. لا تأكل الطعمية؟

ونادى الخادم وامره بتنظيف التربيزة واحضار العشاء المؤلف من اللحوم والخضار وغيرها.

تناولا الطعام. ولم يتفقا بالآرا..

ونقلت سيارة الرئيس السادات الكاتب والمفكر لطفي الخولي الى بيته.

وكل هذا - حتى الآن - جميل وحضاري وديموقراطي..

ودخل الخولي الى بيته.

وخلع ملابسه..

وارتدى منامته..

واذا بطرق شديد على الباب..

وقاده عسكر الرئيس مقيدا بالاغلال الى السجن..

وقضى فيه سنوات!!

لماذا؟

لأن الرئيس ديموقراطي اطلق الحريات وحافظ على كرامة المواطن!!

ولأن الديموقراطية لا تتلاءم مع الشعب العربي وتراثه وتاريخه وحضارته!!

ولأن الرئيس يفضل ان يحكم قطيعًا لا شعبًا!!

لماذا وجع الراس؟!!!

يلعن.. يلعن.. يلعن ابوك ديموقراطية!!

الياس خوري

فيروز الثانية

خمسون عازفا، زياد الرحباني يجلس خلف البيانو الى يسار المسرح، قائد اوركسترا بوقع الموسيقى على جسده النحيل، مثل عصفور اسود في فضاء ملوّن. وفيروز، بعد موسيقى الافتتاح من «مديح الظل العالي»، اطلت فيروز بفستان احمر وغنت «لا انت حبيبي». في البداية كان كل شيء مترددا، كأن فيروز تنظر الى صورتها في المرآة فترى صورة اخرى، او كأنها تائهة وسط التدفق الموسيقي الذي ينهال من كل صوب. وتدريجيا بدأت الصورة تتبلور، وبدأ الجديد رحلة ولادته من القديم. في الواقع لم تغنّ فيروز سوى ثلاث اغنيات جديدة: «تتذكر ما تنعاد» و«كبيرة المزحة هاي» و«صباح ومسا» لكنها جعلت من كل شيء جديدا، فكان المتفرجون على موعد مع ولادة فيروز الثانية.

بين المشاعر القصوى التي يطلقها الحضور الفيروزي، والقدرة على التحليل الهادئ من اجل اكتشاف ملامح هذا الجديد، مسافة من الصعب قطعها. ففيروز تحتل حيزا خاصا في متخيل جماعي، وفي صناعة الذاكرة. لذا حين فاجأت نفسها بنفسها الجديدة، واستسلمت لنداء الاعماق، وتركت لموسيقى زياد الرحباني وكلماته ان ترحل بها الى مطارح جديدة، كانت تخوض مغامرة فيها الكثير من جذرية المغامرين وسحرهم. هبط الصوت من السماء الى الارض، وبدا نزق زياد الرحباني كأنه سفينة موسيقية تبحر الى البعيد، وتصنع حساسية جديدة ولغة جديدة.

عناصر هذه المغامرة سبق ان بدأت ترتسم في مجموعة من الاغاني كتبها زياد ولحنها: «كيفك انت»، «اشتقتلك»، «بتمرق عليي»... لكن هذه الاغاني لم تكن اكثر من تلوين على تجربة فيروز الرحبانية الطويلة، ولم تأخذ بعدها الا في حفلة بيت الدين، حيث كان كل شيء يبدأ ويصنع اوله. ان تغني فيروز «تلفن عباش» وان تجلس على الكرسي، وان تغادر المسرح وتعود اليه، وان يدخل صوت زياد في نسيج الاغنية، وان تشعر بالحزن والالم والفرح، من دون ان يمر الشعور في مصفاة الاسطورة والحلم والقداسة، فهذا يعني ان فيروز اثبتت ان الفنان يستطيع ان لا يكون سجين نفسه وماضيه، شرط ان يمتلك حساسية جديدة تابعة من التجربة.

ما هي ملامح الجديد؟

لا شك في ان هناك تجربة موسيقية جديدة وفذة، تنقل الاغنية من مكان الى مكان، لكنني لن انطرق الى هذا الجانب الذي لا اعرفه الا حدسا. بل سأتوقف عند ثلاثة ملامح لهذا الجديد الذي شاركت عيوننا في ولادته.

١- المدينة: لا نستطيع ان نؤطر التجربة الرحبانية - الفيروزية في اطار مقفل. فهي تجربة غنية وكبيرة ومتعددة الملامح. لكن السمة الاساسية فيها كانت ريفيتها. انها تجربة القرية بسذاجتها وجماليتها وتركيبها وتسامحها وذكرياتها. لقد صنع الاخوان رحباني من الريف حكاية رمزية كاملة، وبنوا لها عمارة من الشعر والموسيقى. فكان الشعر امتدادا للتجربة الرمزية في الشعر اللبناني (ميشال طراد وسعيد عقل)، وكانت الموسيقى تغرف من الفولكلور وتبحث عن الحداثة، وكانت فيروز رمزا لابنة القرية، التي ترث البراءة.

مع زياد الرحباني، انتقلت فيروز من الريف الى المدينة، من دون ان تقطع مع الريف. حملته معها وتركته يصطدم بالمدينة، ودخلت في حساسية مدينية جديدة، تجعلك تشعر ان العلاقات المدينية المعيشة تشكل عصب التجربة. اننا

امام مدينة تنطق بكل تناقضاتها، وامام امرأة تعيش هذه التناقضات وتجسدها، وتتخلى عن زمن الذكريات من دون ان تتخلى عن ذاكرتها.

٢- التجربة: لا ادري هل تقصّد مخرج حفلات فيروز في بعلبك منذ عامين ذلك، ام جاء الامر عفوا؟ يومها اطلت فيروز من الاعلى بالابيض، لتغني «بعلبك»، فبدت صورتها تشبه «سيدة حريصا»، والتصقت المغنية باسطورتها. هذه الصورة الاسطورية تقدم حكاية تُقرأ من نهايتها، وتجربة تستعيض عن الاشياء بالكلمات وعن المشاعر بالصور وعن الحاضر بالذكريات.

هذه الصورة الاسطورية كانت وليدة مرحلة امتزج فيها رخام سعيد عقل بشعرية جورج شحاده، وقامت رمزية الحكايات باستبدال الواقع المعيش بواقع استيهامي. وكان ذلك جميلا وساحرا وجديدا، يمزج الرومنسية بالرموز، والحقيقة بالخيال، ويقدم حساسية جديدة تقف على مشارف التجربة.



● فيروز: مع زياد انتقلت من الريف الى المدينة ●

في بيت الدين انقلب الموقف رأسا على عقب. بدل ان تتحول الاسطورة حقيقة، انتقلت الحقيقة لتصنع حكايتها. بدل ان تطل علينا القداسة الصافية اطلت علينا التجربة الانسانية، بكل ما فيها من تناقضات. لم يعد الصوت الجميل والساحر يأتي من خلف غيوم الفصاحة و/او من خلف الرموز الكبيرة و/او من خلف جبال اللغة والشعر، بل جاء الصوت عاريا، يتلون بالمشاعر، ويروي تجربة علاقة، ويقدم فيروز في صيغة امرأة تشبه حبيباتنا. لا تقول «تعا ولا تجي» بل «اشتقتلك». لا ترفض العتاب بل تعاتب. لا تبحث عن صورة بل عن حكاية. هذا الانتقال من الاسطورة الى الحكاية، لا يعني ان الاسطورة اندثرت، بل يعني ان فيروز تصنع اسطورة جديدة.

٣- الشعر - الكلام: تنتقل الاغنية من الشعر الصافي الى الكلام اليومي الذي يتحول شعرا، اي يعود الشعر الى الشعور، يستقي منه الكلمات والمواقف والايقاع. ولعل اغنية «صباح ومسا» هي التجسيد المتكامل لمعنى العلاقة بين الكلام العادي والشعر الجميل. في تلك اللحظات، حين صمتت الاوركسترا ووقفت فيروز وحدها امام البيانو وغنت عن الحب والاسى، كانت تلخص حكايتها بلحظات يمتزج فيها الصدق باللعب، والحب بالمحبوب، والصوت بايقاعات الطبيعة والحياة.

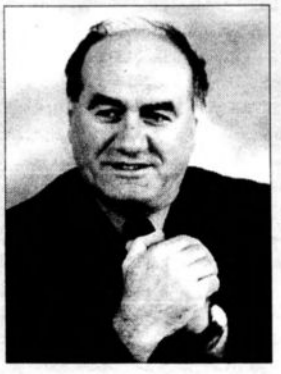
الكلام البسيط المباشر المعبّر، يلخص مدينية التجربة الجديدة من جهة، وابتعادها عن الاسطورية من جهة ثانية، وولادة حساسية فنية معاصرة، سبق لزياد الرحباني ان رسم ملامحها في اغانيه مع جوزف صقر، لكنها هنا مع الصوت الفيروزي تُدخل الحسي في النقاء، واليومي في الخيال، والعادي في المفاجئ.

كتبتُ عن كل شيء ولم اكتب شيئا. كان يجب ان ابدأ بشكر فيروز وزياد لأنهما صنعا لنا لحظة فرح نادرة، او كان يجب ان اقارن بين ما صنعه زياد لفيروز وما صنعه عبد الوهاب لام كلثوم، من اجل ان نكتشف حدود ما فعله الثاني وشكليته في مقابل جذرية ما قام به الاول الذي افتتح تجربة ثانية، ولم يكتف بالتنويع على التجربة الاولى. كان يجب ان اكتب عن المشاعر التي تدفقت والنور الذي سكبته الموسيقى، وجمالية الاوركسترا التي يقودها رجل يبدو راكبا حصان الريح.

لم اكتب شيئا، لا لأنني تحت انفعال المفاجأة بالجديد فقط، بل لأن الكتابة عن لحظة فنية في هذا الزخم لا تقل صعوبة عن الكتابة لحظة الانفعال.

(المقال ينشر باتفاق خاص مع الكاتب)

قراءة نقدية لنص حديث
أو
مصاحبة لقصيدة «أيها السائح» لمحمد الماغوط



بقلم: د. فاروق مواسي

* قلما يختلف قراء الشعر الجادون على ان محمد الماغوط (١٩٣٤-) اديب مبدع في نصه. ونادرًا ما نجد من ينكر طاقته الشعرية، كما نعدم من ينكر ان نصه الشعري حداثي - على اختلاف مفاهيم الحداثة -، ولعل كون هذا النص غير موزون ما يؤكد كذلك على حداثيته[١].

وما دام النص حداثيًا، ومبدعه ذا طاقة شعرية بارزة[٢] فانني سأعمد الى قراءة هذا النص على انه شعر - آخذًا بنظر الاعتبار قصدية المبدع [٣] اولا، وكذلك اتفاق الدارسين ونقاد الادب العربي الحديث على تميز لغته الشعرية[٤].

لنلج الى قصيدة «ايها السائح» للماغوط[٥]، وقد استهوتني بسبب ما فيها من عرامة الاحساس بالغربة، وبسبب العزف فيها على وتر الرفض، ولأنني لمست الصدق الفني متلقيًا ناقدًا، فدعتني الى التفكير والتأمل من خلال اكتشافي ان النص له موقف نقدي من الحياة والمجتمع، وان الانسان فيه هو البؤرة التي تشع حلمًا لحياة افضل[٦].

لن انضبط هنا بمنهج ثابت، ولن افتعل مقاييس هندسية، ولن تراوغني المقولات المعلبة؛ وانما سأصاحب النص متلقيًا متقربا، وسأحاول اقتناص الدلالات من كل لفظة في سياقها - ما استطعت الى ذلك سبيلا. امضي الى النص حرًا الى فضائه الحر[٧]، احاوره ويحاورني؛ وسبيلي في المصاحبة ايجاد الرؤى او اكتشافها، وهي تمتص شحنات الحاضر المعض لترسم مستقبلا مضيئًا، او على الاقل - وهي تبين لنا/ لي اي حاضر هذا ونحن نستقبل المستقبل[٨].

والبك النص اولاً:

ايها السائح

محمد الماغوط

طفولتي بعيدة.. وكهولتي بعيدة..
وطني بعيد.. ومنفاي بعيد
ايها السائح
اعطني منظارك المقرب
علني المح يدًا او محرمة في هذا الكون تومئ إليّ
صورني وأنا ابكي
وانا اقعي بأسمالي امام عتبة الفندق
واكتب على قفا الصورة:
هذا شاعر من الشرق.
ضع منديلك الابيض على الرصيف
واجلس الى جانبي تحت هذا المطر الحنون
لأبوح لك بسر خطير:
اصرف ادلاءك ومرشديك
وألق الى الوحل.. الى النار
بكل ما كتبته من حواش وانطباعات
إن أي فلاح عجوز
يروي لك «ببيتين من العتابا»
كل تاريخ الشرق
وهو يدرج لفافته امام خيمته.
الى القصيدة:

«ايها السائح»:

العنوان فيه دلالة خطابية مركزة [٩] على شخص غير عادي/غير مألوف، على الخارج عن اليومي او المدهش؛ وسيعود الراوي الشاعر الى هذا الخطاب في السطر الثالث بعد ان يقدم لنا في السطرين الاولين عصارة معاناته.

تقع القصيدة في مقطوعتين او في مجموعتين من السطور بينهما فسحة فراغية.

تبدأ المقطوعة الاولى بمطلع استذكاري انفعالي، فيه تنبيه اولا، وفيه بيان للناس ثانيًا:

طفولتي بعيدة... وكهولتي بعيدة...
وطني بعيد... ومنفاي بعيد

انه الضياع اذن المتمثل في الاخبار بالبعد - البعد المستمر اللازب؛ فالطفولة - وهي بريئة وجميلة - مرت وانطوت بحرمانها حتى غدت مجهولة او بعيدة عن ذاكرته، وكم بالحري اذا كانت هكذا ان تنسى ولا يبقى من اثرها ما يذكر.. وحتى كهولته[١٠] (ويعني شيخوخته) لا تقبل عليه، بل تظل بعيدة عنه. وها هو الراوي يتمناها في شبابه ليخلص مما هو فيه من عذاب مؤملاً ان يكون له هبة ما او ان يكون على شفا النهاية او الاستقرار. اذن هو في وسط الدوامة - لا يستطيع ان يرجع، ولا يستطيع ان يتقدم[١١]؛ لا يستطيع ان يحظى بعالم له معالم، فهذا فيه منتهى الضياع.

ويعود الى نفس الفكرة التي يرسخ فيها معنى الضياع ليقول لنا ان وطنه بعيد؛ والوطن يعني اولاً البيت والحمى والاهل، فاذا احس هنا بالبعد فانه يعيش مغتربًا مستلبًا. والانكى من ذلك انه لا يملك حتى المنفى - الذي قد يكون استقرارًا له على هجره وانكاره. وعلى ذلك فليس له وطن وليس له منفى[١٢].

يستعمل الراوي الطباق بدءًا ليعكس مدى الصراعية في قرارة نفسه، وذلك من خلال هذه الغربة الوجدانية التي تتفاعل فيه.

لو جربنا ان نحذف ياء المتكلم (المضاف اليه) لوصل الينا المعنى هكذا: لا طفولة ولا كهولة، ولا وطن، ولا منفى - كلها ليست حاضرة. ولكن الياء هذه تخلص الجمل من المباشرة، وتشحن الجمل بالتجربة الشخصية الحية، بالاضافة الى تقديمها الايقاع الصوتي الموسيقي المتعاقب.

بعد هذا الكشف الاولي لغربته في الزمان وفي المكان يتوجه الراوي الشاعر الى السائح مناديًا اياه: «ايها السائح» - هكذا مباشرة -، ويطلب منه الطلب تلو الآخر من غير ان نرى او نلمس اي رد فعل منه.

لقد انشغل الراوي بنفسه فقط، وما عاد يحفل إلا بتوتره وتواتر رجائه. انه لا يحيي السائح او يتلطف اليه، بل يباشره حالاً بالطلب: اعطني منظارك المقرب! ولفظة «المقرب» جاءت موازية لتقلل من حدة البعد، ولكنها عمليًا اكدت رسوخ الالم في نفسه، فها هو يطلب المنظار، ويمني نفسه: علني المح يدًا او محرمة في هذا الكون تومئ لي!

اذن هو يبحث عمن يعنى به، يحييه، او على الاقل ينتبه الى وجوده. فهذا الكون الواسع ليس فيه يد تشير اليه، بل ليس هناك حتى محرمة (بدون ان تظهر اليد). انه يطلب المنظار لعله يرى املاً عن بعد بعد ان عز ما في القرب واستعصى؛ وذلك في تنكر من حوله وجفائهم. والمنظار من شأنه ان يقرب، ولكن هيهات، ولذا تواصلت الجملة الشعرية طويلة وتلاحقت من غير توقف بشيء بالامل. اما لفظة المحرمة، العامية فقد جاءت معبرة اكثر من لفظة المنديل التي سيستعملها (بعد اربعة اسطر) في سياق الحديث عن السائح، وذلك بسبب صدقها وعفويتها، خاصة وهو يعقد الامل في خلاصه على الناس العاديين، وانى له ذلك!

ينتقل الراوي الى الطلب الثاني: صورني وانا ابكي!

ان الراوي يشير لنا ايحاء الى انه دائم البكاء، فالجملة الحالية ثابتة لا متنقلة، فلا يصح المعنى ان ينتظر السائح ساعة بكائه فقط ليلتقط له صورة، وبلغة اوصل - ليصوره.

انه يقعي وعليه اسمال ويجلس امام عتبة الفندق، فهذه الالفاظ فيها صورة لغوية لرجل كأنه الكلب، فقير جدا، ومنبوذ - يقعي امام العتبة (ذلك لانه محظور عليه الدخول بهيئته الزرية). يتخيل الراوي ان الفعل لا بد محقق، وانه سيصوره، فيطلب منه:

واكتب على قفا الصورة
هذا شاعر من الشرق

لم يطلب منه ان يكتب اسمه الشخصي، وها هو قد عرفنا لأول مرة على نفسه، فهو شاعر من الشرق. يقول شاعر ليرمز الى كل المثقفين امثاله ممن يعانون معاناته. ويقول «من الشرق» مقابلة للسائح من الغرب - عادة -، هذا السائح الذي يجيء الى الشرق ارتيادًا للسحر والمدهش والغريب عن عالمه.

قلت - لم يطلب منه ان يكتب اسمًا معينًا، بل طلب منه ان يكتب «هذا شاعر..» تنكير من غير تعريف، وكأنه يدل على شمولية المصير لدى القطاع الذي يمثله، فهو ليس وحيدًا في معاناته.

تأخر تعريفنا انه شاعر من الشرق، فجاء ذلك بعد ان وصف عذابات الانسان المسحوق عامة (من غير تخصيص)؛ فاذا ادركنا مدى شقاء المثقف (ومن المفروض ألا يكون بهذه الحدة) فكم بالحري ان نتساءل: كم سيبلغ شقاء ذلك المسحوق العادي اكثر من ذلك؟.

تنتهي الفقرة الاولى، ونستخلص منها عذاب الراوي وغربته، ومناشدته السائح ان يستعير منه منظاره للحظات، فلعله يرى بصيص امل في اعتباره كائنًا بشريًا له علاقاته الانسانية. يطلب منه ان يصوره باكيًا وهو يقعي امام عتبة الفندق - حيث يقيم الغرباء عادة ممن جاءوا يترفهون.

ان الوصف هنا اخذ ينطلق الى وصف المجموع بعد ان كان يدور حول الفرد.

تبدأ الفقرة الثانية بمناشدة السائح:

ضع منديلك الابيض على الرصيف
واجلس الى جانبي تحت هذا المطر الحنون

لم يقل للسائح «ضع محرمتك»، فالسائح يحمل منديلاً (لفظة ترتقي ومستوى الخطاب)، وهذا المنديل ابيض - دليلاً على النظافة، فهو لم يكد ولم يكدح. واين سيضع المنديل؟

- على الارض جانب الراوي؛ فالسائح لا يقتعد الارض مباشرة، خوفًا من اتساخ ثيابه الراقية (تذكر الاسمال بالمقابل). يطلب منه ان يجالسه على الرصيف، وان يتخلى قليلاً عن مظاهر ترفه ورفاهيته، وكأنه يقول له: اجلس الى جانبي - انا البائس - يا ايها السائح المترف، فقد تكون على استعداد فعلي لان تفهم انسانيتي، وفي هذا التوجه يلمس القارئ ان هذا السائح الغريب (وغالبًا - الغربي) على استعداد ان يفعل ذلك حقًا.

يسأله ان يجلس جانبه تحت هذا المطر الحنون. ما زال الراوي يقعي ويبكي، وهو في اسماله وهذا المطر - اشارة لتحقيق صورة واقعية تزيد من حدة المأساوية، ولكن المفارقة هي في اعتبار المطر انه حنون. ولماذا هو حنون؟ - لانه يتعاطف معه، فهو ليس غزيرًا ليقسو عليه، وهو حنون (يلفظ الكلمة) فقد يحن السائح اليه كالمطر. ان السائح ليس كالشرطة التي تطارده هنا وهناك - انه اقل خطرًا وضررًا. والراوي يطلب منه ان يجالسه ليبوح له بسر خطير.

ولفظة خطير توحي بان الشرطة تطارده وتلاحقه وتلاحق كلماته، او تلاحق مجرد اتصاله بالغرب - أي غريب.

وقبل ذلك يطلب من السائح ان يصرف ويبعد ادلاءه ومرشديه - وهؤلاء هم اشخاص موظفون ورسميون. ولماذا يصرفهم؟ لانهم قد - بل - يخدعونه او يقدمون له معلومات ومواد غير دقيقة او مغرضة. ها هو يتجرأ بمخاطبته:

ألق الى الوحل.. الى النار
بكل ما كتبته من حواش وانطباعات

انه ينوع المصير الذي ستؤول اليه هذه الانطباعات التي كتبها السائح - وهي موجهة غالبا؛ فلتكن اذن في الوحل - مبعثرة متسخة محتقرة او لتكن معدومة محترقة الى الابد.

انك ايها السائح تتحرى الحقيقة، ولا شك. اذن دعني افضي لك بالسر الخطير - وذلك بعد ان تصرف المرشدين والادلاء، حتى لا يسمعنا احد، وبعد ان تتلف اوراقك وتعدمها، والسر هو:

(البقية على ص ٣٠)

من هو حيدر حيدر صاحب «وليمة لأعشاب البحر».. وبصراحة؟.

عن حُرقة حيدر حيدر و«شهادات عن احوال زماننا» العربي المرّ والموحش. وعن الصراع الدموي الدائم والعنيف داخل وبين السلطات الاربع: سلطة الدولة وسلطة الدين والسلطة البطريركية وسلطة ابطال الوعي وعن الدعوة الى الحرية والتحرر. ما هو موقفه من الدين وبالتحديد من الغيبي منه؟ ما هو موقفه من سلطة الدولة والمجتمع؟ وما هو موقفه الادبي ولجوؤه الى الكتابة كعنصر مساعد على التنبيه والتوعية؟ *

* الضجة التي اثارها نشر وزارة الثقافة المصرية لكتاب «وليمة لأعشاب البحر» للأديب السوري حيدر حيدر لم تكن فجائية ولم تنطلق من نقطة الصفر، فهي نتيجة لتراكمات أوصلت الى القشة التي قصمت ظهر البعير. صحيح ان سببها الرئيسي هو الصراع العنيف الذي يصل الى اوجه الأن بين سلطة الدولة وسلطة الدين وسلطة المجتمع، ولكنها نموذج من اشكال التعبير عن الغليان الحاري داخل مرجل العالم العربي الذي لا يحتمل المزيد من الصمت على هيجانه وغليانه، فلا بد للضغط ان يولد الانفجار ما دام المرجل سيصل الى مرحلة البركان. هذا الصراع دموي وعنيف، ولكنه ضروري لانه «اذا ما خربت لاتعمر»، واذا بقي على حاله بدون انفجار فسينقرض من بداخله كما مات ابطال غسان كنفاني في مرجلهم، اتونهم خزانهم تحت اشعة صحراء شبه جزيرة العرب اللاهبة.

وحيدر حيدر في جميع كتاباته الادبية والسياسية يعتّد على تكرار المصطلحات ذاتها وينبش الجرح ويثابر في نكئه، وهو لا يؤمن بالادب من اجل الادب بقدر ما ينبيء بأن الكاتب يجب ان يكون ثوريًا طليعيًا تقدميًا ليبراليًا واستفزازيًا. في كتاباته تشعر دائمًا بالنفس التوابي، وليس صدفة ان يذكر مظفر النواب بالاسم في روايته «وليمة لأعشاب البحر». وهو كاتب مثقف ومطلع على الثقافة الادبية والسياسية والاجتماعية العالمية ومنها العربية، وهو على ما يبدو غزير التخزين، وبالتالي فهو استطاع ان يقذف بنتاج هذا التراكم التخزيني الداخلي الى الخارج على شكل تجربته الذاتية المتمثلة برواياته ومجمل كتاباته. هذه الثقافة الواسعة تلمسها بشكل خاص في كتابه «اوراق المنفى/ شهادات عن احوال زماننا».

من خلال كتابه «اوراق المنفى» نتعلم عن الاديب المثقف والدارس للفكر العالمي والعربي والفلسطيني، هذا الفكر الذي يشمل الفلسفة والادب والشعر والسياسة، فهو شمولي الثقافة يعرف ما معنى ان يخزن المبدع تجارب الآخرين كي يغني تجربته ويصقلها وينطلق هو بعد التخزين الى مرحلة القذف بتراكماته الى الخارج عن طريق الكتابة من جديد. انه فنان ماركسي تقدمي واع لأهمية ما يشعه من ابداع وفكر.

ومن خلال قراءتي لأدب حيدر حيدر وجدت كأنما لسان حاله يقول معبرًا عن وجهة نظره السياسية والفلسفية: لن نستفيد من نية الحكام بالتصادم فيما بينهم، ان كان ذلك صدامًا بين النظام المصري او النظام العراقي او بين سلطة المتدينين وسلطة الدولة. ما يهمنا نحن ابناء السلطة المتحررة هو سلطة الحرية الدمقراطية وحرية الابداع، وسلطة المتوجعين الذين يجرؤون على الصراخ عندما يشعرون بألم التعذيب والاحباط والتخلف او بآلام الغير. في بحر العالم العربي الذي يعاني من نسبة كبيرة من الامية والنقص في حرية الابداع والاحباط والتأخر عن ركب العصر الحالي وعدم وجود ثقافة ابداعية مهيمنة في الادب والمسرح وسائر الفنون، فان القلة القليلة الرائدة التي تتصدر معركة الحرية والتي لديها جرأة على الصراخ وعدم كبت الألم بسبب الخوف من القمع، فان هذه الفئة تستحق الدعم والتشجيع وليس ان نشارك السلطات الثلاث الخارجة عن سلطتنا الرابعة بان تقمعها.

وللأسف الشديد فقد وقف بعض «المتأدبين» الذين يدّعون انهم ادباء نفس موقف الرعاع بأن هاجموا حيدر حيدر بناء على موقف مسبق، وحكموا عليه قبل ان يقرأوه قراءة عقلانية، بل ساروا مع تيار الاصوليين، وربما كان هؤلاء المتأدبون يحملون فكرًا اصوليًا متشنجًا وهم يبعدون عن عالم الابداع الحر، لأن حرية الابداع تتعارض مع قيود اية سلطة ويجب ان تكون هي السلطة العليا الحرة المتمتعة بكامل الحريات الراقية الاسمى من سائر السلطات الدينية والمدنية والدولية.

الاغرب من ذلك ان الكثيرين من هؤلاء المشاركين في الحملة التحريضية ضد حيدر حيدر من الرعاع والاصوليين والمتأدبين حكموا عليه وعلى ادبه غيبيا، وتجرأ احدهم بالتصريح في الصحافة انه قرأ فقط بعض الصفحات من رواية «وليمة لأعشاب البحر؟» ولم يستطع ان يتحمل قراءتها حتى النهاية لانها رواية سخيفة ولا تستحق القراءة، بل وراح هذا المتأدب يقود حملة صحفية ضد حيدر وروايته ويحضر ندوات تقييمية للرواية وينهجم عليها وهو لم يتم قراءتها او لم يقرأ سوى بعض صفحاتها. ترى، لو ان احدًا تجرأ بالحكم على كتاباته هو بنفس الطريقة فماذا سيكون رد فعله؟ واذاكانت هذه هي الطريقة التي يقاضي بها المثقفون والادباء زملاءهم المبدعين فكيف نلوم العامة الذين لا يقرأون ولا يكتبون، وان قرأوا فثقافتهم لا تتعدى ثقافة الصحافة الصفراء؟

يعود الفضل الكبير الى وزارة الثقافة المصرية التي اصدرت رواية «وليمة لاعشاب البحر» مؤخرًا، وبسبب هذا التجديد لنشر رواية قديمة نشرت سنة ١٩٨٣ وتتحدث عن تجربة قديمة لابطال شيوعيين عاشوا فترة ذبح الشيوعيين ومطاردتهم في السبعينات في العراق وعن تجربة الثورة الجزائرية التي ادى التفكير الاصولي والمجتمع المحافظ الى تحويلها من ثورة المليون شهيد الى ثورة الاهل والاحزاب الدينية والسلطة ضد بعضهم البعض بدلاً من الثورة ضد الاحتلال والاستعمار. اعود لأقول ان الفضل يعود الى وزارة الثقافة المصرية ليس لانها نشرت الرواية بحكم ثوريتها التي تتطابق وثورية حيدر حيدر الاشتراكي الماركسي، بل لأن عملية هذا النشر اثارت المحك المبطن بين سلطة الدولة المصرية وسلطة الاصوليين، وبالتالي فان هذه المعمعة والضجة ادت الى ان نتعرف على حيدر حيدر وادبه، واعترف انني لم اكن اعرف حيدر حيدر قبل هذه المعمعة.

وفي تخميني المتواضع اشتممت رائحة غير بريئة من عملية نشرها، فليس من المعقول ان تختار وزارة الثقافة هذه الرواية بالذات والتي نشرت سنة ١٩٨٣ لأسباب ثقافية ادبية محضة، وهذا التساؤل جرني الى تساؤل آخر: لماذا هذه الرواية بالذات وليس رواية حيدر حيدر «شموس الغجر» التي صدرت سنة ١٩٩٧ والتي تتطرق الى بطل فلسطيني يفجر نفسه في عملية فدائية؟ واستنتجت ان توقيت نشر الوليمة في هذه الفترة بالذات تابع من ذكاء لدى السلطات المصرية، فهم بنشرها ضربوا عصفورين بحجر واحد: اولاهما تهاجم الاصوليين بعنف، والسلطة المصرية ضاقت بهم ذرعًا وتجد فيهم مصدرًا يهدد كيانها، وثانيًا لأن كاتبها يتخذ موقفًا واضحًا من صدام حسين الذي فتك بالماركسيين والشيوعيين، وبالطبع فمصر لا تريد ان تتعاطف مع هؤلاء المفتوكين، ففي هذا الزمن يعترف الجميع ان الاتحاد السوفييتي قد انهار وان التجربة الاشتراكية تمر ازمة خانقة، بل هي تريد ان تنبه الى خطورة وجود صدام حسين حتى الأن على كرسي عرش العراق، وهو بحرجها بموقفه وهي تريد ان تبرر مواصلة موقفها من العراق كي تبرر مواصلة نهجها الجديد مع امريكا وبالتالي تبرير صدق موقفها بالمشاركة مع جميع دول العالم بالسلاح والدعاية في حربين ضد العراق انهكوه وعزلوه وادوا الى ابادة اطفاله والى انهيار اقتصاده.

سلطة الدولة ارتأت ان هذه الرواية تحمل شعارًا يقاتل الاصولية الدينية والسلطة السياسية العراقية التي تخرج مصر منذ ان وقفت ضدها مصر بجيشها مع معظم دول العالم واهمها الدول المهيمنة كي تكسر شوكة النظام العراقي الذي يحرجها ويكشف ضعفها، وهو نفسه لم يستطع ان يحافظ على ما، وجهه وقوته، فاصبحت جميع الاطراف العربية في ضعفها تحت رحمة المهيمنين الذين يديرون اللعبة بسهولة ونحن نتحول الى دمى ومستهلكين تحت رحمتهم.

الوقت الأن مناسب جدا لنشرها للطرفين، للسلطة المصرية وللاصوليين، فالسلطة المصرية تجد في الرواية ما يهاجم الاصوليين والنظام العراقي، والاصوليون الأن يعرفون ما معنى ان تثير ضجة ضد ملحد «دعمته» وزارة الثقافة بنشرها رواية له تهاجم «الدين» الحنيف ومصر على اعتاب انتخابات برلمانية، فحزب العمل وجريدته «الشعب» الناطقة باسمه وجدا في هذا النشر مناسبة للكسب السياسي، والسلطة المصرية استغلت هذا التحريض كي توقف نشاط الجريدة وحزبها وبالتالي تضمن السلطة المصرية عدم دخول حزب خطير في انتخاباتها البرلمانية. يبدو ان السلطة المصرية بدأت تحسب ألف حساب لقوة الاصوليين، وهي كي تضمن عدم تكرار التجربة الجزائرية حيث كانت نتائج الانتخابات محرجة لانها جاءت لصالح الاصوليين، مما اضطر السلطات الجزائرية الى إلغائها ومما ادى الى حرب اهلية دموية لا تزال رحاها تطحن ابناء الجزائر الى الأن.

لماذا الأن؟ لأن الصراع على السلطة بين السلطتين الدولة والدين وصل اوجه. ولا بد لهذا الصراع ان يتخذ شكله العنيف ومجراه التاريخي، الى ان يحكم العالم في النهاية الحل العقلاني الذي يضمن الحلول المادية والمعنوية بشكل مقنع ومنطقي لجميع ابناء البشرية. نحن نمر الصراع الدامي نفسه الذي مر على سلطة الكنيسة والدولة في القرون الوسطى والذي انتهى بالثورة العقلانية التي تلتها الثورة الصناعية فالمعلوماتية، والفرق بين ذلك الصراع والصراع الحالي بين الغيبيين والدنيويين، ان الصراع الحالي سيحسم بسرعة لان عصر السرعة لا يسمح باطالته، ولأن الانسان يستطيع ان يختصر طريقه بعد ان يتعلم من تجارب التاريخ والماضي، والذي يجرب المجرّب عقله مخرّب.

اذن فنشر الرواية لم يكن بدافع حرية الابداع والادب، فقوانين الطوارئ لا تزال تطبق في مصر وهي شبيهة باستعمال النظام العسكري عندما تحتاج السلطة لتدعيم موقفها، فلو ان الرواية موجهة ضد النظام المصري وليس ضد الاصوليين والنظام العراقي هل كانت وزارة الثقافة المصرية ستتحمس لنشرها كي تثبت للعالم انها ديمقراطية وتؤمن بحرية التعبير؟.

موقف حيدر من كل انواع السلطة، دولة كانت ام سلطة دينية ام بطريركية، واضح جدًا في كل كتاباته، بل ويكرره بكثافة، فكيف تتحمس دولة مصر متمثلة بوزارة الثقافة بنشر كتاب لكاتب ناقم على هذه الانواع من السلطات في عالمنا العربي؟ لقد فكر السادات بتشجيع الاصوليين كي يخلق صراعات بين الاقوياء الذين يزدادون قوة والذين يشكلون خطرًا عليه، فظن ان سياسة الطائفية وسياسة فرق تسد تجعله يبقى هو الاقوى، الى ان قوي الاصوليون اكثر مما توقع فقضوا عليه، وهذه اللعبة مستمرة، فها هو اديب شجاع يقول رأيه فتجد الدولة ان في رأيه هذا تقوية لها ضد الاصوليين وضد حكام دول عربية اخرى تنقم السلطة المصرية عليهم.

هذه معادلة معقدة استطاع حيدر حيدر ان يعبر من خلالها عن رأيه في حطام الزمن العربي المنهزم. ثورات تتراجع من الثورة المصرية الى الثورة الجزائرية الى الثورة الفلسطينية، ودول كبرى تنهار وحركات اصولية تزيد التراجع رجعية، وضياع وتشتت عربي وشعور بالاحباط واليأس، وغياب الوحدة العربية وحكام لا يفصلهم عن عروشهم الا الموت، بل ان الموت لا يستطيع لأنهم يزرعون جيناتهم في اولادهم فيتابعون الجلوس على العروش وكراسي الحكم، وغياب الحريات والدمقراطيات وازدياد الغيبيات وغياب القيادات التنويرية. كل هذه الحالة الغريبة العجيبة تشحن حيدر حيدر وتجعله يقذف بحممه الكتابية كي يثير الجرح ويزيد الوجع.

يقتبس حيدر حيدر في كتابه «اوراق المنفى» عن نيكوس كازانتزاكي قوله: «انت انسان ولست نعجة، وهذا يعني انك شيء قلق وصارخ فلتصرخ اذن! ان قيمة الانسان كامنة في شيء واحد فقط: ان يعيش ويموت بشجاعة دون التنازل بقبول اي جزاء.(١)».

ويتابع حيدر في نفس المكان وهو من مقالة كتبها سنة ١٩٨١: «في بلاد العرب وفي العصر الراهن يبدو هؤلاء الطليعيون نادرين وسلالتهم ربما كانت على حافة الانقراض. فهم يشكلون النشاز العام في جوقة الاستسلام والتدجين ورفض حواة الثقافة في بلاط طروح الآلهة الارضيين الذين يحكموننا عنوة واقتدارًا.

نحن مرغمون على الاعتراف، رغم امكانية الصرخة التي لا بد منها، اننا نواجه مشهدًا من العجز وعدم القدرة على التغيير والفعل القادر على الانعطاف بالزمن والتاريخ الى الامام.

وامام مشهد العجز هذا تأخذ البراءة الموضوعية صيغتها التالية: ما دام الفعل التاريخي ومفتاح القرار بيد السلطة المهيمنة وتحت سلطة الوعي القديم الزائف والمتخلف فانا معزول واعيش على الهامش. هذه الصيغة واقعية جدًا في عصور الانحطاط والارهاب والازمنة الاستهلاكية وتاريخ اللاعقلانية المتواصل...

فالانحطاط السياسي والثقافي، الى جانب هيمنة الاستهلاك والميراث اللاهوتي، قد تجذّرت في حياتنا من خلال ذلك الفشل الذريع لمشاريع الثورات الوطنية الخائبة، وانكفائها على الماضي بعيدًا عن الاستبدال الجوهري لتغيير الازمنة المنحطة».

«انني اكتب عن الاسود ولست متفائلاً جدًا ولا فرحًا لأنني ارفض ان اكون مزيفًا وخادعًا. اكتب عن الليل العربي القاتم لا لأكرس الظلمة بل لأفضح هذا السواد. انني اندفع نحو الجذور توقًا الى الشمس. واوغل نحو الوحل شوقًا الى الينابيع. حتى هواجس اليأس او الموت التي تجتاح اعماق شخصيات قصصي ليست هواجس وجودية او عدمية. انها هواجس ذات منشأ اجتماعي في عالم يترنح بالهزيمة والحصار. وهذه الشخصيات تحاول ان تقاوم وهي تترنح، ولكنها اذ تسقط تصرخ او تحتج او تطعن، ولا تهوي باستسلام ذليل وخانع. انها تنكسر في النهاية لكنه انكسار الشجر وهو يقاوم العاصفة»(١).

اتساءل: ان حيدر منذ السبعينات يتابع الفضح ونبش الجرح، وها نحن نرى الصورة ذاتها لم تتغير بعد ثلاثين سنة، بل هي تزداد غموضًا وارباكًا وانحطاطًا وقتامة، فهل يكفي نبش الجرح؟ وهل من بارقة امل لطرح الحل العلمي العملي بدلاً من توجيه النصح والتألم؟ ام انك ستكرر نفسك بالتعبير عن الالم والاحباط وتكرر انك «لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي؟» وانه «ما لجرح بميت ايلام». مقولات حيدر عن الزمن العربي المنهزم والمواطن العربي المحبط يكررها منذ السبعينيات ونحن لا نزال الى الأن نوقن انها مقولات تنطبق على زماننا. فهل هذا يعني اننا لا زلنا مكانك سر؟ ام اننا في تراجع والعالم في تقدم؟

حيدر اديب مؤدلج ولا يكتب ادبا متحيزًا للصنعة الادبية وللشكل الجمالي، بل هو يزج بفكره ومبدئه السياسي وأيديولوجيته بشكل صريح، معتمدًا اسلوب الرواية كوسيلة توصله الى مبتغاه السياسي اولا والاجتماعي ثانيا وهو يجد في الادب وسيلة قوية يؤمن انه من خلالها يشوق المتلقي على قبول عالمه الأيديولوجي. ولشد ما يبشر بهذا النوع من الأيديولوجيا فانه يكاد يكرر نفس المواعظ في معظم كتاباته وتكاد مصطلحاته اللغوية تحمل الروح ذاتها.

(يتبع - حلقة ثانية يوم الجمعة القادم)



دراسة نقدية ادبية وسياسية لكتابات حيدر حيدر (١-٢)

الملحد المؤمن والمؤمن الملحد..

بقلم: راضي د. شحادة

المشهد الطبيعي الفلسطيني في الفن العربي (٢-٣)

الرسامون الفلسطينيون في القرن العشرين

*** ننشر فيما يلي الحلقة الثالثة والاخيرة من الدراسة المترجمة عن الانجليزية للفنانة والاستاذة الجامعية الفلسطينية سامية حلبي (نيويورك) حول مكانة المشهد الطبيعي الفلسطيني في الفن العربي على مرّ العصور.**

هذه الدراسة صدرت ضمن كتاب حول «آفاق المشهد الطبيعي في فلسطين» نشرته جامعة بير زيت في ١٩٩٩. وهو من اعداد وتحرير الاساتذة ابراهيم ابو لغد وروجر هيكوك وخالد الناشف. (المحرر)

بقلم: سامية حلبي
ترجمة: كميل ظاهر
مراجعة واعداد: شربل عبود

* .. وهكذا فان تطور النمط الهندسي المجرد المتمثل بوضوح في قبة الصخرة هو حدث تاريخي فني يمكن للعرب الفلسطينيين ان يفتخروا بدورهم الكبير فيه. وقيمة هذا العمل الفكري للعالم هائلة ولم تتلق المعاملة والتوثيق الملائمين، بالرغم من كل اعمال الباحثين الغربيين حول هذا الموضوع.

بالاضافة الى ذلك فان العلاقة بين السطح والبناء والحيز حواليه وتناسقه مع مفهومنا للمكان على انه مشهد طبيعي هو اضافة مهمة لهذه النظرية. ان التناسق بين الصخر والفن المعماري في مسجد قبة الصخرة ومكانه الذي يتوج المدينة من ناحية بصرية هو بحد ذاته نوع آخر من المشهد الطبيعي. وقبة الصخرة تبث بشدة مفهومًا عربيًا لمعلم او لمركز - مدينة، وتشكل قوة جذب حتى يومنا هذا للمصورين. وليس هناك اي معنى لصورة القدس بدونها. وهي قمة العرض الفني لمشهد طبيعي. حتى ان الاسرائيليين يزينون بوقاحة اعلاناتهم السياحية في التلفزيون الامريكي بها، الامر الذي يؤكد على قوة تمثيلها وعلى محاولاتهم الحاسدة في اختطاف حضارتنا.

في الوقت الذي كان يتطور فيه فن الهندسة المجردة، استمرت ممارسة فن الايقونة المسيحية في العالم العربي. وثمة مثلان على ذلك مأخوذان من صانع حلب وصانع القدس اللذين يذكران باختصار هنا بشكل اعتراضي كدلالة على الوجود الموازي لفن السرد التخيلي ثلاثي الابعاد في الايقونات المسيحية العربية، بمحاذاة فن التجريد ثلاثي الابعاد من الفن العربي. وفي حين طور العرب النمط التجريدي استمر السرد الرسمي الذي استعمل صورًا محددة كموضوع ثانوي في تاريخ الفن العربي. والذين مارسوا هذا الفن كانوا مسيحيين استمروا في صنع ايقونات اقل ثراء واصالة من الفسيفساءات التي عرضت سابقا. وطغى تصلب واضح على الفن خلال العصور الوسطى اذ توقف هذا الفن عن عكس فترة من النمو الاجتماعي، واصبح فرعًا ثانويًا ضئيل الحجم. الايقونات العربية من العصور الوسطى قليلة من ناحية العدد، وقت دراستها بشكل طفيف، ويمكننا ان نعرف المزيد عنها.

امثلة على الايقونات اللاحقة: «الدخول الى القدس» و«القديس جورج يحارب التنين» وهما لميخائيل مهنا القدسي ويرجع تاريخهما الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وتبين هاتان الايقونتان منظرًا عن بعد للمشهد الطبيعي والمدينة. وتظهر الايقونة الثانية مدينة من بعيد هي القدس على الارجح. وللوحة «ارض فلسطين» التي رسمها رسام مجهول في اوائل القرن التاسع عشر ميزات شكل يذكر بفن العالم العربي القديم كما سنراه لاحقًا في الفن الفلسطيني المعاصر. وهذا هو التوجه في استعمال بناء سردي لاقسام صغيرة تحتوي على اجزاء من افكار تقوم معا ببناء الفكرة الكاملة.



• «ارض فلسطين»، رسام مجهول، النصف الاول من القرن التاسع عشر •

تأتي المرحلة المؤثرة التالية لصورة ارض فلسطين في الفن العربي خلال القرن العشرين. وقام المسافرون الاوروبيون برسم لوحات مائية ولوحات رصاصية لفلسطين خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وكانت هذه الاعمال اقل شأنًا من ناحية فنية، وفي الحقيقة، كانت عبارة عن توثيق رحلة رسم كي يؤخذ الى بلادهم ليظهرها بلادًا خلابة يمكن احتلالها وامتلاكها يومًا ما. [٧].

وتُثمن هذه اللوحات الاستعمارية «الاستشراقية»، لذعري الشديد، غالبًا بين الهواة العرب المعاصرين الذين تعلموا رؤية انفسهم بالصورة المشوهة التي تعرضها اوروبا علينا بدلاً من الصورة الحقيقية والرائعة لتاريخنا. في حين يبقى الفن ذو الابعاد التاريخية والهامة مهملاً يكسوه الغبار. وهذه هي مقتضيات التاريخ.

سأعود الآن باختصار الى بعض رسومات المشهد الطبيعي لفلسطين لرسامين فلسطينيين في القرن العشرين. عندما قمت بزيارة اسماعيل شموط وقام الاكحل قبل سنة برافقة ناصر السومي زف لنا اسماعيل اخبارًا رائعة. هذه الاخبار المثيرة معروضة اليوم في دارة الفنون في عمان. والاكتشاف هو فنان فلسطيني عرض عمله في المهرجان القومي العربي للرسم والفن البدوي والثقافة عام ١٩٣٣ الذي اقيم في القدس. الفنان هو زلفة السيد ومن بين لوحاته المعروضة هنالك لوحتا مشاهد طبيعية، الاولى «المسجد الاقصى» ويصل قياسها الى ١٦× ١٤ انش، والثانية «قرية فلسطينية» ويصل قياسها الى ١٤× ١٠ انش. رسمت كلتا اللوحتين بألوان زيتية على القماش ويرجع تاريخهما الى ما قبل عام ١٩٣٣ بقليل.

هنالك العديد من الرسامين الفلسطينيين الذين تعاملوا مع موضوع المشهد الطبيعي لفلسطين خلال القرن العشرين. ولا ازال اكتشف باستمرار هؤلاء الرسامين واعمالهم، ولكن في معظم الاحيان هنالك قلة في التوثيق او يقال لنا ان اعمالهم اختفت مع سرقة بالجملة لممتلكاتنا وبيوتنا وارضنا من قبل الاسرائيليين.

ورسام آخر للمشهد الطبيعي الفلسطيني في اوائل القرن العشرين، معروف بأيقوناته اكثر مما هو معروف بلوحات المشهد الطبيعي، هو خليل حلبي من القدس. وله طقم من الجداريات يغطي كل اوجه جدران وسقف الكنيسة الارثوذكسية السورية في بيت لحم. وقد انتهى من رسمها عام ١٩٤٠ وتشمل في خلفيتها المشاهد الطبيعية التقليدية الخاصة بالمواضيع التوراتية. كذلك يجب ذكر شخص آخر من عائلة حلبي، عند بحث موضوع رسم المشهد الطبيعي لفلسطين، وهو صوفي حلبي التي توفيت مؤخرًا، وكانت رسامة محترفة جدية درست في اوروبا وعاشت في القدس، وكانت المواضيع الاساسية في عملها المشهد الطبيعي والجبال المحيطة بالمدينة التي شهدت ميلادها ووفاتها.

اعطت الثورة الفلسطينية طاقة جديدة لفن رسم المشهد الطبيعي لفلسطين خلال النصف الثاني من القرن العشرين وفي العقود الاخيرة. يقوم الفلسطينيون هنا وفي المنفى بخطوات واسعة وبفن قوي يمثل معظمه ارض فلسطين.

هنالك العديد من المصادر التي تغذي تطور صور ارض فلسطين في رسومات الرسامين المعاصرين. وهناك تأثر من الرسومات الاوروبية في القرن التاسع عشر. لكن هنالك ايضا خصائص تنظيم من العراق ومصر القديمتين اللتين تبدو لها سمات مميزة دائمة في فن الصور في العالم العربي. هنالك اعمال للعديد من الرسامين، من بينهم قام الاكحل، عفاف عرفات، ابراهيم غنام، منى حاطوم، برهان كركوتلي سليمان منصور، محمد الركوي، وليد ابو شقرا، عمر شموط، ليلى شوا، سها شومان، ناصر السومي، فيرا تاماري، فلاديمير تاماري وسامية زرو.

يمكن اعتبار رسومات ابراهيم غنام في عصرنا هذا رسومات للمشاهد الطبيعية لفلسطين. وهي لا تحتوي على التركيبة الخيالية للارض في اسفلها والافق البعيد والسماء فحسب، وانما على شعور محب ومعرفة مفصلة بحياة القرية وحياة هؤلاء الذين يحرثون الارض. وتشعر بكل ثراء ذاكرتنا تجاه فلسطين عندما نرى لوحة «يوم الحصاد». ومن السهل ان تتمتع وتسترخي ذهنيًا في القمح الذهبي، وان تحلم بأشجار التين الخضراء الداكنة. يمكن للوحة الجميلة ان تكون احيانا كرسيًا لعقلك. وهذا الشعور عبر عنه اولاً الرسام الفرنسي ماتيس.

عمل فيرا تاماري، الذي يعرض شواطئ البحر المتوسط ليافا كخلفية له ويحمل اسم «وحي من البحر»، هو عمل رائع بشكل خاص، اذ يبعث فينا الحنين الى الماضي ويحتوي على آمال المستقبل في الوقت ذاته. وفيه ستة عشر نقشًا ضئيلة البروز مصنوعة من الطين تقف على الشواطئ كأنها عادت بعد سنوات طويلة لتنظر الى يافتنا ولتشهد ما حدث. وما يعطي هذا العمل قوة عظيمة هو فكرة العودة، واكثر من ذلك حقيقة وقوفهم بجسارة على شواطئ يافا.

هنالك مقدار من الحزم في العودة الى شواطئ يافا وعرض عملها هناك والمطالبة بيافا بواسطة فنها على انها من تراثنا. هذا هو بالذات الامر المهم في هذا العمل وسبب كونه ذا شأن في المستقبل.

عمل فيرا هذا هو مشهد طبيعي يختلف عن الحميمية المطمئنة في عمل ابراهيم غنام. ويحتوي على لغة احدث لكنه رغم ذلك فهو مشهد طبيعي في ميزاته الاساسية.

قبل سنتين زرت جامعة بير زيت وعملت مع فيرا وطلابها لمدة ثلاثة اسابيع. وبولاء لتراثهم المرني انتج هؤلاء الطلاب صورًا مدهشة ذات نقوش ضئيلة البروز لأرض فلسطين من الورق المعجن، مستعملين لغة التجريد. العلاقة بين اعمال هؤلاء الطلاب والارض واضحة جدًا.

هنالك وعي للمشهد الطبيعي بين اطفالنا في مخيمات اللاجئين عمقته التجارب المأساوية التي فرضها الاسرائيليون. ويجدر الاشارة هنا الى رسمين للأطفال، واحد للانتفاضة والثاني لمعركة الكرامة.

الرسم الثاني (انظر الصورة) رسمه طفل بعد جيل كامل على الاقل من معركة الكرامة حيث قام اللاجئون الفلسطينيون بصد غزوة اسرائيلية ممكننة ومسلحة بشدة بواسطة اسلحة بسيطة.

وهذا هو مشهد طبيعي للكبرياء وللتقاليد التي تم نقلها شفويًا من الاهل الى الاطفال.

اود الآن ان اقدم بعض الملاحظات الختامية. هنالك سياسة في تاريخ الفن في الغرب تهدف الى سلبنا كرامتنا التابعة من كوننا الوارثين لتاريخنا الحضاري، الامر الذي يسهل عملية سلبنا مصادرنا الطبيعية وثمار اعمالنا. وهذه السياسة هي التسمية الخاطئة الاعتيادية لفننا التي تسلب لنا رصيدنا في هذا الفن وتعطيه صورة بانه مجزأ وغير متماسك.

ويتم هذا الاحساس بالتجزئة بواسطة اعطاء فننا تسميات متعددة تخلق البلبلة. وقد بدأت مؤخرًا بجمع كل هذه التسميات التي وصل عددها حتى الآن الى ثلاثمئة تسمية، واتوقع ان تصل الى ثمانمئة، بعد ان اخصص المزيد من الوقت لهذا الامر.

وتتزامن سياسة التسمية الخاطئة هذه مع تجنب استعمال التعريف القومي الملائم لفننا ولفن اسلافنا. ونادرًا ما نجد الكلمة «عرب» او «عربي» في تاريخ الفن الغربي. ومثال على ذلك، اذا قمت ببحث عن العنوان «عرب» في مواضيع الفن والهندسة المعمارية في فهرس البطاقات في المكتبة الشعبية لنيويورك فسوف تجد كتابًا واحدًا فقط لان هذا الكتاب يستعمل كلمة

(البقية على ص ٣٠)



• معركة الكرامة، رسمت سنة ١٩٩٥ على يد طفل مجهول، مخيم اللاجئين البقعة، عمان •

رواية في حلقات (٣)

أحدث روايات الكاتب الجزائري الكبير الطاهر وطار

«الولي الطاهر يعود الى مقامه الزكيّ»

• يسر «الاتحاد» ان تنشر على حلقات اسبوعية متتابعة النص الكامل لاحدث روايات الكاتب الجزائري الكبير الطاهر وطار التي تحمل عنوان «الولي الطاهر يعود الى مقامه الزكي». وكنا قد نشرنا، في ملحق يوم الجمعة ٢١/٧/٢٠٠٠ المقدمة التي انشأها وطار لروايته هذه تحت عنوان «كلمة لا بد منها» جنبا الى جنب التمهيد الذي كتبه الناقد واستاذ الادب المغربي سعيد يقطين للطبعة المغربية من هذه الرواية والتي صدرت في آذار الماضي عن سلسلة «روايات الزمن».

ونأمل بأن يستمتع قراء «الاتحاد» بهذه الرواية كما استمتعوا بروايات الطاهر وطار السابقة، ومنها «اللاز» و«الزلزال» و«عرس بغل» و«الحوات والقصر» و«تجربة في العشق» و«الشمعة والدهاليز» علاوة على مجموعاته القصصية.

(المحرر)



السهللة

* توقفت العضباء امام القصر الثالث، وهو يقع بالضبط، في نهاية قطر الدائرة، انطلاقا من المقام الزكي، ويبعد ميلين او يكاد عنه تقريبا، اعتبارا لقطع المسافة في خط مستقيم.

كانت الابواب منعدمة. كذلك كانت النوافذ. طافت العضباء من تلقاء نفسها ثم عادت وتوقفت تنتظر ما سيفعله الولي الطاهر.

كان اللغط في الداخل بلغة اعجمية، وكان ممزوجا بضجيج آلات يبدو انها ضخمة الحجم.

هناك دوي محركات قوي، واصوات عجلات كبيرة، كأنما ثمة من يحفر خندقا او يشق طريقا؛ او يدفع رملاً بكاسحات.

رفع رأسه الى السماء، يسائل الشمس، ما اذا زال عنها الذهول، فوجدها، كما كانت تتوسط السماء، وتنتظر من يدفعها شرقا او غربا، وثب.

- انطلقت العضباء، تقضم شعيرا وحشيشا جافا، قدم لها.

رفع رأسه الى فوق وهتف: يا من هنا. انتم يا من استوليتم على مقامي الزكي. انا هنا.

اعلمكم جميعا، انني هنا.

نعم انا هنا صاحب المقام الزكي، وسيد هذه الفيافي، وحامي الأمة من الوباء.

اقول لكم اني هنا. افتحوا الابواب، وإلا هددت القصر على رؤوسكم.

لم يغضب الولي الطاهر في حياته سوى مرات قلائل.

آخرها كانت، صباح العودة من الحضرة عند الزيتونة. يوم وجد المانتي بنت وبنت بيكين. وقرر اعادة الفحص، وقد جاء صوت يعرفه جيدا، يقول له:

- يا مولانا الولي الطاهر. الشيطان من نار، والوباء الذي هربنا منه، مس من الشيطان، لعل احدنا بالمقام الزكي مصاب بهذا الوباء.

اذا ما مس الوباء الروح، فلا علاج غير الاستحمام بالذكر.

قلت احدنا ولم تقولي احدانا؟

ولكن الشيطان يا مولاي الولي الطاهر، لا جنس له.

سأل المقدم هل يسمع ما يسمع، فانحنى معتذرا:

العفو يا مولانا الولي الطاهر.

لا كرامة الا لأولياء الله الطاهرين.

دخل الولي الطاهر الى مكتبه، ثم امر المقدم ان يدخل عليه البنات واحدة فواحدة، بعد ان ينتظمن في صف.

دخلت الاولى. امرها بنزع النقاب عن وجهها، ترددت قليلاً، .. ثم مدت يدا في بياض الشمس، وكشفت عن روعة اهتز لها كيان الولي الطاهر.

يا خافي الالطاف نجنا مما نخاف.

بيضاء، مستديرة الوجه، عيناها كبيرتان كالحتا السواد، فمها صغير مستديرة مكتنز الشفتين، انفها الافطس يضفي على ملامحها مسحة هرة او لبؤة.

- ماذا حدث لك البارحة؟

- اولا تعلم يا مولاي؟

- وكيف لي ان اعلم، وانا كنت في الحضرة، ثم ان الابواب موصدة دونكن.

رفعت حاجبيها النونين مستغربة، ثم قالت في لا مبالاة:

- ما يحدث كل ليلة عند منتصف الليل يا مولاي الولي الطاهر.

- وما يحدث كل ليلة عند منتصف الليل يا امة الله.

خفضت رأسها. ظلت صامتة. فبادرها:

- لا حياء في الدين. لقد كلفني الله برعايتكن، فيجب ان اعلم بكل صغيرة او كبيرة في حياتكن بالمقام الزكي.

- ولكن يا مولانا؟

- لكن ماذا؟ ثم ما اسمك انت؟

- ام متمم؟

- ام متمم!! تقولين؟

- لقد قررنا ان نتسمى كلنا بهذا الاسم.

- قررتن؟! هكذا..

- لتكون المناحة التي نقيمها على روح مالك بن نويرة في مستوى الحزن الذي كان يجب ان يصيب قلب زوجته.

هم ان يقول لها انكن تتدخلن في شؤون التاريخ، الا انه عدل.

قال في سره ما افعله، ويفعله اولياء الله لا يعدو ان يكون كذلك، فما حدث، هو مصير ما سيحدث، حياتنا مقام، والاحداث فيها ابواب، تفضي بنا اليها، دون غيرها.

- طبيب. لم تحدثيني عما جعلكن تبكين كلكن؟

- أمن الضروري يا مولانا، ان اخبرك بما تعلم؟

- لا يعلم الجهر وما يخفى سوى الاعلى الذي خلق وسوى.

كان يتحاشى النظر اليها، وكانت تتأمله متلهفة. اسمر اللون، مستطيل الوجه، مقوس الانف، مكتنز الشفتين، كث الحاجبين، ماضي العينين اكحلهما، لحيته يتراوح لونها بين حمرة وسواد، عريض المنكبين، ينسدل على كتفيه شعر رأسه الاسود الغزير، طويل مستقيم القوام.

- والذي قدر فهدى.

اضاف. ثم قال في الحاح، وقد لعن الشيطان الرجيم.

- لنفرغ من المسألة. ماذا يحدث لكن عند منتصف كل ليلة..؟

- انت يا مولانا.

- انا؟ ما بي انا.؟

- تقتحم على الواحدة منا فراشها، فتظل تأتيها، الى ان تصرخ بأعلى ما تملك. «يا خافي الالطاف نجنا مما نخاف».

- وكيف علمتن ان من يفعل ذلك هو انا؟

- نراك في الظلمة يا مولانا جسدا نورانيا، كما انت الآن، بكل ما فيك، سوى انك عار.

- سبحان الله العلي العظيم. هل تصدقن انتن، انني اتجزأ في الوقت الواحد الى كل هؤلاء الرجال؟

- لا يمكن ان نشك في كرامة صاحب الكرامات.

- هكذا اذن. انصرفي وادخلي التي بعدك.

اقتربت منه، انحنت على كتفه، ظلت تقبله، وتستنشق رائحة شعره لحظات، ثم تأوهت وانصرفت طربة.

دخلت الثانية. جلست. اقتربت منه. حبته بتقبيل كتفه، ثم جلست.

- اكشفي عن وجهك يا امة الله.

فتح فاه مشدوها. هي نفسها. عادت. هي كما كانت قبل لحظات. بيضاء، مستديرة الوجه، عيناها كبيرتان شديدتا السواد، هدباهما ينفرشان بساطا اسود على خديها، فمها صغير مستدير مكتنز، انفها يضفي على ملامحها مسحة هرة او لبؤة.

كتم دهشته، وقال في سره، لم انتبه جيدا لنبرات صوت الاولى، وسأفعل مع هذه.

- تكلمي يا بنية.

- في ماذا يا مولانا الطاهر.

- فيما انتن فيه.

- نحن في سعادة وهناء.

- هكذا اذن؟

هذا الصوت ليس غريبا علي، وهو صوت صاحبتها الاولى، وصوت التي تتدخل فلا يسمعها سواي.

- ما اسمك؟

- ام متمم.

- انت ايضا؟

- كلنا يا مولانا الولي الطاهر.

- وهل من سبقتك اختك؟

- لقد آخيت بيننا يا مولانا.

وتذكر البلغة التي كان حمدان قرمط يطعمها لاصحابه على انها طعام الجنة، وهو يتلو عليهم، «واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم..».

لم ينطبق بذلك، لكن سمعها. نعم سمعها تتمتم وهي تخفض رأسها، تظهر الخجل:

- بُلغتك، اعذب. من بلغة حمدان قرمط.

- انت ايضا، صرخت البارحة؟

- انطلقت منا جميعا صرخة واحدة يا مولانا في ذات اللحظة، دوت لها جدران المقام.

- ولكن صرختك انت كانت ضعيفة.

- دهني الارق يا مولاي.

- انصرفي واطلبي لي التي تليك في الصيف.

عندما انحنت على كتفي تتمسح عليه، انحنت وتناولت يده الكبيرة وراحت تلثمها.

لم يكن الولي الطاهر يرى اي حرج في ذلك، فمن الامور العادية،

ان يلثم مريد اي شيء في جسد او ثوب وليه، او يأكل فضلة من طعام تركها، او ان يمتص عظمًا او ظفر برتقال او اي شيء من ذلكم القبيل، خلفه، او حتى ان يقبل، موطئ قدميه.

اذا لم يكن في الامر شيطان، فتصورهن انني آتيهن كل منتصف ليل، امر جد طبيعي.

يتوحد الكائن في الكائن، كما يتوحد في خالق الكائن.

غير انه سمعها، بدا له انه سمعها، تقول وهي تبتعد عنه منصرفة:

- حبيت يا مالك بن نويرة. يا فتى الفتيان.

دخلت الثالثة. حيث تلثم الشعر المنسدل على الكتفين، ثم استوت على الكرسي، قبالة الولي الطاهر.

- ارفعي اللثام، فلا تعمى الابصار، انما تعمى القلوب التي في الصدور.

- حاضر يا مولاي الطاهر.

نفس الصورة. نفس الملامح. نفس الرخمة التي في الصوت.

نفس الجلسة. نفس الحركات. نفس الشعر الفاحم المنساب على الصدر البارز.

يا خافي الالطاف. نجنا مما نخاف.

- كيف حال ام متمم؟

- تتوق لمالك.

- لكنها لتيمة.

- ربما كل ذنبها انها قبلت سبي الاسلام، كما تقبل المسبيات عبودية الجاهلية.

- انك حسنة الحديث.

ابتسمت. اهتز قلب الولي الطاهر. خفض بصره. لعن الشيطان الرجيم. تمتم:

يا خافي الالطاف. نجنا مما نخاف.

- هذا ليس حديثي وحدي، انما هو ما اجمعنا عليه الرأي.

ام متمم كانت مصابة بعمى القلب، بعد ان اذهلها موت مالك، ووقوعها في اسر خالد، ولعلها كانت ترى في خالد مالكا.

- انك حسنة الحديث. اما خطر ببالكن ان ام متمم، كانت على صلة سابقة بخالد بن الوليد؟

- كلا. وهذا ما اجمعنا عليه الرأي.

- اطلبي لي المقدم، وانت تنصرفين.

قال له، دع البنات مصطفات، واطلب لي القناديز. من حضر منهم، بعضهم على كل حال.

جلس الطالب الاول قبالة الولي الطاهر، فبادره بالسؤال:

- ذكرني بما اسمتك به امك.

- مالك بن نويرة.

- هكذا. مالك بن نويرة الجفول، دفعة واحدة.

- نعم يا مولاي.

- اولا تدري انه مات مرتدًا، على يد خالد بن الوليد؟

- نحن على رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسألة مالك بن نويرة.

- تقول نحن. او كبرت الى هذا الحد؟

لم يفهم الطالب ان الولي الطاهر يستنكر هذا التعظيم الذي استعمله في حضرته، لذا لم يشرح من يكون نحن هذا، انه في الحقيقة المئتا طالب، وبعض الشيوخ ممن تناولوا المسألة مع القناديز.

- انصرف.

قال الولي الطاهر مستاءً، ثم طلب الموالي. دخل . سلم مقبلاً يد الولي الطاهر، وظل واقفا.

- اجلس، من انت؟ ذكرنا باسمك.

- مالك بن نويرة.

- ما شاء الله.

لاحظ الولي الطاهر، ان الشاب كأنما لا يخرج الكلام من حلقه، انما يفعل ذلك من موضع آخر، خارج عنه.

في الامر سر. قد يكون وباءً من نوع آخر، سلطه علينا اهل الكفر والشرك، وقد يكون سحرًا، اتاه ساحر، او ساحرًا في حالة تخف بيننا، ولربما مسًا من جن الفيف.

كل الاتان ام متمم. كل الذكور، مالك بن نويرة. انا كذلك في نظر البنات، مالك بن نويرة.

بل قد اكونه، لعلها «حالة» من «الحالات».

ولعله مالك بن نويرة الشاعر. سلم في امرأته ودينه وابنه او ابنائه، وسلم في ثأره، وعاد الى هذا الفيف، يسحر الفتيان والفتيات، فيجعلهم غاوين، يهيمون معه.

ستتضح المسألة في نهاية هذا التحقيق الذي اجريه، وسيتجلى ما اذا كان الخناس الوسواس، او عفريت ماكر، المتسببين، وما اذا كان الفيف، غضب علينا لسبب او لآخر، فأطلق مكنوناته، وحرضها على العباد..ربما لا تعدو المسألة كلها ان تكون حالة صوفية، بلغناها، بالصلاة والذكر والحضرات.

حينها سأعطي العهد والميثاق لكل من هم ها هنا، واطلقهم في الارض ولاة يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة، ويحاربون الوباء.

- لقد ارسلتم عريضة تشتكون فيها، من عدوان احدى الاخوات المقيمات معنا، هل لك ان تقص علي، كيف يجري الامر.

- انتهت المسألة بعد تدخلكم يا مولانا.

- كيف كان ذلك؟ عده علينا.

- بعد الحالة الاخيرة عند الزيتونة، اتخذ كل مالك بن نويرة منا، ام متممة، والليلة الزفاف.

- الليلة الزفاف؟ اين؟.

- في اليمامة. هذه ارادتك يا مولانا: الم تقل ان امة الاسلام في حاجة الى مزيد من المسلمين، وانه يباهى بنا يوم القيامة؟

- بلى.

كان دم الولي الطاهر قد بدأ يفور، وكان الغضب، يلتهب في داخله، نارًا موقدة.

- انصرف واطلب لي المقدم.

- احضر لي الشيوخ، او رئيسهم او من تصادف منهم.

سلم رئيس الشيوخ المعلمين، مقبلاً عمامة الولي الطاهر، وانتظر الاذن ليجلس.

- كيف اصبح مولانا، بعد رحلة البارحة؟

- بخير، من تراني اليوم. امالكا بن نويرة، ام خالدا بن الوليد، ام مجاعة بن مرارة.

- ارى القطب. نور الانوار، سيدنا ومولانا الولي الطاهر.

- وما الذي اعمى بصائر الآخرين؟

- الوجد يا مولانا. حسنا فعلت يا مولانا عندما امرت بأن يتزوج الشباب.

- انا امرت؟.

سكت الشيخ، واحنى رأسه يستعيد الصورة، كان الرعد يقصف، وكانت البروق تتقاطع تشق الظلمة، وكان الغيث يسح، واصوات الآلات، تتسامى، نحو النجوم، بينما الحناجر تهتف:

يا خافي الالطاف نجنا مما نخاف.

والحلقة ترتفع عن الارض وتنزل. كان الولي الطاهر ملفوفًا بهالة من نور، في حالة الحالات.

عاري الرأس، عاري الجسم، شعره فائض، كأنه موجة سوداء وسط الهالة النورانية، التي تستره.

ارتفع على الارض عدة امتار. ظل هناك لحظات، ثم نزل هاتفًا:

- زوجوهم. الطيبات للطيبين. لينكح كل ذكر منهم انثاه.

الطيبات للطيبين.

يا مالك بن نويرة. إنما أم مُتْمِم حرَمُك. انما أم مُتْمِم حرَمُك.

- والزفاف الليلة. وليس في هذا المقام يا مولانا ما عدانا سوى مالك بن نويرة، وام متمم. انها ارادتك كما اشرقت.

- قلت ما عدانا؟ من نا هذه؟

- مولانا الولي الطاهر، وسيدي المقدم، والعبد الضعيف.

- وباقي الشيوخ؟

- وضعيتهم، بين، بين. تارة، يقول الواحد منهم انه مالك بن نويرة، وانه سينكح البنت الزائدة عن المائتين، وتارة يقول انه مجاعة بن مرارة، وان البنت الزائدة ابنته، وانه سيزوجها لا محالة لخالد بن الوليد. واذا ما سئل عمن يكون خالد بن الوليد، قال انه مولانا الولي الطاهر الذي سينكح ايضا ام متمم.

هذه هي الحالة كما تتمثل في الفيف يا مولانا، وكما كانت دائمًا تتجلى لأولياء الله.

- وهل تعرفتم على البنت الزائدة كما تقولون؟

- ومن لا يعرفها من المقيمين بالمقام الزكي. لقد زارتنا كلنا، كما سبق وان اطلعنا جناب مقامكم، وطلبت منا ان نطلب يدها منكم. غير ان ما يعقب زيارتها للواحد منا هو شيء كالوباء الذي هربنا منه، لعله السبهللة.

- السبهللة؟

- لم اجد اسما لـ«الحالة» سوى السبهللة.

- وما هي السبهللة هذه؟

- تسمية من عندي لحالة صوفية كاذبة، تجعل الدجال يذهل عن نفسه وعن ربه، فلا هو بالنائم ولا هو باليقظ.

- حالة ام متمم، عندما كانت رأس مالك، تلتهب اثيفة لقدر وضعته بيدها لتعشي خالدًا.

لاحظ الشيخ ازروراقا يكسو لون الولي الطاهر، فأدراك انه في حالة انسية صاحية، قد تتدرج الى حالة غضب صوفي، لا تعلم عقباه. لقد هد التعب مولانا البارحة، وكان المفروض ان يصعد الى خلوته، يستريح بالذكر والصلاة.

يعسر على المرء ان يعيش الحالة وفي الصحو.

يا خافي الالطاف نجنا مما نخاف.

قال، واستأذن الولي الطاهر، يسأله:

- هل لمولانا ما يأمر به؟

- ليدخل علي المقدم.

- امر سيدي.

- من انت؟

- كما ارادت اشراقه مولاي. العبد الضعيف خادم القطب الرباني، سيدي الولي الطاهر.

- ادخل علي سجاحا.

- نعم مولاي؟!

- قف جانبا، واطلب بصوت آمر قاطع. ان تتقدم منك ام متمم، فمن تتأخر ولا تستجيب للأمر، ايتني بها.

- وان استجبن كلهن يا مولانا؟

- حتى وان استجابت فستتأخر في مشيها. تكون آخر من يستجيب. ستفاجأ.

واجه المقدم الصف الطويل، وبعد ان تأمل المصطفات قليلا، مستغربًا كيف يكونن، كأنهن واحدة. نفس القامة، نفس الاعين البراقة نفس الجلباب الذي يغطيهن، نفس الاحذية التي في اقدامهن. لأول مرة يراهن مجتمعات في هذه الوضعية، ولو انه يعرف واحدة منهن. لقد سهللته، كم من مرة.

- اسمعن يا اخوات. الولي الطاهر، مولانا، يطلب ام متمم، فمن كانت منكن هي تتقدم.

اسرعن، المائتان، يخطون في الرمل، واثبات، سطرًا واحدًا انتقل من هنا الى هناك.

- انت، يا من تخلفت عن الجميع. تعالي. مولانا يريدك انت بالذات.

اولجها الباب، واغلق عنها. كما امر الولي الطاهر.

لم تنتظر ان يؤذن لها لا بالسفور ولا بالجلوس، كانت هي هي.

لكن تمضغ علكة، في وقاحة بينة.

- الاخريات نائمات؟

- واين تريدهن ان يكن؟ كيف توصلت الى الجوهر بعد ان غمرتك بالعرض؟

- سبحان الذي يعلم الجهر وما يخفى. لقد سعيت من اول يوم الى لقائي، فها انك هناك، فماذا تريدين؟

- اريدك، ان اعيش معك حالة وان تمنحني ولدًا يكون، «كل الناس».

- اي ناس؟

- الذين حملني التلفاز اليك من عندهم. كل الناس. صينيون، امريكان، هنود، ألمان، فرنسيس، مسلمون، مسيحيون، يهود، هندوك، عبدة شمس واوثان.

- ولماذا اخترتني انا بالذات؟

- للصفة التي تتمتع بها، فأنت، قطب حقيقي، من خلال مخك وخلاياه، تستطيع استقطاب كل تلفزات العالم، وكل الاقمار الفضائية التي تسبح في السماء. ولربما تتصل بكواكب وعوالم اخرى، انت مثلي يا مولاي الولي الطاهر. والذين ارسلوني اليك يريدون ملء هذا الفيف، بنسل خاص، واعلم انهم ظلوا يرصدونك عدة قرون، من بعد ما القوا القبض علي.

- وهل يكفي ولد واحد؟

- نعيد حكاية امنا حواء وابينا آدم. ثم اننا نستطيع ان نصب العرض في الجوهر، فيكون مائتين وواحدًا، ومائتين وواحدة.

سيدي ومولاي. تعلم، انه لا يوجد في هذا الفيف غير الجوهر، انا وانت، وما عدا ذلك من قناديز واخوات، ومقدم وشيوخ، عرض من صنعي عندما اريد، ومن صنعك عندما تريد.

حبيبي. مولاي الحبيب.

هذا الفيف، ليس سوى حالة، عشتها، فأنزلتني من السماء، ولا مهرب لك من ان تعمره. هذا الفيف. تعمره بالجوهر وبالعرض.

كانت مستغرقة تعلك كالنعجة ما في فمها، وتلقي بين الحين والآخر قطعة من ثيابها، كأنما هي في احدى غرف منزلها، بينما الولي الطاهر، يتأملها، ويقرأ ما يجول في خاطرها مما تريد ان تقوله.

القت عليه نظرة، فبان لها يافعا، على رأسه «شماغ» ابيض وعقال اسود، لحيته تنحدر من اليمين كراء، ومن اليسار كراء ايضا لكنها مقلوبة. الراءان يلتقيان عند نقطة كبيرة في حجم الذقن. انفه معقوف، وحاجباه كعينيه، يشعان بالسواد. عليه بذله افرنجية، داكنة اللون، وفي قدميه حذاء يشع بالسواد بدوره.

تأملها الولي الطاهر مليًا، وقرر في داخله، ان نقطة ضعف هذه المرأة انها كباقي النساء، لا تستطيع ان تتخلص من عادة الافصاح عما في نفسها، فتصغي لغيرها. وترى الجوهر. كما هو لا كما يحلو لها من تصنعه. وانه لن يتمكن من هزمها عندما تنشب المعركة الفاصلة الا بهذا السلاح.

كانت شبه عارية، طرحت جلبابها، ثم قميصا حريريًا ورديًا، ثم سروال جينز بعضه مبيض وبعضه يحتفظ بزرقته الدكناء، وقذفت بحذائها ذي الكعب العالي، بعيدًا عنها غير مبالية بموقعه.

ازداد لون وجه الولي الطاهر زرقة، فكان يبدو من تحت العمامة البيضاء المستديرة، كبقية خشبة محترقة.

قرر ان يبدأ المعركة.

هذا المقام الزكي لن يتطهر الا اذا تخلص من هذه الجنية.

نعم جنية، والا كيف تزعم الولاية، ثم تزعم النزول من السماء، ثم تطلب القضاء على المسلمين واهل الكتاب وباقي الامم، بانجاب نسل جديد، فيه كل الناس، وليس اي ناس. ما الذي ضرها ان يبقى الناس على ما هم عليه، ناسا.

(البقية على ص ٢٠)



باحثا عن «وجوه لا تموت» في الثقافة العربية

الناقد اللبناني محمد دكروب

الفكر وحده لا يستطيع أن يؤسس مجتمعا متقدما

حاوره- رشاد نصر

«وجوه لا تموت» الكتاب الثالث في السلسلة التي بدأها الناقد محمد دكروب، قبل ما يزيد على العشر سنوات، كان الكتاب الأول: «شخصيات وأدوار في الثقافة العربية الحديثة». وقد تناول عدداً من المبدعين في مجالات شتى. كتب عن مارون عبود وحسين مروة وبول غراغوسيان ورضوان الشهال وغيرهم. ثم جاء كتابه الثاني». الذاكرة··· والاوراق وكان قراءات في وجوه عدد من المبدعين امثال غسان كنفاني وسعدالله ونوس وغالب طعمه فرمان ومحمد عيتاني. في كتاب «وجوه لا تموت» يواصل دكروب المهمة ذاتها. في هذا الشكل من السيرة أو من النقد الأدبي، اختار الكاتب ان يرى حركة التفاعل بين المبدع ونصه، وذلك عبر النظر في مسيرة مبدعين عرفهم الكاتب وعايشهم، كما عايش تحولات الكتابة وفنونها في أعمالهم. فحاول ان يلقي الضوء على شكل حضور المبدع، وموقفه وعصره، في النص الذي كتبه. وكذلك تأثير النص، بدوره، في مسيرة المبدع نفسه، وفي حركة مجتمعه.

وهذه الكتابة اذ تحاول تصوير وتحليل شخصيات عدد من المبدعين، تجهد عبر هذا، ان تحلل نقدياً - وتذوقياً - العديد من نصوصهم وما حملته من جديد··· فهل يمكن لهذا النوع من الكتابة ان ينطوي على اقتراح لشكل ما، له خصوصية ما، في حركة النقد الأدبي العربي الحديث؟ هذا ما نحاول الاجابة عليه من خلال هذا الحوار مع الناقد والباحث محمد دكروب:

*** ما هي المعايير التي تعتمدها، والشروط التي تخضع اليها في اختيارك لنصوص هذا المؤلف او ذاك. وهل بالامكان القول انك تعتمد رؤية نقدية مسبقة ومنهجاً نقدياً محدداً في التعامل مع هذا الكاتب او ذاك الشاعر؟**

- انا لا اضع أي شرط مسبق، على أي رؤية نقدية للكاتب او الروائي او الشاعر. اذ لكل ناقد ولكل كاتب، مدخله الخاص الى هذه الرواية أو لهذا الروائي، او الى هذه القصيدة أو لهذا الشاعر. بمعنى انه لا يوجد مدخل عام لكل شيء. فالكتابات التي اقدمها في النقد الادبي، متعددة المداخل. وما جمع في كتابي الاخير «وجوه لا تموت»، يشكل الكتابات التي كان مدخلها هو معرفتي الحميمة بأصحاب هذه الوجوه الأدبية. لدي دراسات أخرى تنصب على الإرث الأدبي في كتابات البعض، وهي من دون شك تتناول المناخ الذي كتب فيه هذا الاثر. ولكن من غير ان تربطني بأصحابها علاقة حميمة، لكن ما اكتبه في كتاب «وجوه لا تموت» الذي يشكل الكتاب الثالث في النمط النقدي بعد «شخصيات وادوار في الثقافة العربية الحديثة»، و«الذاكرة··· والاوراق»، هو كتابة نقدية مختلفة، لا سيما انني نظرت الى هؤلاء الكتّاب الاصدقاء، الذين جمعتني بهم روابط حميمة، نظرات حملت في مضمونها، بنية الدخول اليهم، كشخصيات روائية، وليس كأفراد فقط واسماء. من هذا المنطلق، دخل نوع من التخييل في كتابتي هذه، بين رسم شخصية الكاتب والمناخ المحيط به، اي تشكل نوع تركيبي في تجربتي هذه، ويمكنني القول ان كل شيء في هذه الكتابات كان صحيحاً، الا ان تركيب المناخ فيها مختلف. هناك شيء زائد، وشيء ناقص. وفي ذلك نمط من التركيب القصصي - اذا صح التعبير - يروي حكاية شخص حقيقي. فانا لا استطيع ان اخرج من حقيقة هذا الشخص. لكنني كنت اضعه في مناخ وفي رؤية شبه سينمائية، لكي استطيع الاضاءة عليه، كشخصية انسانية، من خلال اهتمامي الشخصي به كانسان اولاً وأخيراً. خصوصاً انني لا ارى اي اثر أدبي، الا اذا كان المؤلف حاضراً في مضمون هذا الاثر. فكيف اذا كان المؤلف ذاته، حاضراً عندي أيضاً؟ من هنا أحسست انني كتبت نمطاً مختلفاً عما هو موجود في البلاد العربية. علماً ان هذه النمط موجود في العالم. واعتقد ان مدخلي للكتابة هو حبّي لهؤلاء الكتّاب فعدم تحرّج الناقد من الكتابة الجيدة، عن مبدع آخر، وحبّه للكتّاب مسألة مهمة جداً. وللأسف، فان حب النقاد للكتّاب وللنقاد، مفتقد في وطننا العربي. نادراً ما أقع على كتابات بالشكل الذي اشير اليه. وهذا النمط بالذات، ارى انه تابع لنفسيات النقاد، وبطبيعة علاقتهم مع الكتاب الآخرين. ان دعوتي التي يمكن تلخيصها من خلال تجربتي النقدية هذه، تكمن في مخاطبة النقاد، والقول لهم ان هذا الكتاب، شئنا ام أبينا، موجود في نصه، فانتبهوا الى هذه الناحية، لان النص بات يتعرض للقطع عن كيان الكاتب، وعن المرجع الاجتماعي الحي، وعن المناخ التي كانت تلك الرؤية، او ذاك الشعر وليده. لقد مر نمط من النقد في حركتنا الأدبية - واعتقد انه في طريقه الآن الى الانكفاء - اعتمد فيه النقاد، ليس فقط على فصل الأثر الابداعي عن المبدع، وانما على تجزيء وتشريح النص ذاته، بما يبعده عن ذاته. وغالباً ما قرأت دراسات يتخللها تشريح، من دون ان يصار الى اعادة تركيب. فالنص في هذا السياق التفكيكي، لم يبعد عن مبدعه فقط، وانما ابعد عن القول الذي يقوله. علماً ان هذا القول يشكل الوجود الاثمن في عملية كتابته.



اشكالية الشكل

الملاحظ ان كتابك استقبل ابداعات تعود الى اجيال متعددة، واللافت في هذا السياق ان الشخصيات المبدعة التي عمدت الى الحديث عن تجاربها، مختلفة التوجه من حيث اسلوب الكتابة، وتنتمي الى تيارات ومدارس ابداعية لا صلة تربط بينها، هل حاولت من خلال هذا الجمع القول ان التجارب الابداعية تتناسل من بعضها البعض، وان الحداثة هي ابنة الكلاسيك. ماذا عن اشكالية الشكل والى أي حد توافق على تقطيع الأدب الى مراحل ومدارس؟

- اعتقد ان اشكالية الشكل، هي اشكالية مستمرة، طالما ان الفن محكوم بان يجدد ذاته. ودائماً، أي مبدع - برأيي - يأتي بجديد ما، حتى في الشكل الكلاسيكي، لان ما ابدعه يتجاوز اطار الشكل، ويحقق وجوده الفني. المبدع يكون مبدعاً حتى في انتمائه للشكل المتحفظ عليه من قبل البعض. الكاتب نجيب محفوظ على سبيل المثال، هو كلاسيكي الرواية العربية، ولكن بتطوره في الكتابة، تطور معه هذا الشكل الكلاسيكي، الى أشكال حديثة كلاسيكية، لا سيما في رواياته التي أتت بعد «اللص والكلاب» و«الشحاذ» أي ما بعد مرحلة الثلاثية.

وبالنسبة الى الشعر الحديث، فبطبيعة الحال، نرى ان كل جديد يحمل ثورة فيها مبالغة على ما قبله. وفيها محاولة نفي تام لما قبل. الى ان يترسخ هذا الشكل بقوانين جديدة معينة، والى ان يتبين ان الجديد ليس فقط في الشكل.

الشكل هو احد عناصر اطلاق الجديد، بالنسبة الى موقف الكاتب من الحياة والى رؤيته لها. وعلى سبيل المثال نرى ان عدداً من كبار شعراء الحداثة، مثل ادونيس، محمود درويش، والبياتي أحياناً، يستخدمون في القصائد الطويلة مختلف الأشكال، بما فيها الشكل العمودي، ضمن بنية عامة. هناك نرى ونحن نقرأ ذلك ان الحداثة ليست ابداً في الشكل وحده. فالشكل هو أحد عناصر هذا التشكيل الشعري. واليوم نحن نشهد انكفاء التعصب الى شكل جديد ضد شكل قديم، ونشاهد جديداً يتشكل بمختلف الأنواع، وقد تظهر فيما بعد اشكال أخرى.

من جهتي، انا من الجماعة الذين يستقبلون أي ابداع، بأي شكل كان. المهم ان يقول لي انه فن.

حكاية محمد عيتاني

في حديثك عن رواية «الجدران» للكاتب اللبناني الراحل محمد عيتاني، استخدمت مفردات ضيّعت و اخفيت ، ما الذي دفعك الى هذا التخمين خصوصاً وان الرواية لم يسبق لك ان قرأتها وهي مخطوطة. ما الذي أوحى لك ان الرواية موجودة أصلاً؟

– من خلال احاديث محمد عيتاني، ومن خلال معرفتي بأسلوبه في الرمي بكتاباته هنا وهناك، عندي شك بالنسبة لرواية «الجدران». وهو شك أولي ان محمد عيتاني ربما لم يكمل الرواية. لقد كانت لديه طاقة على التخيل، الى درجة تجعله يصدق ذاته. وعندي شك أيضاً بانه اعطى روايته الى مجلة او جريدة. ربما تكون احداث الحرب قد ضيعتها. وربما يكون احدهم قد استولى عليها واخفاها الى حين آخر. من هنا لا أجزم في حكم محدد، لا سيما ان محمد عيتاني وضع عندي في الماضي كتابات له ونسي وجودها. وكنت اذكره بها دائماً. محمد عيتاني هو نفسه رواية، لم يكن يصبر على تأليف رواية أكثر من ثلاثة أيام. انه مبدع عجيب في حياتنا. وهو أهم واحد كتب – ويمكن ان يكون هو الوحيد – عن انسان منطقة رأس بيروت وتحولات هذه المنطقة من ريف، الى مدينة رأسمالية شريفة، قلعت كل المساحات الخضراء، وشيدت مكانها مبان اسمنتية خانقة. لذلك كان محمد مندفعاً الى كتابة قصص عن هذه المنطقة قبل ان يموت، وقد بدأ فعلاً في رصد مشروعه المهم من خلال رواية «الجدران» التي كتبت انا عن الظروف التي احيطت بولادتها وعن ملابسات ضياعها في كتابي «وجوه لا تموت»، وأجزم ان كتابتي عنها ستقطع الطريق على اي محاولة لنشرها في اطار آخر – اذا كانت مسروقة.

عامية موحدة

حددت في دراستك مفهوماً مميزاً عن اللغة الفصحى التي يوردها الكاتب أحياناً في مناخ شعبي، وصححت المفهوم السائد عن البعض حول تسمية المفردات التي تستخدمها الشخصيات الشعبية في النص، بانها عامية. هل انت من الداعين الى استخدام لهجة عامية موحدة في المستقبل القريب بدلاً من اللغة الفصحى المتداولة على صورتها الماضية؟

– أولاً ان مسألة تبديل اللغة، ليست لعبة. فاللغة ابنة تاريخها. ابنة تحولاتها البعيدة والطويلة المدى، ولا يمكن لأي اقتراح بتبديل ما في اللغة، ان يحدث، من غير ان تكون لديه قاعدة تحمل تطوره، حتى لو صدر قرار في كل الدول العربية بمنع الفصحى والكتابة بالعامية او العكس، لن يبصر هذا القرار النور، لان اللغة كما قلنا هي ابنة تاريخها. هناك اشكالية بالنسبة الى اللغة العربية بالذات بين عامية وفصحى – يأخذ حجماً كبيراً في وجودنا الفني – وهذه الاشكالية غير موجودة في سائر الحضارات، الا بشكل جزئي، وتكمن هذه الاشكالية، او هذا الاشكال في الحوار المتبع في الرواية العربية، فالروائي يجد ان الكلام الفصيح المذكور على ألسنة الشخصيات، يمكن ان يؤدي الى تزوير ما في طابع هذه الشخصيات، هنا تختلف النظرة بين روائي وآخر. مثلاً نجيب محفوظ مصرّ على كتابة الفصحى، ويحرص على عدم تضييع شخصيات روايته في الوقت ذاته، اما مارون عبود، فقد استطاع ان يستخدم في الحوار لغة، يظن القارىء انها عامية، لكنها بمفرداتها جميعاً فصيحة تماماً، الا ان السياق الذي وضعت فيه، يدخل في مناخ العامية. ان اللغة التي نتحدث بها انا وانت الآن، هي لغة المثقف العربي اليوم. وقد اصبحت تتقارب وتتوالد لا سيما انه مع ارتفاع مستوى الثقافة والتعليم العام، تتغير اللغات من عامية الى ما يشبه الفصيح، ومن الفصيح الى ما يشبه العامية، ولكن متى تصل هاتان اللغتان الى نقطة تلاق لتشكل بالتالي لغة كتاب؟ هذا الامر مرتهن بمسيرة تاريخية، ومرتبط بالتطور العلمي التعليمي الثقافي العام. فالمثقف الموجود في المقاهي مثلاً، نسمعه يتكلم لغة ثانية، بمعنى انه يتكلم بلهجة عامية، وهي ليست بعامية تماماً. اما بالنسبة الى الرواية التي تنطوي كما هو معروف على متن وحوار، فانا لا اعتبر ان الحوار العامي في الرواية هو ضد القومية العربية. اذ منذ وقت طويل قرأنا كتابات روائية يستخدم اصحابها الحوار العامي، ولم تتهدم القومية العربية. المهم في ذلك كله الا يتفصحن البطل الشعبي في الرواية، اي ان لا يظهر على غير حقيقته، وهو يتحدث بلغة المثقف، والا يظهر بالتالي على غير صورته، ويحكي الكلام الشعبي الخالص.

من هنا نجد ان لغة المثقف اليوم التي تقف بين الكلام الفصيح، وكلام العامة قد يتوالد منها مع حركة التطور الأدبي والفني شكل آخر في استخدام العبارات. كما اختلفت العبارات والمصطلحات في لغتنا الراهنة عن السياق الذي كان سائداً في القرون الماضية.

نتاج رواد النهضة

لماذا هذه العودة للقراءة في نتاج رواد النهضة. (وهذا ما فعلته في كتابك خمسة رواد يحاورون العصر) والتفتيش في بطون الماضي، علماً ان النهضة العربية الحديثة، لم تنجح في تحقيق التجاوز النهضوي للماضي، وبالتالي لماذا يوضع التراث عندنا بصورة أو بأخرى مقابل تحديات العصر؟

– كل كتابة عن فكر مضى ومفكرين سبقونا، تحمل بالضرورة هماً راهناً أو رؤية راهنة للفكر السابق. ان الكثير من المفكرين السابقين وبالتحديد المتعددي العطاءات لا يستنفد فكرهم وابداعهم من قراءات محدودة. كل قراءة لا بد ان تعثر على جديد تكتسبه من الزمن الراهن ومن فكر وطبيعة الشخص الذي يقرأ.

كتب الكثير عن أمين الريحاني وجبران وعمر فاخوري ومارون عبود ورئيف خوري وغيرهم، وسيكتب الكثير أيضاً، المهم ان تحمل الكتابة الجديدة تفسيراً مختلفاً لكتابات هؤلاء، وتكشف عن جوانب لم يسبق ان سلط الضوء عليها.

قرأت معظم ما كتب عن اعمال الرواد، ووجدت بعد هذه القراءات ضرورة الكتابة عن جانب اغفلها النقد التقليدي الرسمي. تحدثت عما هو تقدمي وشمولي ومستقبلي في فكر هؤلاء الخمسة. وركزت على بدايات تشكلهم الفكري. هذه البدايات لم تأخذ حظها من الدراسة رغم انها تحمل بذور ما انتهت اليه افكارهم ومواقفهم في الفترات اللاحقة، حين صارت اكثر نضجاً ووضوحاً وتكاملاً، دون ان انسى التناقضات الموجودة داخل النسيج الفكري لكل منهم. هذه الكتابة جزء من مشروع اعمل عليه لوضع سلسلة من الكتب اتناول فيها عدداً من النهضويين الذين ربطوا بين فكرهم وبين التحرك العملي في سبيل هذا الفكر، فكانوا في الوقت نفسه كتاباً ومناضلين في الميدان الثقافي والاجتماعي امثال فرح انطون، شبلي الشميل، سلامة موسى ونقولا حداد وغيرهم.

قراءة جديدة

الموقف في منهجك النقدي في كتاب «خمسة رواد يحاورون العصر» يراك تسلط الضوء على ما يناسبك في افكار هؤلاء الرواد. هذا النقد يحاول ايهامنا ان جبران كان شيوعياً ومارون عبود ماركسياً وعمر فاخوري علمانياً... الخ. انك تقطف من نصوصهم جملاً وأفكاراً تدعم ما تصبو الى تثبيته حتى بدا الامر وكأنك تحمّل افكار هؤلاء اكثر مما تحمل هي في الأصل؟

– بالنسبة الى جبران وامين الريحاني، نجد ان ما كتب عن الأول كان يركز الضوء على النزوع الرومنطيقي والضبابي عنده، ومدى اسهامه في تجديد الحركة الأدبية وفي اطلاق الحداثة في الكتابة العربية. لكن الكثير من الكتابات التي تناولت الغموض الجبراني اتسمت هي ايضاً بالغموض.

عند اعادة قراءة جبران ركزت على المسار العملي في حياته، ووجدت عنده الكثير من الفكر المستقبلي التغييري على الصعيد الاجتماعي. فهذا الرومنطيقي جرّب ان يشارك عملياً في حركات وحلقات لها طابع اجتماعي تتجاوز كونه كاتباً. الشيء الذي لم يكن سابقاً بهذا الوضوح، وهذا السبب يخيل للقارىء انني احمّل جبران فوق ما يحتمل فكره. ويخيل للبعض ان محمد دكروب فتح الباب وادخل جبران في الحرب. الواقع انني لم افتح الباب ولم يدخل جبران منه. بين يدي نصوص قرأتها واعطيتها هذا التفسير او ذاك، وبين يدي كتابات عن اعمال ساهم بها جبران برفقة الريحاني ونعيمة وسواهم، وما قدمته محاولة قراءة جديدة لهذه النصوص التي استشهدت بها الدراسة، وعمدت الى التوثيق الدقيق ما أمكن حتى لا يقال انني اعطيت جبران اكثر مما عنده.

الحقيقة انك عندما تضيء الجانب الاجتماعي في الفكر الجبراني يخيل للقارىء، انه يرى جبراناً آخر. لكن حين يقرأ ما كتبه جبران الى ماري هاسكل: لو عاد المسيح في هذا الزمان لكان بلشفياً لا بد من ان تدهشك هذه الكلمات وستبحث عن مصدرها.

زلات جبران

لجبران هفواته وتحديداً في رسائله الى ماري هاسكل. الا تعتقد ان هذا القول الذي استشهدت به هو واحدة من زلات جبران الكثيرة، دون ان ننسى ما اقتبسه في كتاب «النبي» عن كتاب «خالد» للريحاني؟

– دراسات كتابي لم تتناول مختلف كتابات المؤلف، ولا مجمل نشاطه الفكري والابداعي والادبي. ومن حق أي باحث ان يلقي الضوء على ناحية من فكر الكاتب دون ان ادخل بالتفصيل الى مجمل نتاجه. احياناً يكتب الناقد عن جملة واحدة، وفي تناولي لجبران والريحاني ومارون عبود، كتبت عن نواح محددة، اشرت الى بعض المواضيع الأخرى اشارات عابرة. همي ترك كما ذكرت اضاءة الجانب العملي في الفكر الجبراني، كذلك الحال بالنسبة للريحاني حين تناولت فكره السياسي الاجتماعي في كتاباته الأولى. اما رئيف خوري فقد تعاملت معه بشمولية أكثر. واعتقد ان مسؤولية الباحثين المتميزين والموضوعيين يجب ان تدفعهم الى قراءة رواد النهضة على ضوء ما هو راهن. انني مع آخرين حاولت التصدي لجوانب من هذه المهمة، والطريف ان اكثر هؤلاء المفكرين الذين حلموا بعدالة اجتماعية، كانوا يشددون على تلازم هذه العدالة مع الحكم الديموقراطي. هذا التزام لم نكن نحن المثقفين العرب نرى اصالته وصحته وضرورته عندما نتحدث عن نظام اجتماع عادل، ولم نكتشف ذلك الا بعد ان حصل الانهيار.

فلسفة التراجع الخلدوني

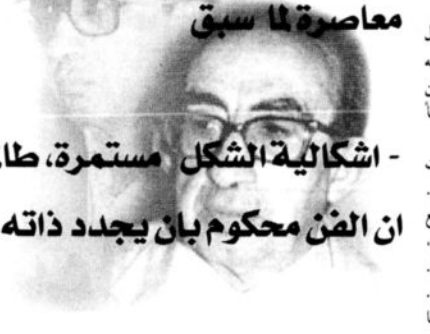
النقد الذي توجهه الى المفكرين العرب وفشلهم في تحويل التجربة الى وعي ينسحب أيضاً على غالبية رواد عصر النهضة. حتى ان ابن خلدون نفسه انزوى معتزلاً السياسة بعد ان فشل فيها ليكتب من معتزله في قلعة ابن سلامة عن أسباب تراجعنا وليس عن كيفية تقدمنا. لقد غابت عن مقدمته كلمة المستقبل وكتب فلسفة التراجع في التاريخ؟

– القول باعادة قراءة رائدة لفكر هؤلاء النهضويين يتضمن ضرورة القراءة النقدية في فكرهم. ويجب ان ننتبه ان فكر النهضويين ليس متماثلاً وقد عاشوا صراعات وتناقضات حتى العظم. بينهم علمانيون مادیون وتقليديون ينطلقون من افكار سلفية ودينيون متنورون. كل هؤلاء خضعوا لقوى سياسية متصارعة. وما أراه خطأ في الكتابة عن فشل رواد النهضة في تأسيس نهضة حقيقية هو وضع مسؤولية هذا الفشل على عاتق النهضويين وحدهم. الفكر وحده لا يستطيع ان يؤسس مجتمعاً متقدماً. مأزق رجال النهضة يتجلى في ان هؤلاء أخذوا من الفكر النهضوي الأوروبي وتحديداً من فكر الثورة الفرنسية، واخص هنا محمد عبده والطهطاوي والافغاني وفرح انطون وشبلي الشميل دون ان ننسى طه حسين. جميع هؤلاء اخذوا من فكر الثورة الفرنسية وكانوا يتوهمون ان نشر هذا الفكر التنويري هو الكفيل باحداث نهضة تشبه ما حدث في فرنسا بعد الثورة، ولم ينتبهوا الى ضرورة تلازم هذا الفكر مع معطيات المجتمع.

- قدمت قراءتي الخاصة لرواد عصر النهضة... ولم احمل نصوصهم اكثر مما تحتمل

- الشكل احد عناصر التجديد ... وكل جديد يحمل ثورة على ما قبله.

- كل كتابة عن فكر مضى ومفكرين سبقونا تحمل بالضرورة هماً راهناً او رؤية معاصرة لما سبق



- اشكالية الشكل مستمرة، طالما ان الفن محكوم بان يجدد ذاته



الشاعر عز الدين ميهوبي،

رئيس اتحاد الكتاب الجزائريين

الدور الثقافي العربي خلال سنوات الازمة الجزائرية كان سلبيًا!

• الساحة الثقافية العربية مطالبة بأن تنتظر ما تحمله رياح الجزائر الادبية في السنوات القادمة •

* ما الذي يحدث في الجزائر؟! سؤال تأخر كثيرا كشأننا العربي دائمًا، من الافضل اذن ان نقول: ماذا فعلنا لبلد المليون شهيد؟ الاجابة قاطعة: لاشيء!! فأنهار الدم التي سالت ما زالت تسيل، والموت الذي نزل من جبال «الاوراس» قديمًا، كان يعرف عدوه جيدًا، اما الآن فقد صار يخبط خبطًا عشوائيًا، وقائمة الضحايا من الكتاب والصحفيين فقط، ضمت ستين اسمًا، والبقية تنتظر، فهل توجعت ضمائرنا او تحركنا؟ في كل عاصمة عربية ينفتح جرح عن آخره، والعجز يتنزه في الشوارع، والمرارة تملأ حلقوم اشقائنا في الجزائر بالغصة، فهذا ما يفضحنا به عز الدين ميهوبي، الشاعر ورئيس اتحاد الكتاب الجزائريين، فهل نفعل شيئًا؟ وبداية من ديوانه «في البدء كان اوراس» وانتهاء بـه اللعنة والغفران» كان «ميهوبي» معنا عبر هذا الحوار، الذي اجريناه في مقر الاتحاد، المشرعة نوافذه على المستقبل في احد شوارع العاصمة الجزائرية.

*** وانت على رأس اتحاد الكتاب الجزائريين كيف تقيم الوضع الثقافي الراهن في الجزائر؟**

– الاتحاد لم يكن بمنأى عن الازمة التي اصابت كل مؤسسات الدولة الجزائرية، فاذا نظرنا من زاوية امنية، فالاتحاد عبر اكثر من ١٥ عضوا من اعضائه دفع ضريبة الصراع الدموي الذي عرفته الجزائر في السنوات السبع الاخيرة. ومعنى هذا ان الازمة ضربت العقل وشلت حركة المعرفة، ولم يكن سهلاً على اتحاد يضم نخبة من الكتاب والأدباء ان يتحرك داخل شارع طغى فيه صوت الرصاص على صوت الحكمة، وبالتالي هاجر من هاجر واختار الصمت من اختار. واذا كان المثقف يتحمل نصيبًا مما حدث في الجزائر، سواء بالصمت ام بالنفي الاختياري ام الاضطرار ام بالتقوقع في خانة سياسية معينة، فاننا لا نطالبه بأن يكون مهندسًا يعيد ترميم بناء الوطن المنهار ولا عرافا يستقرئ مستقبل وطن اسقط العقل واوكل الامر الى العنف.

واخيرًا عقدنا المؤتمر الاستثنائي لاتحاد الكتاب الجزائريين في مارس ٩٨، لتجاوز حالة اللوم والعتاب التي تواجه الاتحاد من كل جانب، واول ما قمنا به هو تنظيم ندوة «المثقف والعنف» في مايو ٩٨ وكانت اول مناسبة يبدي فيها المثقفون الجزائريون على اختلاف توجهاتهم رأيا واضحًا فيما يحدث وخرجوا بموقف واضح من الازمة يرفض الارهاب ولغة العنف.

وهكذا يبدأ الاتحاد يستعيد حيويته بزيادة عدد اعضائه الى الضعف في اقل من سنة.

*** بعض الاقلام انتقدت موقف الكاتب والمثقف الجزائري بسبب صمته الطويل واستكانته فبماذا ترد؟**

– ما يقوله هؤلاء مردود عليهم، فبدلاً من ان يسارعوا الى اتخاذ مواقف انسانية يساندون فيها الشعب الجزائري اولاً والمثقف باعتباره واجهة لحالة الصراع ثانيًا، فإنهم راحوا يتساءلون من يقتل من وماذا يحدث في الجزائر؟.

في الوقت الذي كان فيه الرأي العام الغربي من خلال اعلامه ومثقفيه ومجتمعه المدني، يتحرك بصورة جعلته في نظر الجزائريين الاكثر خوفًا على الجزائر، فلم نلمس من اغلب الكتاب والادباء والاعلاميين العرب موقفًا يساند الشعب الجزائري، ولم نسمع عن مسيرة للتنديد بالمجازر التي حدثت والاغتيالات التي طالت عددًا من الكتاب والشعراء والمثقفين والصحفيين، فالدور الثقافي العربي خلال سنوات الازمة الجزائرية كان سلبيًا، إلا اذا استثنينا بعض الحالات الفردية.

*** هل يمكن ان نقول ان موقف الجزائري وصمته يمثل انتكاسة او حتى مؤامرة كما رأتها بعض الاوساط الثقافية العربية؟**

– عندما اغتيل فرج فودة تحرك المثقفون الجزائريون. وعندما تعرض نجيب محفوظ الى محاولة اغتيال تحرك المثقفون الجزائريون. وعندما صودرت اعمال وكتب في مختلف العواصم العربية لم يتردد الكتاب والمثقفون الجزائريون في اتخاذ المواقف المسؤولة. لكن عندما اصاب الرصاص ما يزيد على ٦٠ صحفيا جزائريًا مرت هذه الارقام في الاعلام العربي دون التوقف امام خصوصيتها، وكأنها ارقام تضاف الى ضحايا المأساة التي هي في النهاية لعنة اصابت الجزائر.

*** كيف تقيم المشهد الابداعي في الجزائر الآن؟**

– بعد فتور فرضته الازمة لوحظ اتجاه الكتاب والمبدعين نحو نشر اعمالهم واثراء الساحة بتجارب جديدة فضلاً عن الامسيات والندوات التي تقام عبر الوطن، واتحاد الكتاب من جانبه يقوم حاليًا بعملية تجديد الفروع الجهوية التي بلغت ٢٥ فرعًا مع التفكير في فتح فرعين احدهما في المشرق العربي والثاني في اوروبا، وهذه الحيوية التي تعرفها الساحة تعدت الشعر والكتابة الى فنون اخرى كالمسرح والفن التشكيلي والغناء.

*** هل ترى ان الازمة في الجزائر افرزت نصوصًا مغايرة في الشعر؟**

– هل يعقل ان ينتج مبدع فكرًا او يترجم رؤية ابداعية وهو محاصر بالخوف وبالموت الذي يدق الابواب كل مساء. وباخبار الانفجارات والسيارات المفخخة والاغتيالات الجماعية. ربما كانت هذه المرحلة مرحلة تراكم لحالات وانفعالات نعتقد انها ستترجم الى اعمال اقرب الى الشهادات التوثيقية منها الى النصوص الابداعية، ويمكنني ان اقول بكل ثقة ان الساحة الثقافية العربية مطالبة بأن تنتظر ما تحمله رياح الجزائر الادبية في السنوات القادمة.

*** بعيدًا عن المسؤولية ماذا عن مشروعك الخاص كشاعر؟**

– حاليًا اقتنعت بأن الكتابة بلغة واحدة غير كافية لايصال الفكرة الى ابعد نقطة في خارطة الكون، فانا اركز حاليًا على ترجمة كل ما اكتبه الى كل لغة، وجدت سبيلاً الى الترجمة اليها، فما دمنا نحمل هموما وقضايا ونريد ان نقنع الآخرين بما نحمله فليس اقل من ان نخاطبهم بلغاتهم، ومثالي على ذلك انني نشرت مجموعة قصائد تصور هاجس الموت في الجزائر، مهداة الى اصدقاء خطفهم الموت فجأة، ترجمت الى الانجليزية مما فتح امامها باب الانتشار لتترجم الى الفرنسية والنرويجية ثم الايطالية، وهي عملية تؤكد على ضرورة ترجمة الادب العربي الى لغات اخرى لأن العالمية لا تتحقق بلغة واحدة، ولو كانت الانجليزية التي تحكم العالم.

*** قد نطرح سؤالاً اكثر خصوصية وهو ما الذي تشعر بأنه يميزك في خريطة الشعر العربي في الجزائر؟**

– ليس من حقي ان اتحدث عن تميزي، لكنني اكتب بلغة بسيطة وصادقة، واتحاشى الغموض والتعقيد، واسعى الى ان يحتفظ القارئ بمقاطع في ذاكرته لأنها تشكل امتدادًا لي في وجدان الآخرين.

*** ما مشاريع الاتحاد في ظل السياسة الجديدة للبلاد؟**

– نحن نستكمل اعادة الهيكلة التنظيمية للاتحاد، اضافة الى توفير موارد مالية دائمة وترقية عملية النشر بطبع اكبر عدد من الاعمال الخاصة بالجيل الجديد، وفتح قنوات مع الهيئات الثقافية العربية لتبادل التجارب والخبرات من خلال الدعوات المتبادلة للوفود.

وسياسيًا نعمل على ان يكون الاتحاد تنظيمًا فاعلاً في السياسة.

(«الاهرام العربي» - القاهرة)

قضايا نسوية

قضايا المرأة بين التراث والحداثة



د. منى فياض

* عندما قررت الذهاب الى القاهرة لحضور مؤتمر «مائة عام على كتاب قاسم امين، تحرير المرأة»، اعتقدت انها سوف تكون رحلة اقرب الى الاستجمام منها الى الفائدة العلمية، لكن تكشف الامر عن احتفال، مع ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ مضمرة، جعل لنهاية القرن ولاختتام الالفية معنى رمزيًا ومناسبة لمراجعة الحسابات وعمل محصلة لما تم انجازه وبما يتوجب الاسراع في استكماله.

اكثر من ١١٠ باحث/ة وكاتب/ة ومفكر/ة من خارج مصر، من انحاء العالم بمن فيهم ممثلون عن معظم الاقطار العربية، وربما ما يعادل هذا العدد او اكثر من داخل مصر، بحيث شعرنا انفسنا في عالم صغير يجمع عناصر العالم الكبير: التعدد والتنوع، التنافر والانسجام، العلمانية والتدين، الانفتاح والتعصب، التجديد والتقليد، افكار تعود الى عصر انجلز واخرى الى ما بعد الحداثة. تكاثفت جلسات المؤتمر وتجاورت بشكل متواز. اكثر من اربعة نشاطات في الوقت نفسه، لذا كان علينا طوال الوقت اختيار ما الذي نود المشاركة فيه (طاولات مستديرة) او اختيار ما نود سماعه (محاضرات او شهادات) او رؤيته (افلام وعروض مثل اعادة رواية الحكايات الشعبية). والندم على بعض ما لم نستطع متابعته. كان الخوف في البداية ان تفقد الكثافة والتنوع والعدد الكبير للمشاركين البرنامج جدبته، لكن اللافت، عدا بعض التأخر عن موعد الجلسات في بعض الاحيان وبعض المعارك الجانبية او تلك الوهمية، كان الالتزام بقواعد الحوار العلمي والمنفتح على مستوى الاوراق المعدة او الطاولات المستديرة او الشهادات هو السائد.

هل لهذه التظاهرة من جدوى؟ كان هذا التساؤل يشغلنا منذ جلسة الافتتاح حيث شعرنا منذ البداية ان المسألة اكثر من مجرد تظاهرة، وان هناك ما يستحق الجهد فعلا، ان يتم اختتام القرن بالاحتفاء بقاسم امين وبعنوان كتابه: «تحرير المرأة»، كي نعرف اين اصبحت المرأة وهل لا يزال عنوان المرحلة هو «تحرير المرأة»، كي نعرف اين اصبحت المرأة وهل لا يزال عنوان المرحلة هو «تحرير المرأة» ام اننا تعدينا هذه الاشكالية وصرنا ننطلق من نساء يمتلكن حريتهن وحق التساؤل. اين اصبحت حقوق المرأة وما الذي تريده هي وبلسانها عوض الاعتماد على خطاب الرجل فقط كي يساندها ويعبر عنها (على اهمية ذلك بالطبع). وكي نسأل انفسنا كيف السبيل الى الانطلاق ابعد واعمق واشمل؟

لا يمكن التعبير في صفحات قليلة عن الكثير من الاشياء المهمة التي قيلت او حصلت في المؤتمر، لذا يجب الاكتفاء بالاشارة الى محور او محورين.

في الجلسة المخصصة لمحور المرأة والتيارات الدينية في المجتمع تمت الاشارة الى وجود تناقضات على مستوى الهوية عن المرأة العربية، هوية دينية (مسيحية واسلامية) والمواطنية كهوية ووجود عدة اشكاليات احداها ثقافية وهي تتوزع بين الانتماء الى ثقافة قديمة واخرى حديثة واخرى تتعلق بالماضي والحاضر.

هذه التناقضات تصبح تنوعًا وغنى اذا ما نظرنا الى الامر بطريقة مختلفة وجديدة، وهو ما اكده المؤتمر للمتتبع عن كثب وما نغفل عنه عادة، وذلك عدم وجود امرأة في المطلق، هناك نساء ينتمين الى تيارات ومجموعات سياسية وفكرية واجتماعية مختلفة ما ينعكس على تجاربهن وعلى وعيهن وعلى مقولاتهن وعلى خطابهن وممارستهن، ليست النساء مجموعة موحدة متفقة في الرأي ومتجانسة مقابل الرجال الا في ما يتعلق بالتمييز الواقع ضدهن على مستوى القوانين والممارسات التقليدية ذات الطابع التعسفي والتي تعامل المرأة ككائن دوني.

وبالرغم من النزاع الذي اثاره التيار الديني المتعصب (الذي تزعمته امرأة تدعى ياسمين الحيام وهي كانت مطربة الى وقت قريب لا يتعدى السنوات الخمس، وهذا ربما ما يجعلها «ملكية اكثر من الملك» وما يسبب لها عقدة ذنب!) تمتعت جلسات النقاش بحوار هادئ نسبيًا بين مختلف التيارات ولو لم يخل من بعض التوتر احيانًا بسبب انماط الشخصية الفردية ليس اكثر! وهكذا امكن في الجلسة نفسها والمتعلقة بمحور المرأة والتيارات الدينية الاستماع الى وجهات نظر متعددة ونقاشها بهدوء كاد ان يتحول الى مشكلة صغيرة عندما ادلت الاستاذة ليلى العثمان الكويتية بشهادتها حول القمع الذي يعاني منه التيار الحديث الذي تمثله وتعرض بعض ممثليه للمقاضاة، وحول الممارسات السحرية والخرافية والقمعية التي يمارسها بعض من يتكلم باسم الدين، ولكن امكن ضبط الجلسة وكانت مثالاً على الحوار الممكن عندما تتم تهدئة النفوس واعادة النقاش الى مستوى الحوار المفتوح وحسن الاستماع والاشارة بوضوح الى وجوب تقبل رأي الآخر مهما اختلفت وجهة نظره عن وجهتنا اذ ليست مهمة الافراد محاسبة مناظريهم حول درجة ايمانهم او فهمهم للدين. لاحظ البعض وجود موقف دفاعي من قبل الدين في مواجهة الغرب والتغريب وكيف ان المرأة شكلت مسألة محورية في هذا الخطاب. هذا الاتجاه غير جديد بالطبع، ولكن ما لم نناقشه هو انتقاله الى الهجوم عندما تسنح له الفرصة واكبر دليل على ذلك ما ادلت به الاستاذة اليمنية رؤوفة حسن في جلسة الشهادات التي جمعتنا في آخر ايام المؤتمر، حيث عرضت لحيثيات تعرضها لهدر دمها على منابر خطب الجمعة في صنعاء، بسبب مؤتمر «تمكين وانصاف» الذي عقد في صنعاء بتاريخ ١٢/١٤/ايلول/١٩٩٩ او المؤتمر الدولي لتحديات الدراسات النسوية في القرن الحادي والعشرين، حيث تم تحوير ترجمة بعض البحوث كي تصبح وكأنها تهدف الى التهجم على الدين والمطالبة بالغاء بعض الآيات الكريمة. ومن سوء حظ المؤتمرين في صنعاء حصول المؤتمر في مرحلة سبقت الانتخابات الرئاسية ما جعل الحياة السياسية في ركود وجعل وسائل الاعلام متفرغة لتناقل اخبار مؤتمر عن «الجندر» وجعل هذا المفهوم الاخير الذي يعني اخذ خصوصيات الرجال والنساء الثقافية والاجتماعية والجنسية بالاعتبار، جعله مرادفًا لمعنى الغاء التمايز الجنسي بين الرجل والمرأة بالمعنى البيولوجي!

ثمة من لاحظ ان العودة الى السلفية ليست ظاهرة مقتصرة على عالمنا، وبالتالي وجوب عدم الربط بين ازمة المرأة وصعود التيارات السلفية. والمسألة اعقد من ذلك وتتعدى هذا الربط بالطبع ولكن لا بد من ملاحظة ابتعاد هذه التيارات عن معالجة قضايا المرأة بجدية وعلى حدة وبما يتناسب مع المشكلات والاوضاع الجديدة التي تجد نفسها فيها، فتتم العودة ببساطة الى ترداد الآيات الكريمة التي عالجت اوضاعها والاستنتاج بأن «لا سلام اعطى المرأة حقوقها» قبل الغرب وانه عالج كل مشكلاتها واحترمها وانصفها وينتهي الامر، ويغيب صوت المرأة الاسلامية نفسها ولو انني لاحظت بدايات بروز خطاب نسوي اسلامي وان لدى هؤلاء النساء قراءة اوسع واغنى من القراءة التقليدية للرجال الاسلاميين في ما يتعلق بالمرأة. فصحيح ان الاسلام اعطى المرأة الكثير من الحقوق لكن من الملاحظ عدم تطبيقها او عدم تجديدها بما يتلاءم مع متطلبات النساء في هذا العصر. كما وتستعيد النساء الاسلاميات حكايات وامثالا وسيرا تدل على ان المرأة جادلت منذ ايام الرسول في حقوقها وساهمت في تفسيرات معينة بحسب قراءتها الخاصة لها ما جعل هذه القراءة مقبولة من الرسول نفسه.

ماذا يمكن القول عن ذلك كله كخلاصة؟ ضرورة العودة الى التراث عبر دراسات جدية تحاول فهم السياق العام لسيرورة التاريخ القديم وتقديم قراءات متعددة ومن قبل اتجاهات متنوعة لهذا التاريخ وتقبل النظر اليه بأعين جديدة من قبل النساء الاسلاميات انفسهن والمسلمات ايضا (اي المنتميات الى التيار الاسلامي السياسي وغير المنتميات) وعدم تقبلهن من الآن وصاعدا لتغييب دورهن كنساء وكمفسرات للنصوص الكريمة. وفي هذا المجال اجدني اتفق مع الرأي القائل بالاسترشاد بالتراث من اجل مواجهة المستجدات لكن مع ضرورة قبول فكرة تعرض النساء المسلمات لظروف نوعية مستجدة ومختلفة تجعلنا نقبل التحدي ونقبل امكانية استنباط حلول جديدة قياسًا على ظروف مشابهة او مختلفة. سوف اعطي مثلاً على ذلك: لاحظت احدى النساء المحجبات (ربما هي طبيبة) وجود الكثير من المشاكل الاسرية والطلاق في مجتمعنا الراهن وان سبب ذلك يعود الى غياب الدين. هذه المسألة التي تثار دائمًا تعبر عن جهلنا الفعلي بالتراث وعن اسقاط مشاكلنا الحالية على صورة وهمية عن الماضي الذي نتصوره جميلاً ورائعًا وخاليًا من المشكلات وعن عدم ربط التغيرات الدموغرافية، وما تستتبعه من تغيرات اجتماعية ونفسية، من مثل تزايد اعدادنا بشكل هائل ولأول مرة في التاريخ البشري، هل سألنا انفسنا عن عدد سكان مكة او المدينة؟ مائة الف نسمة؟ ثلاثمائة؟ مليون؟ وهل يقارن هذا العدد بالملايين التي تشكلها المدن الآن؟ هل ينتج هذان المجتمعان المشكلات نفسها؟ هل سألنا انفسنا عن ما يسببه انتقال سكان الريف الكثيف الى المدن والعيش في شقق ضيقة مزدحمة بعيدا عن اي لون اخضر؟ وماذا عن الفقر في وقت شيوع الصورة والاعلان والاستهلاك؟ وما هو انعكاس ذلك كله على مستوى العلاقات بين الافراد واثرها الممكن على تشكل الاسرة وانماط العلاقات بين افرادها ونفسيتهم وعلاقاتهم مع افراد الاسرة الممتدة! ان عودة سريعة الى التراث تكفي لكي نعي ان الطلاق كان ممارسًا بكثرة في مطلع الاسلام وان الزوجة (والزوج بالطبع) كانت تتزوج في حياتها مرات عدة دون ان تعد «من دون اخلاق» او اما فاسدة وقليلة الايمان او ما شابه. هل كانت تلك اسر سوية ام تعاني من مشكلات نفسية؟. وهل سألنا انفسنا عن الطفل الذي كان يرسل الى مربية بعيدا عن اهله بعمر ٣ سنوات لاكتساب «اللسان العربي» دون ان يصاب هؤلاء بعقدة ذنب (مثال النبي) دون ان يتعرضوا للوم؟ وان الطفل كان يكف عن اي يكون طفلاً بشكل مبكر (في العشر سنوات تقريبًا)، بينما هو طفل الآن حتى سن ١٨ عامًا بحسب اليونيسيف؟ ما كان يعطي حرية للرجل وللمرأة ويجعل علاقتهما مع اولادهما مختلفة. ان كل هذه الممارسات التي اشرت الى امثلة بسيطة عنها صار ينظر اليها على انها سلوك «لا سوي» ويحتاج الى الادانة وترجع اسبابه الى قلة الدين، ويعتبر مشكلات «مستجدة تعانيها المجتمعات الاسلامية بسبب تقليدها للغرب وبسبب الغزو الثقافي الغربي»؟

ما نحتاجه ربما بالفعل التمويل السريع لمراكز ابحاث جدية تقوم بأنواع الابحاث والدراسات الانسانية المتنوعة للخروج من دائرة الآراء المسبقة والتحجر والتكفير.

(خاص - من بيروت)

• هناك ضرورة للعودة الى التراث عبر دراسات جدية تحاول فهم السياق العام لسيرورة التاريخ القديم، وتقديم قراءات متعددة ومن قبل اتجاهات متنوعة لهذا التاريخ، وتقبل النظر اليه بأعين جديدة، ورفض تغييب النساء ودورهن كمفسرات للنصوص الكريمة •

جبر جزماوي

رصيف آخر..

* هذا هو زمن الحفر، وعصر الحفريات وصوت الاحافير. اما الحفر فهو هذه المؤتمرات والاتصالات والصولات والجولات التي عرفها الشعب الفلسطيني منذ ان اطلق حجر المجد الاول بوجه الحذاء - الاحتلال الاشد شراسة على مر العصور، وهو بالذات عصر الحفريات بحثا عن اي شيء يقنع اللص الكاذب انه لص فعلا لكنه ليس كاذبا الى الحد الذي برهن هو عليه بافعاله. عصر البحث «حفرا وحفريات» بحثا عن اي قناة مجار مهملة او «رجم حجارة» او بقايا عظام لا يعرف احد من او ماذا كان صاحبها. عصر حفر الكهوف والانفاق وتنبيش الرفوف بحثا عن اي اشارة الى مرور اللصوص من هنا. او الى ما يعلن بالحجر المنحوت ان هبكلا كان او جرة زيت كانت هناك.. والغريب في عصر الحفريات هذا ان جميع اللصوص قدموا بحثا عن اثار اقدامهم التي اهترأت على الارض الفلسطينية دون ان تبلى ذرة تراب واحدة او تتزحزح صخرة فلسطينية واحدة عن موضعها.. وتسألهم ماذا تفعلون فيقال لك جدة جدتي كان تضاجع قاطع طريق مشهور مر من هنا او احد معارف جدة امي اوصاها في ليلة شرف حمراء ان لا تبخل بزيارة منطقة سمع عنها من عشيق جدته الفاضلة.. وقد يأتي لص وقح ليعلن لك ان والده قطع غصن زيتون من حاكورة كانت هنا وانه جاء ليفحص هل ماتت الشجرة التي قطع والده غصنها ام انها تنتظر ان يأتي الولد ليتم بطولة الوالد..

اما الاحافير فحدث ولا حرج.. تعالوا نقسمها الى غربية لنا وحدنا.. وشرقية لنا ثم نبحث ما لكم منها ان كان لدينا ما نستغني عنه.. تعالوا نجعل شرقها دوليا يتمتع به كل من شاء وكيفما شاء على ان تبقى السيادة على شرقها وغربها وجميع جهاتها بيدنا وحدنا نقبل بها ما نشاء ونرفض ايا نشاء.. لماذا لا يكون لكم اشباه مجالس بلدية تحكمون بها مجاريكم ونفاياتكم وما يفيض من مجارينا عليكم ولا مانع لو عالجتم نفاياتنا ايضا.. وقد يأتي بعض المتنورين الاشد ثقافة ووعيا ليقترح ببراءة ان تبقى الوحدة قائمة والاحوال مفتوحة حتى تصل الشعوب الى قناعة بأن للص حقوقا لا تقل عراقة عن حقوق صاحب المنزل وان يبرتسكي يستطيع فعلا ان يتعايش مع اسماعيل الذي اريد له ان يأخذ اغنامه ويرحل شرقا حيث لا مكان له في هذه الارض .. تماما كما قالوا سابقا ونعق حاخام الغفلة مؤخرا!!

والاروع من كل هذا واشد اثارة للغيظ المدر للبول ان يأتي من يقترح جعلها مدينة لله... تماما مثلما هي الفاتيكان.. مثلا.. وربما يكمل البعض اقتراحه بتعيين وصي يفوضه وكيل الله على الارض لكي يشبع عدل الرب في مدينة الرب العصرية...

ونسألهم يا شاطر لماذا لا تكونون واضحين في اقتراحاتكم الوجيهة الى حد الوضاعة.. ولماذا لا تقولها لكم صريحة حادة.. كم مدينة للرب اقمتم منذ ان اقمتم للرب «ليخ فاليسا» مدينة في غدانسك.. وما الذي يجعلنا ننسى العهدة العمرية مثلا ونتذكر بكل احترام وتقدير انكم تريدون حلا لهذه المدينة.. حلا يقفز فوق كل الحقائق الا ما يرضيكم ويشبع مطامع صديقكم الاحتلال المتوحش؟!!

تسأل وانت تعلم انهم لا يجيبون ولا يملكون حق الاجابة بعد ان عطل كلينتون حبالهم الصوتية فباتوا لا ينطقون.. وفي النهاية وبعد ان «ينقطع نفسك» وانت تتفرج على كل هذه الحفر والحفريات وتستمع الى فحيح وهمسات الاحافير تتوقف في اي زقاق مهمل من شرايين القدس التي استعصت على التقطيع. يخرج طفل تسبقه رائحة المناقيش والزعتر ويسألك ببراءة الزهور. مالك.. هل انت قادم جديد ام تريد شراء هدية اثرية.. تعال ادلك على احلى محل للسنتواري في حارتنا.. تحف مثل التي كانت ستي تعملها من الفخار من زمان زمان... تسير خلفه من رصيف الى رصيف.. تكتشف انك تغوص في تاريخ يحمل على وجهه العديد من بثور الايام التي تعريشت تلك الملامح العربية.. تتجول حتى تكشف انك تتحول سريعا الى رصيف آخر من ارصفة القدس غير القابلة للبيع والنسيان.

اتفاقية وادي عربة وذيول مؤامرة التوطين..

• مسؤول ملف اللاجئين في المجلس التشريعي الفلسطيني النائب جمال الشاتي يتحدث لـ« الاتحاد » عن بعض مما جرى في « كامب ديفيد » حول القضية.. ويشير الى الاتفاقية الاسرائيلية - الاردنية التي تضمنت اشارات واضحة للمؤامرة القديمة/ الجديدة الهادفة لطمس قضية اللاجئين الفلسطينيين •

أجرى المقابلة: ثائر ابو بكر

مفاوضات قمة « كامب ديفيد » اصطدمت بالموقف الاسرائيلي المتنكر لحق الشعب العربي الفلسطيني في اقامة دولته الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية وعوده اللاجئين الفلسطينيين الذين هجروا من وطنهم وبيوتهم بالقوة. وهذه الاخيرة كانت القضية المركزية ولب الصراع والتفاوض.

عن بعض ما جرى في « كامب ديفيد » التقت « الاتحاد » النائب الفلسطيني جمال الشاتي مسؤول ملف اللاجئين في المجلس التشريعي ومسؤول اتحاد مراكز الشباب في المخيمات الفلسطينية.

* « الاتحاد »: ماهي حقيقة ما جرى في كامب ديفيد خاصة حول قضية اللاجئين وعودتهم الى ديارهم.

- النائب الشاتي: على ضوء ما تقدم به بعض الاخوة المفاوضين في كامب ديفيد اثناء الجلسة الخاصة في التشريعي وبعض اللقاءات في المناسبات الاخرى لمسنا حجم الضغوطات التي تعرض لها الاخ ابو عمار والوفد المفاوض والتي مارستها الادارة الامريكية بانحياز واضح لصالح الرؤية الاسرائيلية تجاه حل قضايا الوضع الدائم ووصلت احيانا هذه الضغوطات الى درجة التهديدات تارة والاغراءات تارة اخرى. الا ان الرئيس الفلسطيني عبر عن موقف وارادة الشعب الفلسطيني من خلال تمسكه بالثوابت الفلسطينية والتي تشكل الحد الادنى من الحقوق الوطنية الفلسطينية وبالذات فيما يتعلق بقضيتي اللاجئين والقدس.

- النائب الشاتي يقول ان حل قضية اللاجئين على اساس قرار الامم المتحدة رقم (١٩٤) الذي يكفل حق العودة الى ديارهم، هو حق مقدس غير قابل للتصرف، ويكفل تعويضهم عن جميع الخسائر المادية والمعنوية التي لحقت بهم بسبب النكبة. ولهذا فاننا نحمل اسرائيل المسؤولية الاخلاقية والقانونية والسياسية بخصوص نكبة الشعب الفلسطيني وتشريد اللاجئين واضاف الشاتي ان اي تسوية سياسية لا تضمن هذا الحق هي اتفاقية باطلة وغير ملزمة للشعب الفلسطيني كما اننا نرفض اي محاولة تجزئة لقضية اللاجئين ونحارب كل مؤامرات ومحاولات التوطين والتهجير كما حدث في اتفاقية وادي عربة بين اسرائيل والاردن. اضافة الى اننا نؤكد على حق النازحين بالعودة الى ديارهم واننا بهذا الصدد ندعو كافة الدول العربية الشقيقة، من حكومات وشعوب، الى تقديم دعمها للموقف الفلسطيني الثابت ودعمه في مواجهة الضغوطات الامريكية والاسرائيلية من اجل انجاز الحقوق الوطنية والفلسطينية الثابتة والمشروعة.

واضاف النائب الشاتي اننا نؤكد على دعوة المجتمع الدولي للوقوف الى جانب الحق الفلسطيني المستند الى قرارات الشرعية الدولية وتعدية الموقف الاسرائيلي الذي لا يزال يتصرف بمنطق الاحتلال والمحتلين ويرفض الاعتراف بحقوقنا الوطنية المشروعة، كما ندعو جميع الدول الصديقة للاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس حال اعلان تجسيدها.

* « الاتحاد »: ذكرت في حديثك هناك بعض المؤامرات لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في بعض الدول العربية، هل توضح لنا اي دول؟!

- النائب الشاتي: ذكرت هناك محاولات كثيرة وضغوطات امريكية واسرائيلية بهدف ابتزاز الوفد الفلسطيني المفاوض بهدف توطين اللاجئين والتنازل عن حقوقهم المشروعة، فمعاهدة السلام الاردنية الاسرائيلية الموقعة في ١٩٩٤/١٠/١٧ والتي وقعها بالاحرف الاولى رئيس الوزراء الاردني د. عبد السلام المجالي ونظيره الاسرائيلي ويتسحاق رابين في حضور الملك حسين وولي عهده (في حينه) حسن بن طلال وشمعون بيرس حيث لم توقعها النهائي في ١٩٩٤/١٠/٢٦ وتنص المادة (٨) من الاتفاقية بخصوص اللاجئين و النازحين على اعتراف من الطرفين بالمشكلات البشرية الكبيرة التي يسببها النزاع في الشرق الاوسط بالنسبة الى الطرفين وبما لهما من مساهمة في تخفيف حدة المشكلات الناجمة على صعيد ثنائي اضافة الى البند رقم (٢) من قضية اللاجئين والنازحين انه يتوجب الاعتراف من الطرفين بأن المشكلات البشرية المشار اليها التي يسببها النزاع في الشرق الاوسط لا يمكن تسويتها بصورة كاملة حيث يسعى الطرفان لتسويتها في المحافل والمنابر الملائمة ويقتضي العودة لاحكام القانون الدولي بما في ذلك ما يلي:

أ) في اطار النازحين لجنة رباعية بالاشتراك مع مصر والفلسطينيين.

ب) فيما يتعلق بالنازحين في اطار عمل المجموعة المتعددة الاطراف بشأن اللاجئين ٢) من خلال اجراء حوار ثنائي او غير ذلك يتم في اطار يتفق عليه ويأتي مقترنا بالمفاوضات الخاصة بالوضع القانوني الدائم او متزامنا معها وذلك فيما يتعلق بالمناطق المشار اليها ٣) من خلال تطبيق برنامج الامم المتحدة المتفق عليه والبرامج للتنسوية مع الاردن ومن بين ما تضمنه المشروع نقل سكان بعض المناطق وتوطينهم في الضفة الغربية والعريش.

والمشكلة هنا تقع في خانة تبادل سكان بين العرب واسرائيل على اساس امني وقومي وقد ركز الون « على توطين اللاجئين من قطاع غزة الى جانب اللاجئين من الضفة في الغربية ذاتها ».

اما مشروع موشي ديان وزير «الامن» انذاك فقد اخذ طابع الاجراءات العسكرية الامنية وقد نص على ثلاث نقاط: اتخاذ تدابير ردع وعقاب جماعي ضد السكان العرب الذين « تعاونوا مع الفدائيين اضافة الى تخفيف كثافة سكان المخيمات الكبيرة مثل مخيمات (جباليا، الشاطئ، ....) وهذا اضافة الى اقامة احياء سكنية جديدة تخترقها شوارع عريضة ذات مواصفات امنية معينة وليس ضروريا ان تكون في نفس اماكن المخيمات. والهدف من ذلك يقول النائب الشاتي كان تصفية المخيمات وتجريد قضية اللاجئين من صفتها القانونية.

الشاتي يؤكد ان مختلف المشاريع اللاحقة قامت على نفس المبدأ وهو ما يسمى بـ تحسين نوعية الحياة للاجئين وتجريد القضية من بعدها السياسي، عن طريق حلها باعادة تأهيل وتوطين اللاجئين في اماكن لجوئهم مع بعض التعديلات الطفيفة التي لا تقترب من حقهم في العودة الى ديارهم حسب القرار (١٩٤).

فبعد ان تطورت جملة المشاريع لمحاولة تصفية قضية اللاجئين بدأت منذ اواخر الثمانينيات والتسعينيات تأخذ منحنى عمليا وتقترب من البعد السياسي، اي ربط اللاجئين بالحل الشامل للقضية الفلسطينية وفي اطارها واطار المفاوضات.

ويقول النائب الشاتي: باختصار فان الموقف الاسرائيلي من حق العودة هو موقف مخادع يتماشى مع آراء المؤسسة السياسية الاسرائيلية التي ترفض الاعتراف بحق اللاجئين بالعودة الى قراهم ومدنهم التي هجروا منها بالقوة او الاعتراف بهذا الامر على انه حق سياسي وعملي. ولهذا فان اسرائيل لا زالت ترفض حق العودة من الاساس لان اعترافها بهذا الحق ينطوي على تحملها المسؤولية لما ارتكبته.



• توقيع الاتفاقية الاردنية - الاسرائيلية •

صالح ابداح

بعد أن اخترق شافيز الحصار الأمريكي للعراق

متى يصبح قادة الدول العربية أصحاب كرامة

سجل العراق أهدافاً جديدة ضد الولايات المتحدة مع الإعلان عن زيارة الرئيس الإندونيسي، عبد الرحمن عبد الواحد، إلى العراق ليكون بذلك ثاني رئيس دولة يزور بغداد منذ العام ١٩٩١ بعد الرئيس الفنزويلي، هوغو شافيز، في تطور نددت به الولايات المتحدة، فيما بدا أن المواجهة العسكرية والسياسية بين العراق، من جهة، والولايات المتحدة والسعودية والكويت، من جهة ثانية، تتجه إلى التصاعد. فمنذ حرب الخليج الثانية حتى زيارة شافيز إلى العراق، لم يزر بغداد سوى شخصية دولية واحدة هي السكرتير العام للأمم المتحدة، كوفي انان، وذلك في شباط ١٩٩٨.

وقتل عراقيان وأصيب ١٩ آخرون بجروح في غارة شنتها المقاتلات الأمريكية والبريطانية على مدينة السماوة. واستهدفت الغارة حياً سكنياً ومخزناً للحبوب. فالقيادة العسكرية في وزارة الحربية الأمريكية تعتبر مخازن الغذاء من الأهداف الأساسية التي تستهدفها الغارات الأمريكية - البريطانية، فكلما توفرت لهم الفرصة يدمرون غذاء الشعب العراقي من دون تردد. وان توقيت شن الغارة هو نوع من الانتقام لزيارة الرئيس الفنزويلي شافيز، وإعلان الرئيس الإندونيسي عن عزمه على زيارة العراق.

إن الإعلان عن زيارة الرئيس الإندونيسي للعراق خلال اشهر يعني بداية تهشم الحصار وانكساره وانفكاكه، ونتمنى لها أن تكون حالة مستمرة. إنها دليل على تأييد العالم وتضامنه مع الشعب العراقي المحاصر.

تجاهل شافيز التحذيرات والضغوط الأمريكية. وأبدى عبد الواحد اللامبالاة نفسها حيال الانتقادات الأمريكية داعياً إلى رفع الحظر المفروض على العراق منذ اجتياحه للكويت قبل عشرة أعوام. وقال: آمل أن يتم رفع الحظر المفروض على العراق قريباً.

واستباقا لانفراط العقد، الذي خلخل خيطه شافيز، واقدام قادة الدول العربية على أن يحذون حذوه ويتمردون على «الإرادة» الأمريكية ويُحرمون من «الصدقة» أو «الصك» الأمريكي عن حسن سلوكهم، زعمت وزيرة الخارجية الأمريكية، مادلين اولبرايت، أن عبد الواحد سيسيء إلى المكانة، التي تحتلها بلاده إذا قام بزيارة إلى العراق. وقالت محذرة «ليس من شأننا أن نقول لعبد الواحد ما يجب فعله، ولكنني اعتقد بأن قيامه بزيارة إلى العراق لن يساعد على رفع مكانة بلاده»!! وقالت: اعتقد بان من المفيد للرئيس الإندونيسي أن يصغي إلى نصائح الأمريكيين، إذ أن أمام الرئيس الكثير من العمل للقيام به في إندونيسيا!.

أثار الرئيس الفنزويلي هوغو شافيز «عاصفة صحراء» من الاحتمالات لما يعكس اللقاء مع الرئيس العراقي، صدام حسين، من تأويلات تصب في خانة التحدي للموقف الأمريكي من بغداد. وإذا كانت زيارة شافيز تثير احتمالات ولو ضئيلة، بإمكانية أن يحذو حذوه غيره من رؤساء الدول، فإن العراق تعامل مع الزيارة على إنها فتحت كوة في جدار الحصار التجويعي على الشعب العراقي.

وقال شافيز «إننا سعداء للغاية أن نكون في بغداد وان نشمّ عبق التاريخ ونسير على ضفاف نهر دجلة». ودان بشدة تدخل الولايات المتحدة في شؤون بلاده الداخلية بعد الانتقادات التي وجهتها إليه لقيامه بهذه الزيارة. وقال «إنني آسف لذلك. ولقد قالتها وزارة الخارجية الفنزويلية قبل أيام. نحن نأسف ونشجب التدخل في شؤوننا الداخلية، نحن لا نقبلها ونرفضها». وقال «لكننا لا نعجب لذلك لأنها ليست المرة الأولى وليتها الأخيرة»، مشيرا إلى الانتقادات الأمريكية لزيارته إلى كوبا. وأضاف «ونحن نأسف لذلك لأن الحكومة الأمريكية تنزعج. فعليها أن تبطل هذا المفهوم وان لا تنزعج، أنا أقول إن لديهم مشاكل كثيرة لذا يجب ألا يهتموا بهذه الأمور».

قادة الدول العربية أصحاب كرامة ؟!

وقال شافيز «إننا أصحاب كرامة، ودولة ذات سيادة في اتخاذ القرارات المناسبة التي تخدم مصالحنا». وأكد «إننا زرنا العراق لكي نتحدث مع الرئيس صدام حسين وحكومته حول أمور كثيرة وخاصة موضوع النفط وموضوع الأوبك وضرورة الإبقاء على التوازن على أسعار النفط وضرورة تعزيز منظمة الأوبك ولتقديم الدعوة لحضور مؤتمر الأوبك المقبل».

وعن رأيه في العقوبات قال شافيز «إن الذي يحصل في العراق شيء غير عادل ونحن نشعر بهذا. إن الحصار عمل ظالم وغير عادل». وان بلاده لا تقبل مبدأ اتخاذ إجراءات بحق أي بلد تطال بصورة خاصة الطبقات الأفقر في المجتمع.

لكن إدراك شافيز لهذه الحقيقة لم يمنعه من التعاطي مع العراق، مع انه يعلم جيدا ما هي الآثار التي ستترتب على مثل هذه الخطوة التي لم يسبقه إليها أحد، لأنها تتجاوز خطا أحمر رسمته الولايات المتحدة عرّابة الحظر المفروض على العراق وراعية تطبيقه وإدامته برغم مرور عشر سنوات تعقبها خطوات لهدم جدار الحصار. والرئيس الفنزويلي لم يرضخ لتهديدات واشنطن وخطا الخطوة الأولى.



● مظاهرة بريطانية: لا تفجروا العراق - هل يسمع زعماء النفط ؟!

إضافة إلى الحصار - الشعب العراقي يعيش أزمة وطنية خطيرة

من كان يظن إن الوضع العراقي بعد عشرة أعوام على وقوع الزلزال الذي بدأ باجتياح الكويت في ٢ آب العام ١٩٩٠، سيظل على حاله: مجرد حالة ساكنة تنتمي إلى حقبة غابرة من دون أي بارقة أمل بإمكان التغلب على آثار الزلزال والانتقال إلى حالة جديدة يصالح فيها العراق نفسه، وينهي قطيعته مع العالم، ويحتل مكانته اللائقة به في مسرة الإنسانية الصاعدة.

فبعد عقد كامل من الصراع الذي فجره ذلك الزلزال وكشف فيه أزمة وطنية كبرى واختلالات جوهرية في قضايا الحكم والسياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع، لا يبدو أن العراق انتهى من المواجهة، سواء تلك التي بينه وبين نفسه أو تلك التي بينه وبين العالم. ولا يبدو حتى انه مقبل على ذلك.

لقد تحول الصراع في النهاية من قضية تفتيش على الأسلحة ونزعها إلى صراع مكشوف بين الإدارة الأمريكية التي تستخدم العقوبات جزءا من سياسة الاحتواء لاضعاف النظام العراقي وإسقاطه، وبين النظام نفسه الذي اختزل الصراع إلى موضوع بقائه في السلطة. فالمهم في كل ذلك هو الإدراك أن هناك حالة تجمد عراقية دخلت عامها الـ ١١ من دون أفق للحل، واصبحت في جوهرها وبنتائجها أزمة وطنية خطيرة تتحكم بمصير وطن ويستقبل شعب، مما يتطلب ولوج مناطق أخرى في التفكير والعمل وعدم الخضوع للرهانات، التي أثبتت فشلها في الماضي ولا لاعتباراته.

لا بد من أن يقود هذا التفكير في البداية إلى إدانة الحصار، بل إلى العمل على إحباطه وإنهائه، أولا لأنه عمل لا أخلاقي وسياسة غبية، ولأنه أيضا جريمة دولية يجري باسمها تدمير بلد وشعب وتعطيل فرصه في النهوض. وثانيا لأنه المبرر الذي يستخدم لمنع بلورة مشروع وطني كفيل بأنهاء الأزمة ووضع نهاية لعذابات العراقيين ونوائبهم وفق صيغة تضمن عراقا جديدا يحظى بتوافق وطني شامل ومشروع حضاري يعهد لاعادة دوره الفاعل في الساحة الإقليمية والدولية. هذه يجب أن تكون نقطة البداية الصحيحة، وخلاف ذلك، أي اللجوء إلى استخدام الحصار ونتائجه في تحقيق مكاسب في المعركة بين النظام وخصومه، تكون أي محاولة للخروج من النفق المظلم لا أخلاقية ومدحورة سلفا وطريق آخر اعمق ألما لاطالة عمر الأزمة.

خلاصة

إن البديل الأمريكي القائم على سياسة الاحتواء من خلال الآليات المتبعة منذ عشرة أعوام لم تمثل في أي يوم بديلا موضوعيا لإنهاء الحالة العراقية الراهنة، خصوصا إنها أزمة وطنية تتطلب حلا وطنيا وليس خارجيا. إذ أن عناصر سياسة الاحتواء وضعت كما هو واضح لخدمة أهداف الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة وخاصة موضوع الاستقرار والأمن في المنطقة، وبالذات أمن النفط وأمن إسرائيل. وهي أهداف لا يمكنها إطلاقا أن توفر البديل الذي يتطلع إليه الشعب العراقي أو يتلاءم ومصالحه. وان الأعوام العشرة الماضية تؤكد أن الإدارة الأمريكية ساعدت عمليا على تبديد كل الفرص التي أتيحت لتوفير البديل الوطني المناسب بل وضعت العصي في دواليب التغيير المنشود، وبالتأكيد فإنها فعلت وتفعل ذلك لمصلحة مشروعها الخاص المنسجم مع أهدافها.

إن الحل الجذري الوحيد لازمة العراق والذي ينقذه من المصير المحفوف بالشكوك ويمنحه المناعة ويمنح جيرانه والعالم الطمأنينة، هو أن تكون للشعب العراقي كلمته ودوره. وعدا ذلك فان حلقة البؤس ستستمر في الداخل بينما ستبقى دائرة التوتر والمخاطر تدور عليه وعلى جيرانه.

اختراق السور الفولاذي الأمريكي مهمة سهلة إذا توفرت إرادة

وربما كانت معارضة الولايات المتحدة وتهديداتها المبطنة لشافيز، واحدا من الدوافع التي جعلت الرئيس الفنزويلي الذي بات متمرسا في مشاكسة سياسات «الهيمنة» الأمريكية، يصر على القيام بزيارة العراق ليصبح بذلك أول رئيس يخرق جدار العزلة المفروضة على بلاد الرافدين. لقد تجاهل شافيز التحذيرات والتهديدات الأمريكية وأثبت بالفعل وبالملموس معارضته للعقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق، وهي على الأرجح دعوة إلى مشاركته قمرده على ما تحاول واشنطن فرضه على المجتمع الدولي حفظا لمصالحها الخاصة.

وإذا كانت زيارة شافيز قد فتحت ثغرة في السور الفولاذي الذي تعمل الولايات المتحدة على تشييده حول العراق، فإن السؤال الذي يطرح هو: كيف يمكن توسيع هذه الثغرة وزعزعة أساس هذا السور. ولا شك في أن قادة الدول العربية يجب أن يكونوا أول المعنيين بالإجابة عن هذه المسألة، برغم أجواء الصمت السائدة في العالم العربي.

صحيح أن الكثير من القادة العرب تحدثوا عن مظالم الحصار وآثاره الرهيبة على الشعب العراقي، لكن هذا الحديث يظل كلمات في الهواء ومواقف إعلامية ما لم يترافق مع خطوات عملية ملموسة تخفف فعلا من الويلات التي يعانيها الشعب العراقي.

لقد باتت العقوبات المفروضة على العراق لطخة تسود سجل الأمم المتحدة، وقد جاءت زيارة شافيز للعراق لتشكل خطوة راسخة يجب أن عليه ألحقت بالغ الأذى بالشعب العراقي، وأعادت العراق عقودا إلى الوراء.

سفر في رحاب «مدن عتيقة»

• في السيرة الذاتية والتشكيلية للفنان اسحق نحلة •

زاهد عزت حرش

عودة متأخرة

هي سيرة اخرى لرواية العذاب المثخن جراحا بجسد الانسان الفلسطيني عبر مسيرة البقاء رغم أنف الغاصبين. هي الخطب الممتد عبر السنين، بالمستحيل نقاوم ولن نلين، انها الحياة.. تعرفنا ببعضنا عبر اسلاك السلاسل، عبر الحنين، عبر اسطورة القيامة «كالعنقاء من تحت الرماد»، سهمًا نحو السماء، كالطود، كالولادة من جديد.

زارني اسحق نحلة يحمل سيرته الذاتية والتشكيلية، يحمل ادوات مرسمه الممزوجة بغبار الهجيج، يملأ رئتيه بعبارات الحنين المنسوخة في كتاب حط على رفوف مكتبتي، منذ لقاء، مضى مع احد ابنا، شعبنا المشردين بعيدا عن داره.. حيث اهداني كتاب «مدن عتيقة بكتمل قمرها - في تجربة الفنان اسحق نحلة» يحمل في طياته تسجيلات توثيقية بالكلمة والصورة للسيرتين معًا.

اسحق نحلة، هو ابن قرية بيت نتيف من اعمال الخليل، شمالها قرية دير ابان، غربها قرى زكور وعجور، للجنوب منها بلدة صوريف المحاذية لخلحول فالخليل، والى شرقها بيت المقدس، وهي احد القرى التي هجر اهلها منذ بداية المأساة. بيت نتيف ككل بلدات الوطن العربي، تحيط بها الضبع الصغيرة التي اعتدنا على تسميتها «الخربة».. فكان من بين تلك الخرب، خربة تدعى «اسم الله» يقال ان ابراهيم الخليل قد عاش فيها وانجب ولده اسماعيل، حتى سمي اهل تلك البقعة بـ«السماعنة».

كان قد ولد في ربوعها الفنان الفلسطيني اسحق نحلة في احدى ليالي شباط من عام ١٩٤٦، بيد انه ما لبث ان اعتاد على ترابها وألوان الفرح البائع فيها، حتى ابتلي بالرحيل المختزن الى اليوم في حنايا ذاكرته كشريط اشلاء صور بالابيض والاسود، وهو على اكتاف امرأة تركض به على ضفاف نهر الاردن في تلك الهجرة القسرية عن البيت والديار، وجموع من الاهل والجيران تهيم على وجهها هربًا من الطغاة. الى ان استقروا في مخيم «عقبة جبر» القريب من اريحا، حيث قضى فيه اسحق نحلة طفولته وبعضًا من شبابه، فقد امتدت المرحلة منذ ١٩٤٩ وحتى سنة ١٩٦٤، وفي هذا المخيم عرضت اعماله لأول مرة على الناس سنة ١٩٦٢، في معرض جماعي اقامته «وكالة الغوث» لمنطقة اريحا، وقد اشترى مدير الوكالة لوحتين من اعماله.

عرضت اعماله ايضا سنة ١٩٦٣ في القدس العربية، التي انهى دراسته الثانوية فيها سنة ١٩٦٤.

وحين لم تقتنع العائلة بجدوى دراسة الفنون الجميلة سافر الى الشام لدراسة الحقوق، وهناك وبمحض الصدفة التقى مع هيئة سعودية جاءت تبحث عن معلمين للتربية الفنية، سألوه عن شهاداته فقدم لهم لوحة تشكل بورتريت الملك فيصل «صورة شخصية»، فكانت تلك جواز سفره لدخول عالم الفنون بثبات ومثابرة. وبعد مضي ستة اعوام على عمله في مهنة التدريس في السعودية قام سنة ١٩٧٢ وغادرها الى المانيا لدراسة الفنون الجميلة في «فويرثال»، حيث امضى هناك حتى عام ١٩٧٦، ومما قاله في ذلك: في المانيا لم اجد الفن للفن، ذلك اول ما ادهشني.. واول درس اخذته، كان يضع كلمات قالها الاستاذ «لقد مر هنا آلاف الطلبة، كلهم خرجوا الى الحياة العامة واسهموا في هذا الازدهار الذي ترونه في الصناعات الاخرى. ولم يخرج من هنا الا بعض الفنانين».

وبعد زوال سبع واربعين عاما قضاها في اراض غريبة عاد الفنان اسحق نحلة الى مسقط رأسه من جهتها الغربية قادمًا من شارع يافا - القدس، والمؤدي الى قرية عرتوف التي تحولت تحت وطأة الاحتلال الى مستوطنة «بيت شمس». وجاء في لقاء له مع الفنان محمد العامري قوله: «جاءت زيارتي الى مسقط رأسي متأخرة، لكني استعدت مخزونًا فنيًا في داخلي ومن مفردات انقلبت في هذا الداخل، فالالوان اصبحت لدي معتقة. كذلك الاشكال والعناصر، وفيما انا جالس على اطلال بلدتي وحجارتها ظهرت مشاهد في الذاكرة واختلطت اشكال الصخور بالشجر والطيور واصغيت لأصوات والى حركات. وعندما عدت بدأ ينفجر في داخلي على السطح».

التجربة الابداعية

بدأت العلاقة «مع اللوحة في مضمار اثبات القدرات الفنية الكامنة داخل الفنان اسحق نحلة، فجاءت اعماله كلها تعبيرية رمزية تحمل في سطحها المضمون والكفاءة التقنية باعتماد ذلك على معطيات واقعية لبناء مضمون لوحة ما، فكانت اعماله مكتظة بالرموز والتكوينات وهو يقول حول ذلك «ربما انه لا يوم حيوية الشباب».

اما في مرحلة الدراسة الاكاديمية في المانيا، والتي جاءت بعد دراسة جادة على الذات ايام العمل في السعودية، فقد دخلت عناصر جديدة على اللوحة وقام بتنفيذ اعمال استولى الخط الفاصل فيها وحل ليسيطر على السطح في فضاء من «الاختزال والتجريد الصوفي». اما لاحقًا .. فيقول حول تجربته في خلط مواد مختلفة ما يلي: «كنت استحضر مواد كيماوية تذاب بالنفط واخرى عضوية تذاب، ثم احاول المزاوجة بينهما على السطح فتتفاعل المواد لتعطي تأثيرات في الملمس على هيئة نتوءات واشكال لبلورات مختلفة، ربما لذلك شعر المتلقي امام عدد من اعمال الثمانينيات برغبة في تحسس سطح اللوحة لما فيها من ملمس خشن، وظهرت نتائج مختلفة وغنية تأثر بها السطح بحسب سرعة المزج بين المادة العضوية والكيميائية او بطئها.. تلك المرحلة التجريبية خضتها على لون واحد هو البني».

رويدًا رويدًا بدأ يتضح الاسلوب الخاص بالفنان اسحق نحلة، وحول استقرار تجربته بعد عرض نماذج منها في ساحة الحياة الفنية، اذ ذاك من جراء تأثره بردود فعل الناس والفنانين اكتشف ان هنالك حاجة ضرورية لاغناء هذه التجربة، حيث قال: «فأضفت ألوانًا اخرى مع الابقاء على اللون الواحد سيدًا وان اختلف من بني الى سواه. شجعني ذلك على التسلل نحو الالوان الاساسية كافة، وابرازها على السطح وتغييب اللون السيد الى الخلفية ما جعل للسطح ابعادًا ثلاثة هي غير تلك الأبعاد المألوفة حتى لو كانت تجريدية، بمعنى تراكب التكوينات وألوان وبناء اللوحة من عدة مراحل والاشتغال على الالوان صناعة ثم ابراز التكوين الرئيسي او العنصر الاساسي، كلها كانت تعطي الابعاد لثلاثة مظاهر على غير ما تبدو عليه في العادة» ان المتلقي لأعمال هذا الانسان الضائع في البحث عن مكتونات الاشياء في بقاياها بلمس بكل وضوح نتائج هذه التجربة التي يتحدث عنها. ففي الاعمال المنسوجة من التكوينات الحجرية للوحة تسكن الصفحة رقم ٥٨، تحس بجلاء تداخل الرموز الحجرية بالرموز الجسدية للانسان في تناغم لوني يتهادى ما بين الاصفر والبني ومساحات متقطعة من الازرق والزهري، يتجلى فيه بقايا ابنية رومانية وكنعانية استوطنت حضارتها هذه الارض الحبلى بالصراع الانساني والحضاري على مر العصور. كما ان ما يميز رموز الاجساد البشرية انها دائمًا تظهر من الخلف لتخبئ ما تحمله من مأسي بانطوائها في اجواء الرموز الحجرية والبنيوية الاخرى. وهو في ذلك يحاول ربط الامر بمأساة الشعب الفلسطيني الذي كان عرضة لاعتداء الطغاة وذوي القربة، ولم يكن من يحمي ظهره العاري الذي شكل دائمًا جدار المواجهة.



• اسحق نحلة - زيارتي لمسقط رأسي تأخرت •

كلمات اخرى

في الكتاب صفحات تحمل اسماء كثيرة من خيرة الفلسطينيين والعرب، فقد كتب الكثيرون عن هذا الفنان، كل يحاول تفسير عطائه الابداعي من منظار تعامله الوجداني معه، وربما بتأثير العلاقة القائمة على الصداقة بينهم، بيد ان هنالك اكثر من اجماع على ان اسحق نحلة هو احد المبدعين المميزين في الساحة العربية والفلسطينية.

كان احدهم الفنان محمد ابو زريق، وهو فنان فلسطيني من مواليد ١٩٤٩ يعيش في الاردن، وقد واكب الحياة التشكيلية هناك اضافة الى كونه صاحب انتاج فني فهو ايضا من اول الذين اهتموا بالنقد الفني والقراءة البصرية. قال عنه الفنان اسماعيل شموط في دراسته «الفن التشكيلي في فلسطين»: يستخدم - محمد ابو زريق - عناصر واقعية سواء في الفكرة او في الشكل، يستمدها من البيئة المحلية والشعبية، ويستفيد بشكل جيد من الرموز التي يعبر من خلالها عن احاسيسه وعن وعيه. وقد جاء في سياق ما كتبه ابو زريق عن اسحق نحلة ما يلي: «اسحق نحلة مأخوذ بالكون وما الشخوص في اعماله الاخيرة الا عبارة عن سديم كوني، وقد استطاع ان يعطيها ذلك التماهي من خلال المشهد التصويري من عين النسر، فالمشهد البصري لديه واسع يحوي التفاصيل والاشياء والافق...».

على موعد

اليوم، على بقعة من ارض فلسطين، هدمت معالمها الانسانية، قوى الظلم والطغيان، يلتقي عدد من المبدعين الفلسطينيين، من كتاب وشعراء وممثلين وفنانين تشكيليين وصحافة واعلام ليعيدوا الى الذاكرة وقائع المجازر العديدة التي حلت بأبناء هذا الشعب، في محاولة لتجسيد وتوثيق الذاكرة الجماعية للانسان الفلسطيني على تراب الارض الام. فربما يكون لنا لقاء مع هذا الفنان الضائع بالكونية المنتشرة على اسطح لوحاته وداخل مكنوناته الذاتية، في تبنيه لوجهة الصراع الثقافي الحضاري في السعي للارتقاء بالمشروع الوطني الحضاري الفلسطيني الى مصاف الحضارة الانسانية.. فالى هناك!!



• من أعماله •

من الطبيعي بريجات

مشروبات بريجات الطبية.
منعشة ولذيذة وذات مذاق
مميز وهي المشروبات الوحيدة
التي تحتوي على مركبات طبيعية.*
انتم مدعوون للتلذذ على مدار
العام بمشروبات بريجات الطبية
والمنعشة والصافية والمعروفة.
والآن جديد* من بريجات!
مجموعة مشروبات
بريجات بالب الطبية
مع قطع الحمضيات.



* في قسم [illegible]

تساؤلات وهواجس في تحديد الهوية

أنا والآخر - قومياً وانسانياً

بقلم: المحامي وليد الفاهوم

• شيء من الفلسفة •

هذه الجملة معقدة. المقصود ليس فقط لغويا انما فوق اعتبارات اللغة. «الانا» هي جملة مفيدة. فعندما اكون، اكون وكثيرا ما اكون في العدم فأتلاشى.

قال ديكارت: «انا افكر اذن انا موجود». كأني بفاقد الوعي يقول: حتى لو لم افكر انا موجود.. هل من وجود دون تفكير او تفكير دون وجود ؟

اذن انا موجود لأنني انا موجود، حتى لو كنت سطحيا. ان عقلي لا يستطيع ان يدرك ما هو غير موجود، او غير متشيئ.

ادراكي لنفسي نابع من كوني موجوداً وادراكي لغيري كذلك فأنا هو انا والآخر هو الآخر وانا هو الآخر ليست الا بدعة مهما تماهى اناي في هذا الآخر ام ذاك!. وهكذا جزمت.

كل شيء يبدأ بالذات ولا تستطيع ادراكها الا من خلال التضاد او التوافق وذلك الصراع فيما بين ذاتك وذاتك! او بين ذاتك والآخر او بين الآخر والآخر. الحديث عن الذات الواعية. وهذا الوعي يبدأ بالآخر، فالطفل ومنذ البدايات الاولى يتعلم من خلال الآخر ويدرك ذاته من خلال الآخر والمحيط. يقول الروائي اللبناني الياس خوري ان «الآخر هو المرآة التي تسمح للذات بالتعرف على نفسها».

وانا لا استطيع ادراك الغير الا من خلال هذا الصراع ايضا، اما عن طريق التناقض او التوافق.. التضاد والكراهية والصراع والتناحر او الألفة والمحبة و...

فلو ادركت كل «انا» ان حريتها تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين لما حدثت مشاكل وصراعات، ولو ان «الانا» عرفت حدودها ولم تتوهم حدودها لما حدثت مشاكل وصراعات.

وانا ابدع حين اكون الذات المنقسمة على ذاتها.. انا الذات التي تشققت الى شظايا. انا الذات الجماعية التي لا تدري كيف تخرج من ذاتها حتى في اسطع اوقات التجلي. الا من خلال عملية الادراك وزيادة الوعي والترقي.. وهنا يكون الابداع والخلق نتيجة الانقسام والتشظي والحيرة والارتباك وادراك كل هذا. وما الابداع الا عبارة عن اعادة ترتيب المتبعثرات او كما قال الشاعر السويدي الصوفي المعاصر (توفي سنة ١٩٦٨) عبارة عن دوزنة الايقاعات والصراعات والمكنونات الداخلية والا تمزق الانسان المبدع اربًا اربا.

اقول الذات الجماعية لان الذات الفردية لا تساوي شيئًا في هذا الفضاء الرحب وفي هذا العالم المتكالب. فكم وكم من الملايين مرت عبر التاريخ.. ومنذ بدأ الانسان يؤرخ.. اقول لا تساوي شيئًا لكون الفردانية صفرا في هذا الكون وان كان لدور الفرد حيزًا في مجرى هذا التاريخ.. لسرعة ذوبان الفرد في الوجود، حتى بعض الجماعات تذوب وتندثر. دول دالت. امبراطوريات زالت ولم يعد لها اثر حيال عظمة هذا الوجود.

والمقياس ليس عشرات السنين، انما الملايين.

تكون المأساة عندما يسكن الهم الجماعي في الذات الفردانية.

لا أحد يحدد لي موقعي سوى ذاتي وظروف ذاتي.

اوراقي مبعثرة.. احاول تنظيمها لأن في الكون نظاما. لا احد يستطيع ان يقول لي من انا سوى «اناي». لا احد يستطيع ان يحدد لي مكاني وان قيض لي ان اختار من جديد لما اخترت غيره. لا احد يستطيع ان يحدد لي انتمائي وقناعاتي سواي!

• شيء عن الأنا والكتابة والآخر:

أنا ابن هذه الاسرة ثم فيما بعد العائلة وهذا الحي وانا ابن هذه المدينة وانا ابن هذا البلد.. وهذا العالم.

انا انسان اولا وقبل كل شيء وانتما «اتي تحددت منذ الاحتكاك الاول لوالديّ، وكان انتمائي الاول الى امي واخيرا الى اللحد الى التراب والى التلاشي دوائر كما تتداح مياه البركة حين نلقي بها حجرا.. من اللاشيء الى اللاشيء. ومن الصعب علي ان اثق بما هو غير موجود وغير متشيئ او غير كائن مهما بلغت قدرتي على التجريد.

فمن الناحية الانطولوجية ما هو موجود، موجود، وما هو غير موجود غير موجود، والعملية شبيهة بمسألة الكتابة. فهذه الكتابة - هذه المقالة - غير موجودة قبل ان تتشيأ وما حدث هو كالتالي:

قبل الكتابة احسست بالضياع، احسست باليتم والضياع فتوترت قبل ان اكتب وتشققت الى شظايا ثم لملمت اشلاء ذاتي واعدت بناءها، وادعي ان ذلك كان في نضج وفي لحظة ابداع وفي حالة تجلٍ واضحة تماما بالنسبة لي، بعد غموض تام وبدون ادراك لحالة التوتر التي عشتها ساعات او اياما قبل الشروع بالكتابة، وبدأت افج الغموض وارسم فلسفيا (بمعنى فيلو صوفيا اي حب الحكمة) ارسم حدود الذات الفردانية بجميع انتماءاتها (دوائرها).. ابقاعاتها... خطوطها... اختلاجاتها .. ذبذباتها ومن خلال محاولات تنظيم هذه الفوضى التي في «اناي» توصلت الى هذه الحقيقة، حقيقة وجودي الذي ما كان لأن يتشيأ اصلا لولا وجود الآخر، ولنقل وجوديا انه كان نتيجة العلاقة بين ابي وامي، وكان وجودي قد بدأ من وجود الآخر.. لكن «انا هو انا وهو هو».

وحين تبدأ الدوائر تتداح تتوسع الحلقة وتندمج او تتنافر كأنها تقوم بعملية الطرد عن المركز من دائرة الرحم/الجنة الرهوبة .. حتى تبلغ التلاشي، فاما ان تضرب الموجة بجوانب البركة وترتد او تستمر في التلاشي حتى اللانهاية! من هنا يبدأ الانسان في التكون في ظهر ابيه ويبقى تسعة اشهر او سبعة في مسكنه الاول - رحم امه - وفي محيط الرحم يبدأ بالتشكل واخذ صفات المنشأ او بعضها، وكما يقال «البطن بستان» فلا تجد اثنين شبيهين الى حد التطابق التام. فكل «انا» فريد وعالم خاص.

ثم تبدأ الدائرة في الاتساع من محيط الرحم كما اسلفت الى محيط الاسرة الى محيط الحي.. القرية... المدينة.. البلد.. القطر.. العالم.. فانا هو انا وكل سواي هو الآخر..

وكلما ادرك الانسان ذاته يعي غيره. فقضية الوعي وتنامي الوعي هي مسألة ذاتية.. ومن المستحيل ان تجد من يوافق على نفي ذاته لأن المحافظة على الذات هي جزء لا يتجزأ من غريزة المحافظة على النوع او النوع المتطور باستمرار.

ان وضعي هنا في هذه البلاد فريد من نوعه اذا ما قارناه بوضع الاقليات الاخرى في العالم.

فمن جهة «انا» اعيش كأقلية قومية في اسرائيل لكنني وفي ذات الوقت اعيش كأغلبية في المحيط.

ان وضعي الاقلياتي هنا وشعوري بالاقلية غير متكامل.

صحيح انني اقلية لكن لأقليتي هذه جذور فانا من السكان الاصليين ولي امتداد في العالم العربي. وليس لدي شعور بالهامشية نتيجة لموقعي هذا. فانا على عكس الاخ شمعون بلاص اليهودي ذي النشأة العربية العراقية القادم من العراق الى اسرائيل والقائل انه:

«على الحد الفاصل بين الطرفين، افهم هذا وذاك ولا اشارك ايا منهما في رؤيته» (مشارف ١٠/آب ١٩٩٦، من الآخر؟ ١١٧) فهو يعاني من هذه الثنائية كما شخصياته الروائية والقصصية وفيها «تحددت اكثر فأكثر معالم الشخصية اللامنتمية او المغتربة والهامشية (Outsider) في اعمالي» (المصدر ذاته ١١٨).

وكانت بالنسبة اليه «شخصية الآخر بمعناها الواسع هي شخصية الفرد الخارج عن الجماعة، او المنشق عنها، او المندمج فيها والرافض لها في آن واحد.» (المصدر ذاته، ١٢٠).



• أثر اللجوء.. معركة على التشظي •

ما بين تأكيد الأنا ونفي الآخر

ان الفكر الصهيوني بطبيعة الحال يتصادم مع الفكر القومي العربي وخاصة بجزئه الفلسطيني، لذلك من العبث ان تظل هناك «امور لا نتحدث فيها» كما حدث في علاقة الشاعرة داليا رابيكوفتش مع اميل حبيبي وسهام داوود كأحد نماذج الوعي الفلسطيني. (مشارف ٩/حزيران ١٩٩٦، بموته تقلص عالمي/داليا رابيكوفيتش، ٩١).

اذن لا بد من المواجهة كما فعل آدم باروخ على طريقته الخاصة، «جلسنا الواحد ازاء الآخر وامعنا النظر ببعض. وبدا كأن عيوننا صارت من البنانير الزجاجية: زوجين من العيون على طبق مسطح.

ادركت ماذا ارى في عيني اميل حبيبي. لقد رأيت نفسي، اي انني رأيت نفسي كما رآني اميل. انه يحدد نظرتي الى ذاتي. وانا احكم على نفسي حسب الشارة المطبوعة في وعي «الآخر» وانعكاسها عليّ.

هذه هي احدى قواعد هذا المكان اليهودي - العربي، فأنت ما يراك الآخر، وفي خلال سنوات، «الآخر» هو الذي يعرّفك».

(مشارف ٩/حزيران ١٩٩٦، اربع عيون على طبق واحد، آدم باروخ، ١٣٣) وهذا الصدام لا بد منه، وهذه النظرات الشاقية المتفحصة المتصارعة بشكل حضاري لا بد منها. وعلينا ألا نكنس السجادة ثم نرفع طرفها ونضع الغبرة من تحتها!

اذن، لا بد من صراحة الطرح وجرأة الطرح.. فصديقك من صدقك وليس من صدّقك.

الكاتب والشاعر والفيلسوف يحلمون ويطرحون الاسئلة اما السياسي فيحاول الاجابة عليها من خلال جدلية المعقول او الممكن واللا معقول.

• كيف لا اعيش هذا الهم الجماعي وقد كان والدي رحمه الله جزءًا منه. واصبحت فيما بعد انا كذلك.. لقد وضع والدي دم قلبه في مزرعة بتل الفار في مرج ابن عامر سنة (١٩٤٥) اذكر انها اطعمت تفاحًا سكريًا شاميًا قرقشانيًا واجاصًا ودجاجًا وعسلاً.. واذكر اننا كنا نتراجد بحبات التفاح الصغيرة.. واذكر اننا اصبحنا لاجئين عام (١٩٤٨) وتم حرث اشجار المزرعة وتخريب بئرها وبيوت الآدميين والبهائم، ومن ثم مصادرتها.. فكيف لي الا اتفجر صباحًا وألملم اشلائي كل مساء؟! •

يطرح راضي شحادة «كفنان مسرحي يبحث عن ذاته الفنية و... هويته السياسية» السؤال المشروع جدًا: «ماذا نفعل وجميع الحلول المطروحة لم تأخذنا بالحسبان ولم تلتفت الى وجودنا على ارضنا ووطننا الاصل والام؟».

(فلسطينيون في اسرائيل، مشارف ١٢، تشرين الثاني ١٩٩٦ 8).

ويؤكد ان اسلوب تحركنا وطريقة تصرفنا هي التي حددت شخصيتنا في نظر الآخرين، المصدر ذاته ٩) ثم يصر على الرغم من صعوبة الموقف انه علينا ان ننتهج «توازنًا في السير على الخط الاخضر وعدم تجاوز الخط الاحمر.. وعلينا ان نتعلم من الرسامين كيفية الفصل بين الخطوط الحمراء والخضراء والسوداء، والبيضاء من جهة وبين الخطوط الزرقاء والبيضاء من جهة اخرى. واذا تعمدنا الخلط فيما بينها فلنجعل ذلك من متطلبات لوحتنا نحن وليس لوحة خصمنا.» (المصدر ذاته، ١٢) كل ذلك بهدف المحافظة على الذات القومية من الانقراض، «انقراض الاصل والهوية والتاريخ والجذور والشخصية الكلية للانسان..» (المصدر ذاته، ٢٢).

اجل، فان ممارستنا وتصرفنا تحددان شخصيتنا في نظر الآخرين.. كيف يرانا الآخرون مهم جدا في رسم صورتنا لكن الاهم هو كيف نرى نحن انفسنا وبناء على ذلك تتحدد ممارساتنا وتصرفاتنا.

فاذا اخذنا مثلا الدائرة الوطنية ومن ثم الدائرة القومية اقول انني اذا وافقت على الهجرة اليهودية مثلا، التي هي في صلب دولة اليهود/ اسرائيل كما تعلن عن نفسها رسميا انما انفي ذاتي الفلسطينية وبالتالي ذاتي القومية وبعدها الانسانية حتما.

فالهجرة اليهودية الصهيونية شرقية كانت (اقرب الي من حيث المنشأ والمأكل والمشرب والعادات والتقاليد) ام غربية هي عبارة عن نفي لوجودي انا الفرد وانا كذات جماعية. ليس لأن «الآخر» هو فقط الغير الذي يقع خارجا عني انما لانه... «الآخر» القادم الجديد الذي ينفي وجودي كذات فردانية وكذات جماعية ويريد ان يحل محلي.

حتى لو فرضنا جدلا ان «الأنا» قبلت بهذه الوضعية فانها مرفوضة من قبل «الآخر».. افرادًا وجماعات وشعبًا وامة وبالتالي ثقافة وحضارة.

ولنستمع الى ما جاء في احد التقارير لمركز «ادفا» عن ميزانية الدولة. فالهجرة وعملية استيعاب المهاجرين «القادمين الجدد» هي في اول سلم الاولويات: يقول ما معناه:

واذا كانت الزيادة في ميزانية وزارة التربية والتعليم تعتبر دليلا على اهمية التعليم ووضعه على رأس سلم الاولويات «الوطني» فان الزيادة هي في الواقع بتلك الارقام المخصصة لاستيعاب الهجرة ورفع اجور المعلمين الناتج عن نضالاتهم المهنية.

بالمقابل فان ميزانية خدمات التربية والتعليم والرفاه الاجتماعي ببلدات التطوير تقلصت سنة ١٩٩٦ بنسبة ٣٠٪ بالمقارنة مع سنة ١٩٩٠.

وكذلك الامر في مشروع ترميم الاحياء فقد انخفضت حصته من ميزانية التربية والرفاه بنسبة حقيقية سنة ١٩٩٦ هي ١٢٪ مقارنة بنسبة ١٩٩٥.

هذا ناهيك عن الغاء المشروع التعليمي «يوم التعليم الطويل» نهائيًا هذه السنة ١٩٩٦ وهو مخصص لبلدات التطوير اليهودية!

اذكر انه سنة ١٩٩٤ توجهت «المؤسسة العربية لحقوق الانسان» الى المحكمة العليا بخصوص اليوم الدراسي الطويل الذي لا يشمل المدارس العربية بهدف الغاء التمييز فكانت النتيجة ان ردت الدعوى لكن بذات الوقت فرضت المحكمة على الدولة دفع الاتعاب لمحامي المؤسسة!

وفي عملية الموازنة بميزانية الدولة، عادة شيء يكون على حساب شيء آخر...

اتباعا للاهمية والحاجة «الوطنية».. فالسياسة الصهيونية التوجه تحتاج الى زيادة الهجرة وزيادة العسكرة(!).

وهذه وتلك تحتاج الى زيادة الميزانيات فيها وتقليصها في ناحية اخرى كالتعليم ومكافحة الفقر وترميم الاحياء الشعبية ماديًا ومعنويا في اوساط اليهود الشرقيين والعرب. لم يتغير شيء ونحن على اعتاب الالفين!

ليس من الضروري ان يتمشى كل شيء مع المنطق، فالمنطق يقول انه في مرحلة السلام مع الفلسطينيين والدول العربية يجب ان تقل ميزانية الجيش وان تزيد ميزانية الثقافة والفنون والعلاقات الخارجية وكل ما يقرب ويوحد ولا يفرق ويبعد..

فما الذي يحصل الآن ونحن على مشارف نهاية عام ١٩٩٦ او حتى اواسط الالفين؟

لقد زادت ميزانية التشرنق والتخندق والاستيطان!

لاحظ ان اللكنة الغالبة على المستوطنين هي لكنة امريكية او غربية بشكل عام.

هذه هي الحقيقة التي لا ادعي انني املكها فالسمة الغالبة في اسرائيل هي سمة الثقافة والحضارة الغربية الاشكنازية.

هذا، في اعتقادي جوهر الصراع بالنسبة لي انا الذات الفردية التي يشكل الدين الاسلامي او المسيحي والانتماء الوطني والقومي (الفلسطيني/ العربي) والتطعيم الاسرائيلي - شئت ذلك ام أبيت - سماتها وصفاتها الاساسية.. ولا بد للتوتر الخارجي والعلاقة التناحرية بين هذه الانتماءات ان تحدث شروخًا في عملية البحث عن الهوية التي هي في الواقع ليس فقط ثنائية عربي/ صهيوني وانما اكثر بكثير من كونها هذا وان كان هذا الصراع الثنائي هو الاكثر حدة.

فعلى الرغم من هذه الحدة لم اشعر في اي يوم من الايام بأزمة ثنائية الانتماء هذا.

اذكر انه قبل خمسة وثلاثين عاما وعندما لبيت دعوة صديقين زوجين يهوديين عزيزين جدا على قلبي، لزيارتهما بتل ابيب يوم عيد الاستقلال - اذكر انني تمنيت لو ان الارض انشقت وابتلعتني. واصابتني حالة غريبة من شدة التوتر والانفعال فأجهشت بالبكاء في الشارع العام قريبا من شاطئ البحر.. تذكرت انني لا املك شيئًا وهم يملكون كل شيء وادركت انني انا هو انا والآخر هو الآخر. القهر هو الذي ابكاني والشعور بالغبن التاريخي.

لم انفعل نتيجة لأزمة الانتماء.. لا احد يحدد لي انتمائي.. ولكن التوتر بين الانا والآخر وشعوري العميق بالغبن التاريخي وتوتر العلاقة بيني كأقلية قومية وبينهم كأغلبية هو ما جعل العلاقة تتوتر وتظهر بأعنف صورها بهذا الزخم الاحتفالي والانفعالي. حالة التوتر هذه ملازمة «لكل اقلية في علاقاتها مع الاكثرية» كما يرى شمعون بلاص.

(مشارف، ١٠/آب ١٩٩٦، من الآخر؟، ١٢٠).

ان الادراك وتنامي الوعي يعمل دائمًا في مصلحة توسيع دائرة الانا وانفتاحها - بعكس الجهل الذي يعمل عادة على انغلاقها وتقوقعها، بيتيا او قبليا - او قوميا بحسب حجم الدائرة.

ان شدة وقع المأساة الاشكال او المشكلة على الانا الخاص بي لا تحول عندي دون رؤية المأساة، الاشكال او المشكلة لدى الآخر.

كنت في حينه ادرس الفلسفة وعلم النفس فكتبت عن ذلك اليوم وعن غرق الغواصة الاسرائيلية «داكار» محاولا فهم ذاتي والآخر لكن ولشدة هول المأساة ان المجلة التي ارسلت لها الكتابة رفضت نشرها، فكان «ظلم ذوي القربى اشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند». فأنا ما بين الصحوة والغفوة من شدة حزني بكبر فيّ الانا وكذلك يتضخم الآخر.. وهذا التضخم في اناي لا يمنعني من ادراك الآخر.

وكثيرًا ما عدت الى داخلي وقاومت غضبي وحقدي وكراهيتي ليس خوفا من الآخر بل من الانا الانساني الذي يربض فيّ!

والآخر ليس بالضرورة يهوديا ففي هذه الرؤية الثنائية كثير من الجهل والغباء وضيق الافق والتقوقع.. من هنا وكما اسلفت، كلما زادت دائرة المعرفة كبر حجم الانا والآخر معا، وازداد التشعب والتداخل.

(يتبع)

سهيل قبلان

جودة البيئة من جودة الانسان

* الخامس عشر من آب الجاري، كان يوم محبة البيئة. وقد بادرت وزيرة البيئة دالية ايتسك، الى هذا اليوم في محاولة لتعميق ارتباط الانسان بالبيئة والسعي الدائم للحفاظ على جودتها ونقائها. وفي هذا اليوم، كان الدخول الى الحدائق العامة والمواقع الاثرية في جميع انحاء البلاد، مجانًا، لضمان تدفق اكبر عدد من الجماهير الى تلك المواقع وقضاء يوم ممتع في احضان الطبيعة والاستمتاع بحفيف اوراق الشجر وزقزقة العصافير ونغمات النسائم البليلة الناعمة والبرامج الترفيهية والفنية والفكاهية والتثقيفية المتنوعة التي قدمت. وسيتحول هذا اليوم الى تقليد سنوي.

لا جدال حول مدى اهمية مثل هذا اليوم، وانه سيساهم في غرس وتعميق نزعة الجمال والحب في النفس البشرية، فأن ترى حديقة خضراء عامرة بشتى انواع الورود والازاهير وفواحة العبير، افضل من ان ترى الاشجار المحروقة والازهار المصوحة الذابلة والعصافير الممزقة واكوام القمامة والخردة والجيف.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل يكفي اخذ الناس الى احضان الطبيعة ليوم واحد، لكي نضمن جودة البيئة؟

وماذا مع السياسة الرسمية المنتهجة التي هي الاب الشرعي لكل ما تعانيه البيئة من اخطار التلوث والبشاعة والتدمير وعدم الحفاظ على جودتها وروعتها؟

فكم من قاعدة عسكرية ومخازن اسلحة وذخائر خطيرة، تنتشر في جميع انحاء البلاد، فهل وجودها يضمن جودة وروعة وجمال البيئة؟

ويقال ان اسرائيل صغيرة المساحة الجغرافية، بمثابة ترسانة عسكرية ضخمة، فهل ذلك في مصلحة جودة البيئة والطبيعة والانسان؟!

ان الوزيرة دالية ايتسك، من اصحاب رسم السياسة الرسمية واتخاذ القرار، فهل تسعى لتطوير يوم محبة البيئة والارتقاء به ليتحول فعلاً الى يوم غرس البيئة الذي يقام احتفالاً وابتهاجًا بتغيير جذري للسياسة الرسمية المنتهجة وما تشكله من اخطار حقيقية على البيئة والانسان؟

لقد انتشرت الآلاف المؤلفة من الجماهير بين احضان الطبيعة في يوم محبة البيئة، وليوم واحد، فماذا مع باقي ايام السنة؟ ولا نبالغ في القول، انه يمكن في اسرائيل، وبناء على الواقع الملموس والمعيش ان يجري يوميًا احياء نشاط ما تحت اسم معين، ومن تلك الايام على سبيل المثال لا الحصر، يوم محبة الانسان، حيث تجري النشاطات المتنوعة لتعميق العلاقات بين الناس بغض النظر عن اللغة والدين والانتماء واللون، وتعميق رؤية المشترك بين الجميع فكلنا بشر ابناء تسعة اشهر، وهناك حاجة لاعلان يوم كنس الاحتلال، فالاحتلال هو المستنقع الذي تفقس فيه وتنتشر منه كل الآفات الخطيرة وممارسات القمع والكبت والعنف والحقد والكراهية.

وهناك حاجة لاعلان يوم مكافحة العنف بكل اشكاله.

ويوم ابادة كل الاسلحة ووسائل القتل والتدمير.

ويوم تنظيف الدولة من كل مظاهر وممارسات وتصريحات التمييز العنصري ضد العرب. ويوم التعايش والتآخي والتفاهم اليهودي العربي. ويوم تنظيف الدولة والعالم من اسلحة الدمار الشامل.

ويوم احترام المرأة كانسان كامل متكامل.

ويوم فصل الدين عن الدولة وعدم تسييس الدين.

ويوم مكافحة البطالة واستغلال العمال. ويوم النضال لتحويل الاموال لصالح الانسان وليس للحرب ووسائل القتل والتدمير، ويوم اللقاءات بين اليهود والعرب، حيث يستضيف اكبر عدد ممكن من اليهود عائلات عربية والعكس ايضا، وذلك لتعميق التفاهم والتآخي. وبتحقيق ذلك، واول شرط لذلك تغيير جذري في السياسة الرسمية، تضمن فعلاً بيئة جيدة ونقية وخضراء وجميلة وعندها تكتمل جمالية الصورة، بيئة جميلة يسكنها انسان جميل وانساني واصيل.

كتاب في حلقات

الحلقة (٥١)

الفلسطينيون:

تأليف العالمين الإجتماعيين: باروخ كمرلنغ و يوئل شموئيل مجدال
ترجمه للعربية وأعده للنشر: محمد حمزة غنايم

تنشر «الإتحاد» على حلقات مسلسلة الترجمة العربية الكاملة لكتاب «الفلسطينيون، صيرورة شعب»، الذي وضعه عالما الإجتماع البارزان، البروفسور بارخ كمرلنغ، المحاضر في الجامعة العبرية في القدس، والبروفسور يوئل شموئل مجدال، المحاضر في جامعة سياتل في الولايات المتحدة الأمريكية، وصدر بالعبرية في العام الماضي (١٩٩٩). ويعتبر «الفلسطينيون» من أهم الكتب الصادرة مؤخرا، والتي تتميز بكونها تحمل نظرة مغايرة مناقضة للرواية الصهيونية التقليدية حول النزاع وآثاره وحول تاريخ الشعب العربي الفلسطيني وصراعه من أجل حقوقه القومية العادلة. وقد حصلت «الاتحاد» على حقوق النشر الخاصة باللغة العربية.

بعد الانتفاضة نشأ وضع من التعادل، احس فيه كل طرف انه مهزوم، وإن لم يكن مستعدا للاعتراف بذلك، لا تجاه نفسه وبالتأكيد ليس تجاه الطرف المقابل. في اوساط الفلسطينيين تبدلت، بعد حوالي السنتين، حالة النشوة العامة باليأس المتجدد إزاء الطاقة المحدودة في الانتفاضة وغياب المقدرة على استبدال منجزاتها بالتقدم على الحلبة السياسية. اوصلهم هذا الاحساس الان للعودة الى البحث عن طريق بديل لإنهاء الاحتلال. في ربيع ١٩٨٨ طلبت منشورات «القيادة الموحدة» بوضوح مساعدة وتدخلا خارجيين. بعد انقضاء مدة من الزمن، عكس تأييد الفلسطينيين لصدام حسين في حرب الخليج املهم البائس بأنهم سيتمكنون من وراء ذلك من تحقيق ما كان واضحا ان الانتفاضة لم تحققه. بعد هزيمة العراق كتبت ساره روي عن قطاع غزة: «الفلسطينيون الجدد معزولون تماما، لا حول لهم، وتتناوبهم المخاوف. الجيش يضايقهم يوميا وهم لا يملكون طريقة قانونية يدافعون بها عن انفسهم. الحياة اليومية محبطة الى حد لا يطاق، والمخلوقات بائسة حقا من امكانية العثور على ملاذ». كذلك تضاءلت موارد الفلسطينيين الاقتصادية الى حد كبير، بعد ان حولهم تأييد منظمة التحرير الفلسطينية وسكان المناطق المحتلة والفلسطينيين في الغربة لصدام حسين الى غير مرغوب بهم في اجزاء كثيرة من الشرق الاوسط. انهارت الجالية الفلسطينية المزدهرة في الكويت، التي كان فيها قرابة ٤٠٠،٠٠٠ نسمة، مع هزيمة العراق واعادة تشكيل حكومة الكويت، وفي اواخر ١٩٩١ بقي اقل من نصف الجالية هناك. وفي الاردن عانى الاقتصاد كثيرا، وقد اثر ذلك على الفلسطينيين هناك وعلى فلسطينيي الضفة الغربية ايضا، الذين تلقوا اجورهم بالدينار الاردني: كانت قيمة الدينار في يناير ١٩٨٩ اقل من نصف قيمتها قبل ذلك بستة شهور فقط. مع بداية الازمة في الخليج في اب ١٩٩٠ تعمقت الازمة ايضا في المناطق المحتلة ذاتها، فالحالة الاقتصادية التي كانت صعبة بطبيعة الحال في الفترة التي سبقت الانتفاضة، ساءت مرة واحدة: وبلغت نسب البطالة في بعض المناطق من ٣٠٪ الى ٤٠٪. وازداد الوضع سوءا مع بدء قصف قوات التحالف المعادي للعراق على العراق، وبدء هجمات صواريخ «سكاد» العراقية على اسرائيل، في شهر يناير ١٩٩١. وساهم الجمود في اقتصاد اسرائيل وطرد الفلسطينيين منها مع انتهاء الحرب في تعميق الازمة الشديدة التي نشأت بعد ان اوقفت دول عربية مساعداتها لمنظمة التحرير، التي كان جزء منها مخصصا لسكان المناطق. مع التقليص الحاد في تدفق الاموال القادمة من طرفهم تذمر اصحاب المصالح الاقتصادية الصغيرة في المناطق من هبوط بنسبة ٨٠٪ تقريبا في اعمالهم.

مع انه من الصعب التوصل الى معطيات دقيقة وشاملة، الا ان عددا من المعطيات التي تم جمعها في قطاع غزة تشير في اسوأ الاحوال على حجم المشكلة. في سنوات الانتفاضة الثلاث الاولى هبط هناك المنتوج القومي الخام بحوالي ٣٠٪؛ وهبط دخل الفرد من ٧٠٠ ١ دولار الى ٢٠٠ ١ دولار، وفقدت عائلات معينة حتى ثلاثة ارباع دخلها؛ وتدنى نقل الاموال من الخارج بـ ٧٥٪؛ وشهدت المدخولات من العمل في اسرائيل هبوطا حادا. مع اندلاع حرب الخليج توقف العمل في اسرائيل نهائيا، وبعد الحرب لم يقترب ثانية من المستوى الذي ساد قبل الحرب، فقد بدأ الاقتصاد الاسرائيلي في ذلك الحين باستيراد عمال اجانب من الشرق الاقصى وشرق اوروبا، احتلوا كان الفلسطينيين، وهي ظاهرة تعاظمت في الاساس منذ مطلع التسعينات. كذلك اصبح مهاجرون قادمون للتو من الاتحاد السوفييتي، استحوذ اليأس عليهم لغياب فرصهم الاقتصادية، يملأون الان اماكن العمل الشاغرة. في الشهر التالي على انتهاء الحرب، عمل في اسرائيل عشرة الاف من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة، وهي نسبة اقل من ١٠٪ من عددهم قبل الانتفاضة. وتشير الزيادة الكبيرة في عمل الاولاد، والطلبات المقدمة لوكالة الغوث الدولية لخطط غذائية اضافية (حتى ٢٠٠٪) والارتفاع الحاد في عدد المحتاجين للمساعدة الطارئة في الغذاء، الى الضائقة الاقتصادية الشديدة التي سادت في غزة. وتدل عدة تقديرات اقتصادية تتعلق بالضفة الغربية على ظروف صعبة مماثلة. بعد اربعة شهور على بدء الانتفاضة، هبط المنتوج القومي الخام في الضفة الغربية بـ ٢٩٪، وهبط استهلاك الفرد بـ ٢٨٪، والعمل بـ ٣٦٪. وتدنت حصة المقاولين الثانويين من غزة والضفة الغربية في البناء في اسرائيل، التي وصلت في الماضي الى ٢٠٠ مليون دولار، الى الصفر. وهبطت الصادرات الى اسرائيل في السنة الاولى على الانتفاضة بـ ٥٠٪، واستمرت بالهبوط فيما بعد.

على رغم ذلك كله، لا تزال الانتفاضة ابرز حدث في تاريخ الفلسطينيين القريب، باستثناء اقامة «السلطة الوطنية الفلسطينية»، في قسم من اراضي الضفة الغربية وقسم كبير من قطاع غزة (انظر الفصل العاشر). الا انه يجب اعتبار اقامة «السلطة الوطنية» واحدة من نتائج الانتفاضة، كما سنوضح فيما يلي. اثار التمرد احساسا بوحدة الجماعة، ويكونها مصممة وذات اهداف واضحة، ونجم عنه ما وصفته لوري براند «منح تفويض متجدد» (للقيادة المحلية). لكن، وكما حدث في تمرد ١٩٣٦ - ١٩٣٩، ففي هذه المرة ايضا، وبموازاة الاحساس بالهدف المشترك، تكشفت الشروخ. اية انتفاضة شعبية تظهر بوضوح تام صراعات تتعلق بصورة المجتمع المستقبلية، من يقوده، ما هي طبيعة العلاقة بين القادة والتابعين، وما هي اصول اللعب، وتظهر كذلك المعتقدات والرموز المختلفة. يحدث ذلك على رغم الجهود المبذولة لطمس التوتر واشاعة اجواء وحدوية. وبنظرة للوراء، ومثلما انه يمكن تبين كيف ان الاسئلة الهامة حول مستقبل الفلسطينيينوهويتهم ثارت في اعقاب تمرد ١٩٣٦ فوق السطح، هكذا حدث في اعقاب الانتفاضة. وتمحورت النزاعات بين التجار و «الشباب»، بين سكان مدن الساحل وقرويين من داخل البلاد، وبين مسشيحيين ومسلمين، حول المستقبل. ولعل قرب الانتفاضة من ايامنا هذه، تتسبب بأن نكون قصيري نظر قليلا في هذا الموضوع، لكننا نستطيع رغم ذلك الحصول على فكرة ما عن التصدعات التي شهدها المجتمع الفلسطيني بعد ذلك. وتشير حقيقة ان قرابة ٥٠٪ من قتلى الانتفاضة قُتلوا بأيدي فلسطينيين اخرين بتهمة التعاون مع اسرائيل، الى التشوهات الصعبة التي نشأت في المجتمع الفلسطيني والى تفكك الثقة الاساسية، نتيجة لسنوات الاحتلال الكثيرة. وسيقول الفلسطينيون ان تصفية المتعاونين الحقيقيين او الوهميين تميز كل تمرد، وفي هذه المرة ايضا كانت جزءا لا يتجزأ من التمرد وكانت لازمة من الناحية العملية وكذلك من الناحية الرمزية.

فاجأ اندلاع التمرد واستمراره العنيد القيادة المأسسة، بالضبط كما فوجيء المفتي ورفاقه من الاضرابات العامة التي هزت البلاد في ابريل ١٩٣٦. ومثل امين الحسيني، سارع ياسر عرفات وبقية قادة «الخارج» الى القفز على عربة التمرد الجديد والامساك بالمقود. وبوصفه «اطفال الحجر» كنتيجة لثورة «فتح» - منظمة التحرير، وهي صلة ثبت انها مهمة جدا لجهود منظمة التحرير للعودة الى احتلال مكانتها في الحلبة الدولية بعد الهزيمة في لبنان، اثبت ياسر عرفات مجددا قدرته القيادية. على رغم نشوء الصلة بين منظمة التحرير والانتفاضة، يخبل ان توترا معينا ظهر بين الاوساط العليا في المنظمة وبين «القيادة الموحدة»، في نصف السنة الاولى. هناك عدم اتفاق بارز بشأن مستوى النزاع العلني فيما بعد. وهناك من يدعي وجود انسجام تام بين القيادتين الداخلية والخارجية، وان «القيادة الموحدة» يكل بساطة «ترى نفسها الذراع السياسي الناشط المحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية». ويشير اخرون، مثل امبل صالح وهليل فريش، الى استمرار الصراع بينهما على استقلالية «الداخل». لكن النزاع العلني لم يكن الاساس، بل التوتر الخفي حول مكانة القيادة المحلية في الحركة القومية العامة. في الفترة التي ادت الى الانتفاضة، جرت محاولة من جانب قيادة منظمة التحرير الفلسطينية لتوثيق الرقابة على قادة غزة والضفة الغربية. اصبحت الانتفاضة توفر الان لسكان المناطق المحتلة فرصة التأثير على مواقف منظمة التحرير السياسية، واشغال دور محترم في تحديد جدول الاعمال السياسي القومي وتغيير طريق العمل القومي المتعارف عليها. ضغطت القيادة المحلية في الاساس على منظمة التحرير للتسليم بوجود اسرائيل وقبول صيغة «دولتين» كحل للنزاع، وكذلك الموافقة على المشاركة في محادثات سلام مع اسرائيل بمبادرة الولايات المتحدة، على رغم الإبعاد الرسمي لمنظمة التحرير عن المحادثات (ودمجها غير الرسمي في الوفد الفلسطيني - الاردني). عمليا، وبموجب مقابلة اجرتها هليئا كوبان مع عرفات، ضغطت قيادة «الداخل» على اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير للتخلي او تعليق «الكفاح المسلح» بالنسبة للانتفاضة. «لم يعد بالامكان استمرار الاستخفاف (بالرسائل التي وصلت من قادة الضفة الغربية وغزة) كما جرت العادة قبل ديسمبر ١٩٨٧»، قالت في كتابها. بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة عرفات، فإن القدرة على الفوز باستمرارية ولاء واخلاص سكان المناطق المحتلة داخل التمرد وبعده ايضا، وتماثل المنظمة مع الانتفاضة الشعبية، كانت انجازا محترما لكنه كان مقرونا بالثمن. فقد قوّت موقف منظمة التحرير ذاتها، مقابل عناصر اخرى كانت ما تزال تحاول التأثير على مستقبل الفلسطينيين - الملك حسين في الاردن والرئيس حافظ الاسد في سورية، في الاساس. في ٣١



صَيرورَة شعب

يوليو ١٩٨٨ تخلى الملك حسين عن صراعه المتواصل مع منظمة التحرير على التأثير في الضفة الغربية وتخلى رسميا عن نيته العودة الى حكم الضفة الغربية وتمثيل الفلسطينيين كافة. وقع ذلك بصورة مفاجئة تماما. حتى بعد ان انتهت الانتخابات البلدية في الضفة الغربية بفوز مرشحي منظمة التحرير، ظل الاردنيون يحاولون تفعيل نفوذهم. سمحت هذه الخطوة لأول مرة منذ ١٩٣٧ بنشوء قيادة داخلية مثقفة، كانت صلاتها قليلة مع الهاشميين. لكنه يجب ان نضيف بأن الملك حسين لم يغلق كافة الابواب، وظل سكان الضفة الغربية على سبيل المثال، محتفظين بالمواطنة وجوازات السفر الاردنية (لمدة خمس سنوات).

كان ارتفاع وزن «الداخل» - الذي عرف اسرائيل وثقافتها السياسية معرفة حميمة وكان بعيدا عن التصورات المهيمنة والقوالب الجاهزة بشأن «الكيان الصهيوني» التي ميزت قادة «الخارج» - مقرونا كما اسلفنا بضغوط من جانبه محاولا التوصل الى تسوية، بموجب صيغة «دولتان لشعبين». في اعقاب هذا الضغط، وفي ضوء انجازات الانتفاضة (مقابل الفشل النسبي لـ «الكفاح المسلح»)، اضطرت منظمة التحرير الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود (وهكذا حدث مثلا انه في مؤتمر صحفي من يوم ٢ مايو ١٩٨٩، وردا على سؤال صحفيين وبضغط من الاميركان، صرح عرفات انه مستعد للاعتراف «بحق كافة دول منطقة الشرق الاوسط بالعيش بسلام وامن»، مشترطا ذلك بتطبيق حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. عندما ضغط عليه الصحفيون حول «الميثاق الوطني»، الذي انكر حق اسرائيل بالوجود - بند ١٩ بشكل خاص - صرح رئيس منظمة التحرير ان الميثاق «لم يعد موجودا». لكن ذلك كان تصريحا من دون مرجعية، فالميثاق كان قابلا للتعديل او الالغاء فقط باغلبية كبيرة من ثلثي اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني. عمليا، لم تتم الاشارة للميثاق في الخطاب السياسي والايحاءات الرسمية لمنظمة التحرير، سنوات عديدة قبل ذلك، بينما واصل الناطقون الاسرائيليون استخدامه على نطاق واسع. في مطلع ايار ١٩٩٦، وفي دورة خاصة للمجلس الوطني في غزة، الغيت كافة البنود المتعلقة بحق اسرائيل في الوجود وبالكفاح المسلح ضدها. واصبح تبني ميثاق وطني جديد جزءا من الصراع الاسرائيلي - الفلسطيني، الذي تطور بعد عودة اليمين الاسرائيلي للحكم بعد انتخابات ١٩٩٦)، وتخلت عن الارهاب الدولي، وبادرت الى اتصالات دبلوماسية مع الولايات المتحدة وكانت مسؤولة عن ان «المجلس الوطني الفلسطيني» في دورته من ديسمبر ١٩٨٨ في الجزائر اعلن عن اقامة «دولة فلسطينية» ووافق على تبني مبادىء قرار ١٨١ (قرار التقسيم المتخذ في الجمعية العامة للامم المتحدة) وقرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن (الانسحاب الى حدود ١٩٦٧).

لم يُحسم اي صراع على ماهية وصورة المجتمع الفلسطيني المستقبلية في سني الانتفاضة ولا مع افولها، وبخاصة لم يتيسر ذلك طالما ان اسس العناصر الاسلامية فيها تتقوى من يوم ليوم. حتى اشد الناس علمانية وقومية تبنوا رموزا ثقافية ذات دلالات اسلامية واضحة. لكن النزاع كان اعمق بكثير. تماما كما في تمرد ١٩٣٦ - ١٩٣٩، فإن عدم اليقين بخصوص التمرد اعاد مسألة الدين الى وعي الجماهير. في الثلاثينات استخدم المفتي وظيفته الدينية ومؤسسة المجلس الاسلامي الاعلى كجسر للعبور الى القيادة القومية. واستخدم الشيخ عز الدين القسام مكانته كخطيب ديني لكي يثير الاضراب العام وانتفاضة الفلاحين، وكشف التمرد العربي ذاته عن مشاعر عداء قوي للمسيحية في اوساط قسم من المحرضين ضد البريطانيين واليهود. في العقدين الاخيرين من القرن العشرين، لعب الاسلام دورا اكثر مركزية في سياسة الشرق الاوسط، في المنطقة الممتدة من الجزائر، مصر، السودان حتى ايران. ومع ان الدين ينظر قسم من السكان المدينيين المثقفين كان بمثابة طفرة مشاعر، ففي زمن الانتفاضة خيل انه بديل واثق بنفسه وفعال. في قطاع غزة على وجه الخصوص رفضت تنظيمات اسلامية تصورات التيارات المختلفة التي كونت منظمة التحرير و «القيادة الموحدة» بشكل قاطع. ووضعت اهم مجموعة اسلامية، «حماس» (حركة المقاومة الاسلامية، التي كانت الفرع الفلسطيني - الغزي لـ «الاخوان المسلمين» المؤسس عام ١٩٤٥)، وفصيل اصغر هو «الجهاد الاسلامي»، هدفا لهما في اقامة دولة اسلامية في «فلسطين»، وبعد ذلك ربما في الشرق الاوسط العربي كله. ويحمل الذراع العسكري لـ «حماس»، المنفصل عن الحركة السياسية، اسم عز الدين القسام. رفضوا نوايا القوميين في اقامة دولة علمانية، ديمقراطية وتعددية من الناحية الدينية. وتصورهم للفلسطينيين اسلامي - ديني، وفي مواجهة «الكفاح المسلح» وضعوا حرب الجهاد حتى النهاية فوق ارض «فلسطين المقدسة»، التي يعتبرونها «ارض وقف» بكاملها. وفي «الميثاق الاسلامي» المنشور في اغسطس ١٩٨٨، وصفت «حماس» نفسها بأنها «حركة شعبية فلسطينية مستقلة، هدفها رفع راية الله على كافة ارض فلسطين المقدسة». اصبح التشويش بين الفعالية القومية والدينية الذي برز في الثلاثينات، بما في ذلك صورة المفتي نفسه، اقل قبولا ووضوحا الان. اصبحت «حماس» الان ليس فقط تحديا ايديولوجيا - على غرار الحزب الشيوعي او مجموعات محلية اخرى - بل تحديا اجتماعيا وسياسيا داخليا لحركة نفيت الى تونس، وبخاصة بعد ان استقرت في غزة ومدن الضفة الغربية. ظاهريا، وكما في بقية اجزاء الشرق الاوسط، فإن المصدر الاساسي للنهضة الاسلامية في المناطق المحتلة كانت الثورة في ايران التي اندلعت في ١٩٧٨، واصبحت صور الخميني شعبية للغاية منذ مطلع الثمانينات، وبخاصة في قطاع غزة. لكن ارتفاعا متزايدا بمشاركة الجمهور في الصلاة في المساجد واقامة المساجد سبق هذه الظواهر، وبخاصة في قطاع غزة، عكس ضائقة الناس بشكل خاص. حملت الثمانينات شهادة واضحة على دخول الاسلام الى المجال السياسي. في ١٩٧٩، وحتى في انتخابات مؤسسات الطلبة في جامعة بير زيت - معقل العلمانية الفلسطينية - حقق مرشحون اسلاميون بارزون نجاحا لا يستهان به، وفازوا بـ ٤٣٪ من الاصوات. في السنوات التالية حصلوا على ٣٠ - ٣٥٪ من اصوات الناخبين في جامعات الضفة الغربية، بينما كانوا يتمتعون بالاغلبية في هذه المؤسسات مع بداية تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية. كان هذا النجاح نتيجة لنشاطات تنظيمية متشعبة، وبخاصة في المجتمع وحول المسجد. والى جانب كون «حماس» حركة فلسطينية خالصة، فهي ترى نفسها ايضا جزءا من الصراع العالمي بين الاسلام الناهض و «الجاهلية الجديدة» (القديمة كانت قبل قدوم الاسلام للعالم)، التي تمثلها الثقافة الغربية اليهودية - الصهيونية المفسدة والمتعفنة من الداخل.

(يتبع حلقة اخرى في عدد الثلاثاء)

• بناة الدولة الفلسطينية •



قراءة نقدية لنص حديث

(تتمة من ص ١٢)

ان اي فلاح عجوز
يروي لك «ببيتين من العتابا»
كل تاريخ الشرق
وهو يدرج لفافته امام خيمته

يقول: اي فلاح، و «اي» تدل على شمولية المعاناة، ومع ذلك فهذا الفلاح العجوز- ابن الارض يحدو العتابا، وما زال الامل يشمخ في عروقه، فبيتان من العتابا كافيان لأن يرويا كل تاريخ الشرق. ولفظة تاريخ لها ما وراءها، وهي مشحونة باستمرارية قصور العدالة.

انه لم يقل مثلاً «قصة معاناة» بل قال تاريخ الشرق - التاريخ الآخر غير تاريخكم ايها الغربيون! انه التاريخ الحافل بالعذاب والاسى.

يستطيع الفلاح العجوز ان يقص حكاية المعاناة بأغنية (او بيتين) - أسيانة - يغنيها وهو يدرج لفافته امام خيمته. ونلاحظ هنا ان الصورة شعرية لا يمكن الا ان نتخيلها - الشيخ يدرج لفافته (بينما عادة المترفين ان يشتروا الدخان معدا)، وهو يجلس امام خيمته (مقابل جلوسك انت وامثالك في الفندق)، وكذلك يغني العتابا - غناء مشحوناً بالحرمان والاضطهاد.

ونجمل الفقرة الثانية بانه استمر يتحدث عن معاناته الشخصية، ولكنه ما لبث ان انتقل الى المجموع (١٣)، حيث رأى ان ابناء الارض هم الذين يحفظون تاريخها المعذب، ويصونه في غناء او حداء، فما على رواد المعرفة الا ان يتلمسوا حياة هؤلاء البؤساء - بعيداً عن اعين الرقباء والمتسلطين الذين يبغون تمويه الحقائق وتزييف الواقع حتى يستمروا في تنكرهم لحقوق العباد ودوس «الانسان» فيهم.

*** ** **

صاحبت هذه القصيدة قارئاً ومنتجاً - ما امكن - على اثر استشفاف الصدق(١٤) في بنى الكلمات وعلاقتها(١٥)، فاستوحيت ايحاءات متولدة من النص او ملازمة له. وكانت اللقطات الموصوفة في النص تتراوح بين الواقع المعيش والواقعية الممكنة - حيث يكون المتخيل، وإلا فما معنى ان يصمت السائح، ولا يكون له اي رد فعل ازاء إلحاح الراوي عليه؟! ان هذا السلوك لا يحدث في اي واقع حقيقي، ولكن النص يرسمه ليعمق مأساة الانسان الذي يمثله او يتماثل معه، وكم يالحري المثقف المنبوذ. ولا شك ان مأساة الفلاح هي اعمق وانكى.

لقد صور الشاعر ندوبًا من واقع معاصر - في ظرف من المفروض ان يناقض طبيعة الحداثة - هذه التي يفترض - اصلا ونتيجة - ان تثري حياة الانسان بالمتعة. ولكن المجاز الانسان او احباطه لا يقرران ان كان النص حداثيا ام لا، فالرؤية وشكل الاداء وظروف النص - كلها معا تسلم او تقدم جواز المرور الى معالم الحداثة.

(باقة الغربية)

المراجع والمصادر

الكتب

١- الاصفهاني، ابو الفرج: الاغاني (ج ١٥)، مطبعة واوفست، حيفا - د. ت.
٢- جابر يوسف حامد: قضايا الابداع في قصيدة النثر، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق - ١٩٩١.
٣- الجزار محمد فكري: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الادبي، الهيئة العامة المصرية، القاهرة - ١٩٩٨.
٤- دريدا جاك: الكتابة والاختلاف، (ترجمة كاظم جهاد)، دار توبقال، الدار البيضاء - ١٩٨٨.
٥- فاضل جهاد: «حوار مع المغوط»، اسئلة الشعر، الدار العربية للكتاب. (لا تفاصيل اخرى).
٦- .....: «حوار مع جوزف نجيم»، قضايا الشعر الحديث، دار الشروق، بيروت - ١٩٨٤.
٧- المناصرة عز الدين: قصيدة النثر (المرجعية والشعارات) بيت الشعر، رام الله - ١٩٩٨.
٨- نور الدين جودت: مع الشعر العربي (اين هي الازمة؟)، دار الآداب، - بيروت - ١٩٩٦.
٩- المغوط محمد: الفرح ليس مهنتي، دار العودة، بيروت - ١٩٧٣.

الصحف والمجلات

١- مجلة ابداع (القاهرة)، العدد ٧ يولية ١٩٩٦.
٢- صحيفة اخبار الادب (القاهرة)، العددان: ١٩٩٧/٢/٩؛ ١٩٩٩/١/٢٤.
٣- صحيفة الايام (رام الله)، العدد ١٩٩٦/٧/٢٨.
٤- مجلة جامعة (باقة الغربية) العدد الثالث - تشرين الاول ١٩٩٩.
٥- صحيفة دفاتر ثقافية (رام الله)، عد مايو ١٩٩٩.
٦- مجلة الشعراء (رام الله)، العدد المزدوج ٤-١٩٩٩/٥.
٧- صحيفة الفينيق (عمان)، عدد ١٩٩٧/٥/١.
٨- مجلة الناقد (لندن)، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٨٨.
٩- مجلة نزوى (عمان)، العدد ١٨، ابريل ١٩٩٩.

الهوامش:

١- يرى علوي الهاشمي ان «من خلال هذا المنجز الشعري - قصيدة النثر - يمكن النظر الى المصطلحين (الحداثة، وما بعدها)، اي انهما يعنيان في تقديري انجاز قصيدة نثر ناجحة». دفاتر ثقافية - مايو ١٩٩٩، ص٣٣.

٢- يتحفظ بعض الدارسين والشعراء من كون قصيدة النثر شعرا. انظر: حوار مع محمود درويش، صحيفة اخبار الادب، ١٩٩٧/٢/٩؛ حوار مع احمد عبد المعطي حجازي، صحيفة الفينيق، ١٩٩٧/٥/١؛ وصحيفة اخبار الادب، ١٩٩٩/١/٢٤، صحيفة الايام (رام الله)، ١٩٩٦/٧/٢٨، حيث ترى انه يرفض تعبير «قصيدة النثر» ولا يراها شعرا. وانظر كذلك: عز الدين المناصرة، «قصيدة النثر جنس كتابي خنثى»، قصيدة النثر (المرجعية والشعارات)، ص١٦-١٨؛ جودت نور الدين، مع الشعر العربي - اين هي الازمة؟، ص ١٩٩، وهو يطلق على قصيدة النثر اسم «النثيرة»؛ «حوار مع جوزيف نجيم» ورد في كتاب: جهاد فاضل، قضايا الشعر الحديث، ص: ٤٠٠ - ٤٠٣.

٣- يقول المغوط في حوار معه: «الشغلات التي تشع بسرعة قبل ان تنطفئ اكتبها شعرا»، وعندما سئل المغوط: - ألم تكتب الموزون المقفى؟ اجاب: «لا. شغلة مضحكة بدت لي. كان الوضع بالنسبة لي في الماضي كما يلي - بدلا من ان ادور على قافية كان علي ان ادور على بيت اتام فيه. ادور على قافية تضبط؟! لا عمرها تضبط!!: انظر الحوار معه في كتاب جهاد فاضل، اسئلة الشعر، ص٢٨٥.

٤- حتى لو تحفظ بعضهم من اعتبار قصيدة النثر شعرا - كما اشرت اعلاه - سئل حجازي في حوار اجرته اخبار الادب (١٩٩٩/١/٢٤):
- ... لكن هناك اتفاقا حول شاعر كمحمد الماغوط - مثلاً
- .. نحن نقرأ الماغوط دون ان نعتبره استمرارا لأي شاعر عربي. نقرأه في ذاته. اضيف الى ذلك احساسي الشخصي بطاقته الشعرية، وهنا استذكر ما ذكره شيركو بي كه س: «الشعر شعر. حين يهتزني شعر جميل ويجعل روحي منبع الاسئلة لا يهمني الى اي مذهب ينتمي هذا الشعر. يكفي ان ينتمي الى وطن الابداع» - مجلة نزوى ابريل ١٩٩٩، ص ١٤٥.

٥- الماغوط محمد، الفرح ليس مهنتي، ص ٤٤-٤٥

٦- هذه هي الحداثة التي تنطلق لمعايشة الانسان في وجوده وصراعه، انها تعطي قيمة لكيانه وحتى لرفضه، وهي لا ترى المتاهات دليلاً لها! للتوسع في هذه الرؤية انظر: محمد علي الكردي، «الحداثة وما بعد الحداثة»، مجلة ابداع العدد ٧، يوليه ١٩٩٦، ص١٧-٢٨.

٧- الحداثة - كما اراها - حرية لا فوضى، وكم بالحري اذا كانت هذه الحرية تدعو ولو ايحاء الى معانقة الهدف الذي تنشوف اليه، والى الافادة من انجازات العصر وعلومه. وهي ترى ان الحاضر عماده التجديد المستمر فكرانيا، وانها تدرك ان فهم المنظومة الجمالية والمعرفية بتأتى بمعايشة الواقع - لا الوهم، ولا الدوائر الهلامية الفراغية.

٨- يرى عيسى بلاطة ان الحداثة لدينا هي «... الغوص في الواقع العربي للوصول الى معرفة حقيقته بلا مواربة، ثم استنهاضه لمعانقة القيم الجديدة» مجلة الناقد العدد ٣ (سبتمبر ١٩٨٨)، ص ٣١.

٩- يرى محمد فكري الجزار في كتابه العنوان وسيميوطيقا الاتصال الادبي (ص٦٦) وهو يتوسع في مقولة اوردها محمد عبد المطلب في احدى دراساته: «العنوان له مستواه السطحي كما له مستواه العميق مثله في هذا مثل عمله تماما».

وثمة تواز شكلي ودلالي بين العنوان وعمله - الامر الذي يجعل العلاقات بينهما اكثر تعقيدا..

١٠- الكهل - لغة - من جاوز الثلاثين الى الخمسين، ولكنها في الاستعمال الشائع تعني الشيخ المسن، وهذا ما يقصده الشاعر في القصيدة، بدليل الطباق الذي عمد اليه ليدل على المفارقة، وكذلك بدليل قسوة الاغتراب التي يلقاها الشيخ عادة.

١١- تذكرني هذه الحالة بحالة سلمى - زوجة صخر بن معاوية، وذلك عندما اصيب وصار في مرحلة «البين بين»، فقالت ردا على من سألها عن حاله: «لا حي فيرجى، ولا ميت فينعى». انظر: ابو الفرج الاصبهاني، الاغاني، ج١٥، ص٦٢.

١٢- لا يرى محمود درويش ان الوطن هو بالضرورة نقيض للمنفى، فيقول: «العلاقة مع المنفى اصبح فيها شيء من الالفة ... انى قد اجد المنفى هنا معي في فلسطين» مجلة الشعراء، العدد ٤-٥ ربيع - صيف ١٩٩٩، ص٣٩.

١٣- يقول يوسف جابر في معرض حديثه عن الشفوية باعتبارها عنصرا هاما في قصيدة النثر: «قدرة الشاعر على اعطاء بعض من ذاته ودمجها بلغة المجتمع يسمح لها ان تخرج في النهاية ذات نكهة عذبة آلصق ما تكون بمشاعره التي هي في الاصل جزء من مشاعرهم... ان شفوية القصيدة النثرية انما تسيطر على عالمها مشاعر الحزن العميق التي تكتنف انسان عصرنا الحالي» يوسف جابر: قضايا الابداع في قصيدة النثر، ص١١٣.

١٤- انظر دراستي «استشفاف الصدق في القصيدة الوحداتية لدى القارئ» مجلة جامعة، العدد ٣ - ١٩٩٩/١٠، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية في باقة الغربية، وقد قدمت هذه الدراسة محاضرة في مؤتمر النقد الادبي السابع الذي عقدته جامعة اليرموك في تموز ١٩٩٨).

١٥- مع انني اكدت حرصي بدءا وعده نقدي بمنهج نقدي فقد حلقت قراءتي او مصاحبتي للنص في اجواء منهج التفكيكية، وذلك بسبب ابعاد المؤلف عن نصه (ولا اقول موت المؤلف) اولا، وكذلك بسبب تركيزي على النص واستخراج ابعاده متلقيا. ومع هذا وذلك فانني لم اقوض النص لاعيد بناءه كما فعل بارت، ولم اتناول الابعاد السيكولوجية كما فعل لا كان. كما انني لم اجار جاك دريدا في اعتبار النقد «لا ينبوا شكلانيا ولا مضمونيا محايثا» - دريدا: الكتابة والاختلاف، ص ٥٧. ولعل ما يشفع لهذه القراءة انها صادقة المنطلق بقدر احساسي بصدق النص.

الرسامون الفلسطينيون في القرن العشرين

(تتمة من ص ١٥)

عربي في عنوانه. وهذا اتهام جدي للمؤسسات التعليمية والثقافية بأني وجدت كتابا واحدا في هذه الفئة وهو اتهام اكبر بان هنالك كتابًا واحدا فقط يحمل الكلمة «عربي» في عنوانه في هذه المجموعة. وبالطبع هنالك العديد من الكتب حول هذا الموضوع اذا بحثت عن الكلمة «زخرفة» او «اسلامي».

ان التعامل مع فننا على اساس ديني مدعوم من ممارسة عرض ارض فلسطين على انها «ارض التوراة» بل يدعم بنفسه هذا العرض. اصبح المسيحيون الغربيون مؤمنين بانهم يملكون هذه الارض وبان العرب «الوثنيين» الذين يؤمنون بـ«الله» بدلاً من "GOD" هم دخيلون غرباء، نتيجة لعرض ارض فلسطين على انها ارض التوراة والاشارة اليها بأسماء توراتية خلال الصلاة في ايام الاحد. وبالطبع يخفي الاستغلال الاقتصادي كليًا في هذا التوجه. ويظهر جليًا مفهوم «العهد القديم» في فن ارض فلسطين في الكتالوج المتميز الذي نشر ليرافق معرضا للفنانين الفلسطينيين في ستوكهولم تقدمه الحكومة السويدية والذي كان من المفروض ان يدعم الفلسطينيين.

وملاحظة اخرى هي التوجه في الغرب نحو حصر المعلومات المتعلقة بفلسطين والعالم العربي في وسائل الاعلام على انها حياة وثقافة فلاحين. يتم تحطيم حياة الفلاحين بوحشية في الوقت الذي تتوفر فيه اموال لتصور حياتهم بصورة رومانتيكية وللمحافظة على تراثهم.

ويرافق كل هذا صمت تام حول هدم مدننا مثل حيفا ويافا والقدس وأماكن اخرى. هنالك شعور في الغرب بان هدم طريقة حياة الفلاحين مقبول اذ «اننا نساعدهم في التحضر»، في الوقت الذي لا يقبل فيه هدم المدن والحضارة المدينية. وهكذا يتوفر التمويل لافلام عن حياة الفلاحين او للتوثيق والمحافظة على الفن المعماري القروي. ومن ناحية ثانية من المستحيل تقريبًا الحصول على تمويل لرواية قصة الحياة السياسية والثقافية المزدهرة للمدن الفلسطينية في فترة الثلاثينات، او التطورات السياسية والفكرية، التي لا تصدق، في مخيمات اللاجئين. كذلك من المستحيل تقريبًا الحصول على تمويل للحفاظ على الفن المعماري في مدننا التي تهدمها اسرائيل بدون رحمة. سيأتي اليوم الذي نكون فيه احرارًا للتقدم في تطوير انفسنا، وربما يصل ابكر مما يظن معظم الناس. اود ان اشكركم بتفاؤلي الكبير حول مستقبلنا واحترامي الشديد لتاريخنا الطويل الذي لا يصدق، ومعه ارضنا، ارض فلسطين.

(انتهى)

(*) نشرت الحلقتان الاولى والثانية من هذه الدراسة في عددي ٤/٨/٢٠٠٠ و١١/٨/٢٠٠٠ من «الاتحاد».

الهوامش

(٧) مثل مروع هو عمل ديفيد روبرتس، وهو طبعة حجرية تحمل عنوان «مقابلة مع نائب ملك مصر في قصره في الاسكندرية في ١٢ آذار ١٨٣٩». والمقصود هنا محمد علي باشا. الخلفية الصورية هي خلفية رومانسية نموذجية للقرن التاسع عشر. وطبعت هذه المطبوعات الحجرية بآلاف النسخ ولونها روبرتس يدويًا اوائل القرن التاسع عشر كعمل تجاري.

الولي الطاهر يعود

(تتمة من ص ١٧)

رفع بصره تجاهها، فسمعها تفكر، موجهة الخطاب اليه:

انما يا مولانا، انت بدورك، تتوق الى نسل جديد، محصن ضد الوباء، ينشأ على اسلام صاف، ويتحول الى جيش تغزو به العالم، فاتحا للبلاد مجبرا العباد على الدخول في الاسلام.

من هنا او هنالك، تلتقي رغبتنا يا مولاي، ايها القطب الرباني. ولكن الدين عند الله الاسلام.

ومن ادراك ان النسل «كل الناس» الذي ننجبه، لا يهتدي الى الحقيقة، فيتبع الاسلام؟

هكذا يغوي الشيطان ابن آدم. لكن مع ذلك، فلتجب على هذا السؤال: ماذا يكون مصير من ارسلوك عندما تمتلئ الدنيا بكل الناس..؟

انهم صاروا كل الناس بعد يا مولاي، ففي اللحظة الواحدة، وقبل ان تعيد طرفك اليك، تكون من خلال الاقمار التي تجوب الفضاء، حيثما شئت. تبيع وتشتري، وتعالج، وتقرأ وتتخرج.

يأتيهم السلطات شيئًا فشيئًا، وكل يوم ينفذون من اعماق السماء مبتعدين قليلاً.

اغمض عينيك يا مولاي، وسأحملك معي من خلال التلفاز، الى مختلف بقاع العالم.

افعل يا مولاي.

لعلها مكيدة من المكائد التي تسلحت بها، لتغويني.

لم يشأ ان يفعل ما رجته ان يفعله، لكن راح ينظر من خلالها، الى الناس والكائنات في مختلف اصقاع الارض، بل ها هي النجوم في المتناول، ها هي الزهراء، وها هو عطارد، وها هو العقرب. القمر تحت قدمي، والمشتري والمريخ، في متناول بصري.

حجر في الهواء

احمد دحبور

اعتذار للرصافي من غير مناسبة..

اذكر، منذ تفتحت عيناي على الرؤيا الحديثة للشعر، ان ذائقتي الفنية كانت حذرة دائمًا من الشاعرين العراقيين المشهورين معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي، على ما كانا يتميزان به من نزعة ثورية، كحرية المرأة، والتحرر الوطني، والدعوة الى العلم والتنوير. وكان ما يجعلني اغض بشعرهما - وشعر الزهاوي بخاصة - انه جاف، يميل الى الحكمة المجردة، ويتجه الى الجمهور بلغة خطابية مباشرة.. ومن الطريف المفارق ان هذا الشعر الذي كنت اتبرم بخطابيته، كثيرًا ما كنت احفظ شذرات منه، بل وازعم انني استشهدت به احيانًا كما سأفعل الآن.

فقد كان الرصافي بحسه الفطري المجامل للعلم، يأخذ على اسلافنا المثقفين، انهم يعرفون اشياء كثيرة، وينفقون وقتًا غير قليل للاحاطة بأكبر عدد من الموضوعات، مما كان يفقدهم لذة الاختصاص، والتفوق في موضوع محدد بما يفيد البلاد والعباد، ومما قاله في ذلك:

كل من كانت العلوم لديه جمة، كان نفعه غير جمّ
نال حظًا من كل علم ولكن لم ينل فيه غاية المستتمّ

وحين أتأمل هذين البيتين، استسلم لقوة منطقهما، ولكنني اتساءل عبثًا عن الشعر فيهما، الا ان موضوعي الآن ليس الشعر، وقد لا يكون هو العلم تحديدًا، ولكنني آخذ الامور بالقياس. فأراني مزدحمًا بالموضوعات والافكار، وارى كل موضوع يستحق حجرًا خاصًا ارشقة على امتداد الصفحة، فأشفق على الموضوعات المنتظرة من ان تبيت فتحمض. لهذا استسلمت لفكرة الرصافي، وسلمت بصحتها، وقررت خرقها مع اعتذاري لشعره الذي ما زالت ذائقتي تحذره، ولهذا سأجول بين عدد من الموضوعات حتى لو انل فيها غاية المستتم، والله من وراء القصد.

فؤاد سراج الدين

توفي، قبل عشرة ايام، زعيم حزب الوفد المصري الجديد عن تسعين عامًا، ففقدت الحياة السياسية المصرية آخر باشا رسمي، واصغر وزير داخلية في تاريخ مصر.. انه فؤاد سراج الدين.. وكنت قد انهيت لتوي قراءة مذكراته، وهي ليست مذكرات بالمعنى الحرفي للكلمة، فقد جمعه السجن، اواخر ايام السادات، الى الشيخ محمد عبد القدوس، وهو ابن الكاتب الشهير احسان، الا انه، خلافًا لأبيه، كان من جماعة الاخوان المسلمين.. ولأمر ما، وهذا حقه طبعًا، اعجب الشيخ محمد بشخصية الباشا سراج الدين، وبكبريائه وهيبته اللتين طغتا على جو السجن، فعقد معه صداقة تحولت الى مشروع. فبعد ان خرجا من السجن صار الشيخ يزور الباشا، ويكتب ما تجود به ذاكرة الاخير، ولكن بما يشبه الموضوعات المتفرقة، فكانت الحصيلة محدودة كمًا، غنية كيفًا، فهي ست وثلاثون ومئة صفحة من القطع الكبير لا غير، مع صور مختلفة من حياة فؤاد سراج الدين، وجاءت هذه النتيجة تحت عنوان كبير: ذكريات فؤاد سراج الدين. واذا كان المأثور المقدس يقول: اذكروا محاسن موتاكم، فان افضل هذه المحاسن ما يشهد به المرء على نفسه. واعترف بأن الخيرة كانت تعتريني بشأن حزب الوفد المصري دائمًا، فهذا الحزب الوطني الذي ولد مع بزوغ ظاهرة سعد زغلول رمزًا لإرادة الشعب المصري، والذي كان له مع القصر الملكي جولات وجولات، هو نفسه الذي اتخذ موقفًا عدائيًا من ثورة يوليو من غير هوادة، واذا كان هذا الحزب من محتضني العلمانية، فانه في عهد سراج الدين اخذ جانب المحافظين على الغالب. لكن هذا لا يعني ان ما يقوله الباشا سراج الدين خطأ دائمًا، حتى لو آلمنا، من ذلك ما قاله في كتاب مذكراته هذا، انه يحمل الرئيس عبد الناصر مسؤولية ما سماه تزوير الانتخابات، وذلك من خلال النتيجة المشهورة ٩٩.٩٩. والواقع ان مشاعرنا الناصرية، مهما سمت، لا تستطيع انكار هذه الحقيقة، مع ان هذا الرقم لم يكن يبدو كاريكاتوريا ايام عبد الناصر، لأن لحظة النهوض كانت تشمل الفرح والديماغوجيا معًا، وقد رأينا فظاعة هذه التسعات فيما بعد.

لكن سراج الدين الذي يدين عبد الناصر بهذا، هو نفسه الذي يعترف بأنه دخل المجلس النيابي، لأول مرة من باب الغش، فقد كان القانون يشترط ان يكون المرشح قد بلغ الثلاثين عامًا، وكان الباشا يومذاك في السادسة والعشرين، وكان له اخ متوفى فسجل نفسه بعمر اخيه، ويقول الباشا انه تعرض للنقد، فيما بعد، من المرحوم مكرم عبيد بسبب هذه القصة، مع ان تكبير العمر كانت فكرة مكرم عبيد نفسه!

وعلى ذكر العمر، يتباهى الباشا سراج الدين بأنه اصغر وزراء الداخلية في تاريخ مصر. لكننا حين نستبطن هذه المذكرات، نكتشف ان التعيينات السامية كانت تتم وفق حسابات اساسها الثقة لا الخبرة، مما يعني ان مشكلة الدمقراطية في الوطن العربي هي مشكلة الوعي عندما يتعلق الامر بالمجتمع المدني. وبالتالي فإن مأساة عبد الناصر كانت في احلامه الكبرى المرتبطة بأدوات تقليدية، فلم يكن ممكنًا ان يؤلف قيادة لتقود شعبًا جاهزًا.

كان فؤاد سراج الدين آخر الباشوات الرسميين. والباشا ملك يمعنى من المعاني. ولن يرضى الملك عن البكباشي الذي اعاد الوطن الى الشعب. لهذا فهو يغفر للسادات خيانته العظمى ولكنه لا يغفر لعبد الناصر قيامه بالثورة.. على اي حال، لا تجوز على الميت غير الرحمة. رحمه الله.

الرئيس العربي: شافيز

اولاً، وقبل اي شيء، لا بد من تسجيل الشكر والعرفان للرئيس الفنزويلي هوغو شافيز. وهو ليس شكرًا على موقفه الشجاع المشفوع بخطوته الشجاعة تجاه العراق وحسب. وانما هو شكر وعرفان من الجمهور العربي، لهذا الرئيس الامريكي اللاتيني الذي اسقط ورقة التين - وليست التوت كما يقول الخطأ الشائع - عن عورة النظام الا ليمعي العربي من المحيط الى الخليج.

فعلى امتداد عشر سنوات عجاف، اذابت الشحم العراقي، وشفت اللحم، وبدأت تقرض العظم، ظل العجز العربي الرسمي عنوانًا للمرحلة، وليته كان عجزًا صرفًا، بل ان بعض الانظمة العربية ظلت تصرف من احتياطي شعوبها لتنفق على العدوان الامريكي بهدف المزيد من تجويع الشعب العراقي..

وما زلت اذكر ما قاله الاستاذ ناجي الحديثي - وكان وكيل وزارة الثقافة والاعلام في العراق خلال سنوات الحصار الاولى - من ان التضامن الذي يطلبه العراق من الاشقاء، هو ان يوقفوا حصارهم هم للعراق. فقد ابدت الانظمة العربية «انضباطًا» يبعث على السعادة الامريكية والعار العربي عندما حرصت على تنفيذ قرارات «الامم المتحدة»، عفوًا الولايات المتحدة، بحذافيرها.. ومنذ ايام قليلة تكلم شخص كويتي بدين بطين، سعيد بالتأكيد، من صحيفة الوطن - لا حظوا الاسم: الوطن - فأعلن سعادته بالضربات الامريكية البريطانية للعراق، وحين سألته الفضائية عما اذا كان يشغله ان الاهداف المضروبة هي اهداف مدنية، اكتفى بالقول: هذه اكاذيب النظام العراقي...

حسنًا، يبدو ان «اكاذيب النظام العراقي» تحولت الى مئات آلاف الجثث التي كانت اطفالاً، واصبحت الجريمة تزكم الانوف، حتى ان الرئيس الفنزويلي هوغو شافيز قرر ان يعلق الجرس في عنق القط، واعلن انه سيزور العراق. ولم يكن هذا الموقف جديدًا من هذا الرجل المنتخب من شعبه على مرأى من الكرة الارضية، فقد تعامل مع كوبا ضاربًا عرض الحائط بغول «النصائح» الامريكية، وبنى علاقات حسنة مع الصين، واعطى شهادة طيبة بخصوص ليبيا..

وحين نذكر ليبيا فان الجرح ينفتح من جديد. فعندما كان هذا البلد العربي محاصرًا، كان العرب الرسميون هم الاكثر «انضباطًا» وتقيدًا بتعليمات الولايات المتحدة او الامم المتحدة. سيان، فقد تشابه علينا البقر. ويومها اتى الرد من افريقيا، فقد بدأ رؤساء القارة السمراء يزورون ليبيا مادين السنتهم في وجه الوحش الامريكي البشع، مما جعل الحصار الامريكي نمرًا من ورق.. وبعدها زحف العرب الرسميون الى طرابلس، فلم ينلهم شرف الاسهام في فك الحصار عن بلد عربي، بل كانوا تابعين مقلدين. ومع ذلك فقد قال الجمهور العربي: ان تصل متأخرًا، خير من الا تصل ابدًا..

وها هو شافيز ينوب عن الرؤساء العرب. فلعلّه الرئيس «العربي» الوحيد. تمامًا كما كانت اليونان هي البلد «العربي» الوحيد خلال حصار لبنان، بحيث لم يجد ابو عمار بلدًا اقرب من اليونان الى بيروت.. وكان رد الفعل الايجابي الاول من اندونيسيا، فقد ابدى الرئيس وحيد استعداده لزيارة العراق، وانهمرت عليه «نصائح» اوليرايت. ومع ذلك لم نسمع صوتًا عربيًا رسميًا، اللهم الا صوت الكويت المندد بالرئيس الفنزويلي!

حين نقرأ تاريخ ملوك الطوائف، نعجب من قدرة الحاكم العربي، يومذاك، على التحالف مع العدو الفرنجي ضد ابناء جلدته من اجل الكرسي، ولكن المضحك - وشر البلية ما يضحك - ان الاجيال العربية القادمة، ستقرأ ان حكامًا عربًا ربما تحالفوا مع الفرنجة الجديدة ضد الرئيس الفنزويلي لأنه ناصر العرب.. يا للعار.. ويا للفضيحة.

دفوعات وزير الدفاع

بوجه من البلاستيك، ووقار من تجارب السنين، كان موشيه ارنز، يتكلم وبيدي دهشته من طمع الفلسطينيين. وحقيقة الامر انني اشاركه الدهشة بشأن هؤلاء الفلسطينيين الذين بلغت بهم الوقاحة انهم لا يريدون الانقراض.

صحيح ان ارنز اذكى من ان يطالب مباشرة بإبادة الفلسطينيين، بل انه - وهو الليكودي العسكري - لن يتحدث بشأن الترانسفير، فقد تغير الخطاب، ولم يتغير واقع الحال.. ومع ذلك فهو يفيد من وقار العمر، وينطق بالحكمة، فيكون ملخص حكمته ان العرب اعتادوا على كبانه ثلاث مرات، وفي المرات الثلاث تلقوا ضربات موجعة، واصبحت نتائج هذه الضربات حقوقًا يهودية.. وعلى هذا فلا يجوز الانسحاب!

لو لم يتفوه وزير الدفاع الاسبق بهذا الكلام من خلال التلفزيون، لخفت ان اتهم بأنني اشنع عليه، ولكن هذا ما قاله سعيدًا مزهوًا بدفوعاته ومنطقة وبأسه. و.. بؤسه..

لقد وقعت حرب ١٩٤٨ في صفقة تسلم وتسليم بين بريطانيا وبن غوريون، ومذكرات السياسيين تملأ المكتبات مؤكدة حجم الغدر البريطاني بالعرب، ومع ذلك فان رواية ارنز هي ان العرب هم الذين اعتدوا على اليهود، فأدبّهم اليهود، واصبح ما اخذوه من ارض لم يعطهم اياها قرار التقسيم، حقًا زلالاً حلالاً لهم.

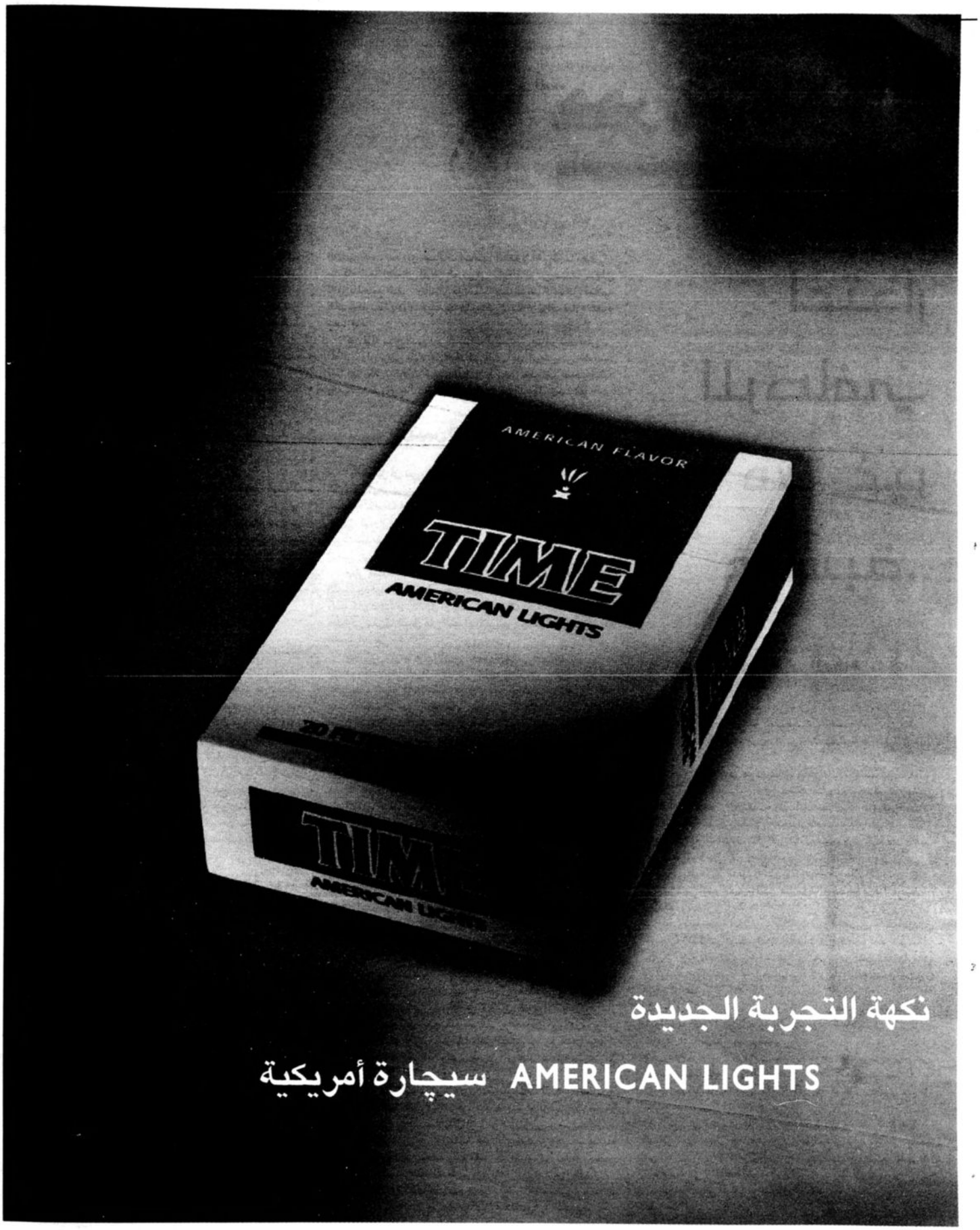
وامم عبد الناصر قناة السويس. فانقضت بريطانيا وفرنسا على مصر آخذة معها دفعة الميدان المتقدمة، المسماة جيش الدفاع.. وفي نظر ارنز ان ذلك كان عدوانًا من عبد الناصر..

وعلى مرأى من الكرة الارضية، وقع عدوان الخامس من حزيران على العرب، بحيث ان قرارات الامم المتحدة تفيد هذا المعنى من غير لف او دوران ومع ذلك فإن ما جرى، حسب رواية ارنز، هو عدوان مصري على تل ابيب..

ومع ذلك، وحتى لو كان ما ليس ذلك كذلك، ولو افترضنا جدلاً ان الضحية اعتدت على آلة العدوان. فهل هناك عقوبات في الدنيا، اسمها اني آخذ ارضك، التي اعترف بأنها ارضك، بدعوى انك اعتديت علي.. او انك فكرت في الاعتداء عليّ؟

هل هذا منطق الدبابة ام الغابة ام كلتيهما معًا؟ ولكن متى كان يرد على هذا المنطق بالمنطق؟..

واخيرًا، هل اعتذر للرصافي لعدم الاخذ بنصيحته؟ ها انذا اشعر انني زفرت، وتنهدت، وتلعثمت، ولم انل غاية المستتم من اي موضوع. فليبق الاعتذار معلقًا، وليقبل به من يظن اني اخاطبه شخصيًا.. والى لقاء.



تحذير: قررت وزارة الصحة أن التدخين مضر بالصحة.